سامر توفيق عجمي



الشيعة من منظار سلفي

عرض ونقد






دار الولاء
لصناعة النشر

www.daralwalaa.com

الشّيعة من منظار سَلَفي

عرض ونقد



شارع الرويس، الرويس، برج البراجنة، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133 | P.O. Box: 307/25
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com | www.daralwalaa.com



ISBN 978-614-420-271-5

اسم الكتاب: الشِّيعة من منظار سَلَفي - عرض ونقد.
تأليف: سامر توفيق عجمي.
الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.
الطبعة: الأولى بيروت-لبنان ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م

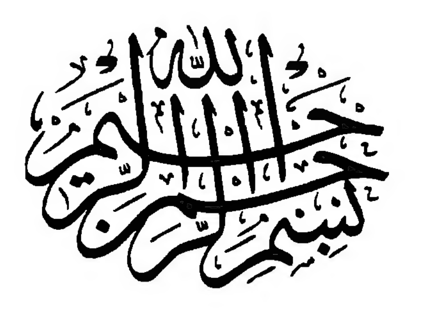
سامر توفيق عجمي

الشِّيعة من منظار سَلَفي

عرض ونقد



دار الولاء
لصناعة النشر


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى: كلِّ مجاهدٍ، وجريحٍ، وأسيرٍ، وشهيدٍ، في مواجهة الظلام الوهابي الداعشي.

كي لا ننسى:
أنّ هناك من يُقتَل لنَحيا، ويُجرَحُ لنشفى، ويُأسَر لنتحرر.
ويظمأ تحت حرّ أشعة الشمس.. كي نرتوي من العطش.
ويجوع تحت حصار البنادق.. كي نتخم من الشبع.
وتسهر عيناه في ظلمة الليل.. لنهنأ بالنوم في أحضان منازلنا.
ويتردد صدى آلامه بين قضبان الجلّاد.. حتى ننعم بالحرية.
ويروي تراب الأرض من نجيعه.. لنعيش بعزة وكرامة.

سامر توفيق عجمي
٢١ - رمضان- ١٤٣٧هـ
ذكرى استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

عن رسول اللّه ﷺ، أنه قال:

«كفّوا عن أهل لا إله إلا اللّه، لا تكفّروهم بذنب، فمن أكفر أهل لا إله إلا اللّه فهو إلى الكفر أقرب».

المعجم الكبير، الحافظ الطبراني، ج١٢، ص٢١١.

وعنه ﷺ، أنه قال:

«لا تكفّروا أحداً من أهل القبلة بذنب وإن عملوا الكبائر».

مجمع الزوائد، الحافظ الهيثمي، ج١، ص١٠٦

مقدمة

حزب اللّه وسؤال: لماذا يكرهوننا؟ ولماذا يكفروننا؟

لا ريب في أنّ الأحداث الإقليميّة وتطوراتها المتراكمة التي حصلت في السنوات القليلة الماضية، -خصوصاً بعد التدخل العسكري الأمريكي في أفغانستان، والقضاء على حكومة حركة طالبان، وتشرذم عناصر تنظيم القاعدة وتفرقهم، وانخراط التيارات الشيعية الرئيسة في العملية السياسية في ظل الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق، والعمل على تفكيك خلايا السلفية الجهادية، وقتل كبار رؤوسها كأبي مصعب الزرقاوي وغيره، وما رافق هذه الأحداث وتلاها كعملية اغتيال الحريري واتهام كوادر عسكرية وأمنية من حزب اللّه بالضلوع فيها، والانتصارات التي حققها حزب اللّه بمواجهة الكيان الصهيوني تحديداً في حرب تموز ٢٠٠٦، وأحداث السابع من آيار ٢٠٠٨، والدور الفاعل الذي تلعبه إيران على الساحة الإقليمية والدولية -؛ اقترنت بظهور حالات كراهة وحقد وتكفير من قبل الجماعات السلفية الوهابية للشيعة، ولا نقصد أن حالتي الكراهة والتكفير ناتجتان عن سلسلة الأحداث المذكورة، وإلا فإن الراصد لأدبيات تلك الجماعات يرى أنهم يضعون الشيعة العدو رقم واحد على قائمة الأعداء التاريخيين منذ بداية نشوء أيديولوجيا السلفية.

ومع انطلاق ما سمي بـ «ثورات الربيع العربي» وعدم اتباع حزب اللّه سياسة «الجلوس على التلّ أسلم»، حيث لم يتخذ موقفاً حيادياً من حراكات الشعوب العربية، بل كانت له قراءته الخاصة للتطورات والأحداث الحاصلة في المنطقة، وتتمثل هذه القراءة بمقولة: إنه من حقّ الشعوب العربية تقرير مصيرها ضد الأنظمة الظالمة، وإذا نظرنا إلى هذا الموقف الإيجابي لحزب اللّه تجاه الحراك الشعبي العربي من جهة، وأخذنا بعين الاعتبار تردد أصداء موجة (الحراك الشعبي؟!) على الساحة السورية، ووقوف حزب اللّه إلى جانب النظام السوري من جهة ثانية، سيَحِقُّ للبعض أن يطرح إشكالية سياقية مفادها: أن حزب اللّه لم يلتزم بوحدة المعيار فيما يتعلق بآمال الشعوب العربية، بل استخدم سياسة الكيل بمكيالين، ففي الحين الذي كان إيجابياً في خط علاقته مع شعوب: تونس، مصر، البحرين، واليمن، اتخذ بالنسبة للحراك الشعبي السوري موقفاً سلبياً، بوقوفه على الضفة المقابلة، فلم يؤيد المطالب (المحقّة) للشعب السوري المظلوم، وإنما دافع عن النظام (المستبد الظالم)، أليس هذا ازدواجية في المعايير من قبل حزب اللّه؟؟!!

وقد دفع طرح هذه الإشكالية -وغيرها بشكل متتالٍ مع ما رافقها من التشويش والتشويه في وسائل الإعلام- أمينَ عام حزب اللّه السيد حسن نصر اللّه إلى تقديم الجواب وتوضيح الفكرة[1]... ولم يتحرّج من تبني موقفٍ واضح من النظام في سوريا بشخص الرئيس بشّار الأسد، موقفٍ قائم على معيار ثنائي الأبعاد، وهو: قبول الرئيس الأسد

(١) يراجع نص الحوار على الرابط التالي: http://archive.almanar.com.lb/article.php?id=125596

بالقيام بسلسلة إصلاحات داخلية في الدولة والنظام (أبدى الرئيس الأسد هذا الموقف في حوار شخصي مع السيد نصر اللّه) + كون سوريا الأسد تشكّل عنصراً حيوياً في منظومة المقاومة والممانعة ضد العدو الصهيوني، وهو العنصر الذي عرّض سوريا لضغوطات قوى إقليمية ودولية تهدف إلى جعلها معادية لإيران وحزب اللّه، فإرادة الإصلاح وفعل المقاومة عند القيادة السورية، دفعا السيد نصر اللّه للقول بأن القضية السورية لها أبعاد مختلفة عمّا يجري في البلدان العربية الأخرى.

ثم تطور موقف حزب اللّه من حالة الدفاع الكلامي، إلى المشاركة العسكرية في سوريا -لاحقاً-، والتي جاءت متأخرة مقارنة بتدخل الآخرين في الصراع الدائر على سوريا، ولضرورات دفاعية -كما صرّح السيد نصر اللّه- وأحياناً استباقية، إما عن قرى سكانها لبنانيون واقعة داخل الأراضي السورية لم تقم الدولة اللبنانية بوظيفتها في حمايتهم وتأمين سلامتهم، وإما عن المقدسات الدينية خصوصاً مقام السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، وإما لدعم صمود محور المقاومة التي تشكل سوريا عمقه الاستراتيجي وعنصراً من عاموده الفقري في مواجهة المحاور الأخرى في الصراع على المنطقة من الداخل والخارج، وإما في مواجهة مشروع التكفيريين الذي يستهدف الجميع... إلخ.

وكلّما تقدم عنصر الزمن بمشاركة حزب اللّه في المعركة، مترادفاً مع منع الآخرين من تحقيق أهدافهم، زادت:

- الحرب الإعلامية والنفسية على حزب اللّه وبيئته الشعبية الحاضنة.

- وصلت إلى حد التفجيرات التي طالت البيئة الحاضنة للشيعة كالضاحية الجنوبية والهرمل وغيرهما.
- الإطلاق المتكرر للصواريخ على الأراضي اللبنانية.
- اختطاف اللبنانيين من الأراضي السورية واللبنانية.
- استمرار تهديدات داعش وجبهة النصرة وأخواتهما بدخول لبنان، والذي حصل فعلاً.
- حصول بعض المعارك والمناوشات على الحدود ما بين لبنان وسوريا.

... إلخ من أشكال التهديدات وصور الصراع والحروب.

وصُوِّر حزب اللّه بأنه **صانع المشكلة** بسبب مشاركته في سوريا، وقُدِّم على أنه **لا يريد حلّاً**، لما طرحته تلك الجهات، وهو انسحاب حزب اللّه من سوريا.

ولكن قراءة وجهة نظر حزب اللّه تفيد أن **تزوير الحقائق لن يغير الوقائع**، فقتال «داعش» و«جبهة النصرة» وأخواتهما رفعاً ونصباً وجراً، ومن يقف خلفهما من دول لا ينطلق فقط من مشاركته بالمعارك العسكرية والصراع الدائر على الساحة السورية، بحيث لو خرج حزب اللّه من سوريا -كما يطالبون- يؤدي ذلك تلقائياً إلى حلّ المشكلة، وتنتهي الأزمة، ويصبح حينها حزب اللّه حيادياً -من وجهة نظرهم-.

إن الموضوع السوري في عمق المسألة لا يشكل سوى ذريعة، كقميص عثمان الذي ألبسه معاوية لمنبر دمشق مخضباً بالدّم،

وحوله سبعون ألف شيخ يبكون، فخطب فيهم معاوية وحثهم على القتال، فأعطوه الطاعة وانقادوا له، واستعدّ لمحاربة خليفة المسلمين الشرعي والخروج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[١] عليه السلام، وهؤلاء حالهم كحال ما أجاب به أمير المؤمنين على رجل من عبس جاء إليه قائلاً: إن في الشام يلعنون قاتلي عثمان ويبكون على قميصه. فقال علي عليه السلام: «ما قميص عثمان بقميص يوسف، ولا بكاؤهم إلا كبكاء أولاد يعقوب»[٢]؛ فجذور القضية بين تلك الجماعات المسلّحة والدول التي تقف وراءها، وبين حزب اللّه، تضرب عميقاً في قاع المحيط، تتجاوز هذا السبب الذي يطفو على السطح، إلى جملة ملفات ورزمة أسباب كثيرة أخرى زيّنت لهم جمال اللوحة في المنطقة بدون سوريا الممانعة وحزب اللّه المقاومة، وليست محاولة التآمر لتهجير الشيعة من جنوب لبنان كأحد أهداف حرب تموز ٢٠٠٦ -كما صرّح السيد نصر اللّه- بالحدث البعيد.

أما فيما يرتبط بالعلاقة بين حزب اللّه (وكل الأحزاب والحركات الشيعية اللبنانية والعراقية والبحرينية واليمنية والسعودية و...) وتلك الجماعات، فإن قطب رحى المسألة ومركزها يكمن في النظرة إلى الآخر من قبل تلك الجماعات السلفية، فإن الآخر/ حزب اللّه الشيعي في الرؤية العقدية والفقهية لرجالات القاعدة وداعش والنصرة

(١) أنظر: المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م، ج٣، ص١٩٦.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، بيروت، دار الأضواء، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج٢، ص٤٩٧. وابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (لا،ط)، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، ج٢، ص٣٥٠.

-وأمثالهم- يندرج في عموم الكافرين، وعليه: فإن كل تشريع وحكم يسري على الكافرين ينطبق على أفراد حزب اللّه الشيعي، من إباحة الدم والمال والعرض و...

فحقيقة المشكلة تكمن هنا، في النظرة التكفيرية تجاه حزب اللّه الشيعي، وأما مشاركة حزب اللّه في القتال العسكري بسوريا ليس إلا قناعاً يخفي خلفه وجه التكفير، والذي كان عاجلاً أم آجلاً سيدخل إلى الأراضي اللبنانية، خصوصاً القرى المحاذية للحدود الشرقية التي في أغلبها شيعة «كفّار». وأصبح هذا الأمر من الواضحات في أدبياتهم تجاه حزب اللّه، ولم تستطع البروباغندا والتعسيل الكلامي أن يغطي وجه الحقيقة.

وعليه: فالسؤال الذي يطرح عادة: ماذا لو انسحب حزب اللّه من سوريا؟ جوابه بناء على المنظومة العقدية والتشريعية للجماعات السلفية التكفيرية واضح، وهو: إن ذلك لن يغير من واقع الأمر شيئاً في عدائهم لحزب اللّه، ومشروعية قتاله، وجواز سفك دمه، وعدم عصمة ماله، وإباحة عرضه، بل وجوب ذلك، على ما يفهمونه من صيغة فعل الأمر في ظواهر الآيات القرآنية بوجوب قتال الكفار، وليس أصل المشروعية والجواز فقط، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةً﴾[1].

وبما أن تصنيف حزب اللّه في العقيدة السلفية الوهابية الداعشية الحشوية... يقع ضمن هرم الكفّار، فأمام هذا الواقع: إن السؤالين البنيويين اللذين ينبغي أن يطرحا على بساط البحث بلسان حال كل

(١) التوبة:١٢٣.

منتمٍ إلى التشيع وحزب اللّه هما: كيف يفهموننا؟ ولماذا يكفروننا؟

وبعبارة أخرى:

١- كيف ينظر تيار السلفية الوهابية إلى عقائد الشيعة وحزب اللّه؟ وما هي الصورة النمطية المرسومة في أذهانهم عنّا؟

٢- ولماذا يكفّرون الشيعة الإمامية؟ وما هي الأسباب التي تجعلهم يصنِّفون حزب اللّه والشيعة ضمن طبقات الكفّار؟

وكنّا قد قدّمنا الجواب عن هذين السؤالين في ورقة بحثية، ألقيناها في لقاء حواري في معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، وقد شجّعني الحاضرون على تحويل المادة البحثية إلى كتاب تعريفي، يكون في متناول اليدين، وقد رأيت من المناسب أن استجيب لرغبتهم، على الرغم من ضيق الوقت وكثرة الانشغالات، فقمت وفي عجالة بتدوين هذا الكتاب التعريفي، وقد كان في نيتي الإسهاب والتفصيل في بعض المواضع بنحو أوسع، لكن حال دون ذلك أولويات أخرى، فاقتصرت على المقدار المكتوب، إذ ما لا يدرك كلّه لا يترك بعضه، بأمل العمل على إضافة ما ينبغي إلى المباحث التي لم تستوفِ حقها بالمعالجة في الإصدار الثاني إن شاء اللّه تعالى.

ملاحظات حول الكتاب

ونتوقف في المقدمة عند جملة ملاحظات متعلقة بالكتاب:

- أولاً: (اعرف عدوّك) الهدف الرئيس من هذه الدراسة تعريف القارئ وخصوصاً الشيعي الإمامي الاثني عشري على الصورة النمطية المرسومة في ذهن الجماعات التكفيرية عنه، وأسباب

كراهتهم وتكفيرهم له، وحقدهم عليه، بحيث يتشكل لديه مجموعة من المعلومات الأولية عن نظرة عدوّه إليه.

- ثانياً: هذا الكتاب لم يسلِّط الضوء على جميع أسباب كراهة وتكفير الجماعات السلفية الوهابية للشيعة ومن مختلف الجوانب والجهات، بل عالج المسألة من بعض النواحي العقائدية، وهذا لا يعني الاقتصار على نظرية العامل الواحد في تفسير حالة كراهة وتكفير الجماعات السلفية للشيعة، إذ لا ريب في وجود جملة عوامل نفسية، تاريخية، سياسية، معرفية، فقهية، وغيرها، لعبت دوراً نشطاً في تفعيل عنصري الكراهة والتكفير، وتبقى جميعها مورد حاجة في تسليط الضوء عليها لفهم أكثر شمولية وعمقاً حول نظرة هذا التيار إلى الشيعة، ينطلق وفق منهج التحقيب التاريخي للأفكار والتصورات وتطورها وتحولها، من الناحية العقائدية والتشريعية والتفسيرية والروائية والسياسية...

وهذا يؤكد ضرورة العمل على إنشاء مراكز بحوث متخصصة في دراسة الحركات السلفية الوهابية وتقديمها للمجتمع خصوصاً في زمن المعركة، حيث يتمّ دراسة وشرح وبيان عقائدها ومفاهيمها وتشريعاتها وممارساتها التاريخية والمعاصرة وشخصياتها والدور الذي تلعبه في تشويه صورة القرآن الإسلام والنبي الأكرم ﷺ وسلم، وكذلك تدمير الأمة الإسلامية وتحطيم مقدراتها ومواردها البشرية والمعنوية والمادية بفأس الجاهلية والتعصب والحقد...

- ثالثاً: إن فهمنا للصورة النمطية المرسومة في ذهن التيار

السلفي عن الشيعة لم يكن ذا مرجعيات وسيطة تعتمد مصادر غير سلفية، بل استندنا في قراءة وجهة نظرهم إلى كتبهم ومقالاتهم ونصوصهم، وبعبارة أخرى: قرأنا كيف ينظر السلفيون الوهابيون إلى الشيعة من خلال مرآة أنفسهم، لا من خلال مصادر الشيعة مثلاً، لأن هذا هو مقتضى منهجية البحث العلمي في استخراج الأقوال من مصادرها الرئيسة لأصحاب كل مدرسة عقائدية.

- رابعاً: جميع الأفكار الواردة في الكتاب، التي ننسبها إلى التيار السلفي، هي ليست مما يخفونه ويتحرجون من ذكره حتى تكون غير واضحة، بل عند القيام بعملية بحث بسيطة وسريعة على المواقع الإلكترونية لجهاتهم ومؤسساتهم وشخصياتهم، سيجد الباحث على شبكة الأنترنت أن المنتمين إلى التيارات السلفية يتهمون الشيعة بها، لذا لم نجد داعٍ لحشد أقوالهم وتصريحاتهم لأنه يمكن مراجعتها بسهولة من خلال محرّكات البحث كغوغل وغيره.

- خامساً: لم يكن من جملة أهدافنا في مقام البحث حول أي مفهوم عقائدي أو فقهي معالجة ذلك الموضوع بإسهاب من كل جهة، بل نكتفي بمقدار يتحقق به الغرض والهدف بإزالة الغموض ودفع الشبهة، أما الدراسة التفصيلية حول الموضوعات الواردة في الكتاب فتحتاج من القارئ إلى بذل الوقت بالعودة إليها ومراجعتها في المصادر المتخصصة حولها، والمشار إلى بعض منها في هوامش الكتاب.

- سادساً: قسمنا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: عرضنا فيه آراء السلفية الوهابية بشكل مستقل من دون إبداء مناقشة ونقد، وذلك فيما لو رغب القارئ بالاطلاع على تصوراتهم وعقائدهم من دون أن يراجع المناقشة والنقد إما لمعرفته المسبقة وإما لعدم حاجته لها أو لأي سبب آخر. والقسم الثاني: ناقشنا فيه نظرة السلفيين إلى الشيعة جواباً عن محاولة فكّ الارتباط بين التشيع والإسلام من جهة، وفكّ الارتباط بين التشيع وأهل البيت من جهة ثانية. والقسم الثالث: ناقشنا فيه نظرة السلفيين إلى الشيعة جواباً عن موجِبات تهمة التكفير وأسبابها.

الفصل الأول

من هي السلفية؟
وعن أي سلفية نتحدث؟

نبدأ الفصل بتعريف مفردة «السلفية»، وشرح المعنى المقصود بها، بنحو مختصر مناسب لحجم الكتاب.

السلفية في اللغة

من الدروس النحوية في اللغة العربية ما يعرف ببحث المنسوب، والمنسوب باختصار كما عرّفه ابن الحاجب في الشافية، هو الاسم الذي يلحق في آخره ياء مشدّدة من أجل أن تدل على نسبة ذلك الاسم -اللاحقة به الياء- إلى المجرّد عنها[1]. فمثلًا: نقول هذا إنسان عربي، لنشير إلى أنه منتسب إلى العرب، أي أنه منتمٍ إلى جماعة العرب. وكذلك نقول لبناني، أي أنه منتسب إلى لبنان.

ومفردة السلفية أو السلفي، بزيادة ياء النسبة في آخرها، تفيد معنى الانتساب إلى السَّلف. فالسلفية نسبة إلى السّلف. فما معنى السلف؟

قال أحمد بن فارسٍ في معجم مقاييس اللغة: «(سلف): السين واللام والفاء، أصل يدلُّ على تقدّمٍ وسبقٍ. من ذلك: السَّلف الذين مضوا، والقوم السُّلاف: المتقدمون»[2].

فالسَّلَف: هم الجماعة المتقدمون. أي كل جماعة قد مضت،

---

(١) يراجع: رضي الدين الأستر آبادي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق وضبط محمد نور حسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ج٢، ص٤ وما بعد.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ ج٣، ص٩٥.

وسبقت في الزمان جماعة أخرى، تسمى الأولى مقارنة بالجماعة الثانية: السَّلف.

إذاً تطلق مفردة السّلف على كل جماعة متقدمة على غيرها في الزمان، سواء أكان أفرادها بالنسبة للجماعة الثانية أحياء أم أمواتاً، لذلك يكون معنى سَلَف الإنسان: من تقدّمه من آبائه وأجداده الذين هم فوقه في السّن والفضل. وأيضاً بمعنى: من تقدّمه بالموت من آبائه وذوي قرابته[١].

وقد استعملت هذه المفردة في القرآن والروايات بهذا المعنى.

قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[٢]. وسلفاً بمعنى: الجماعة المتقدمين إلى النار، أو بمعنى أنهم قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عذابهم[٣].

وقد روي عن رسول اللّه أنه لما توفي ابنه إبراهيم قال ﷺ وسلم: «الحقْ بالسّلف الصالح عثمان بن مظعون»[٤].

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه في لحظة احتضار الإنسان المعتقد بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول

(١) يراجع: ابن منظور، محمد بن مكرَّم، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م، ج٦، ص٣٣١، مادة: سلف.

(٢) الزخرف: ٥٥-٥٦.

(٣) يراجع: الكاشاني، فتح اللّه بن شكر اللّه، زبدة التفاسير، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٣هـ ج٦، ص٢٦٠.

(٤) ابن عبد البر، يوسف بن عبد اللّه بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص١٠٥٤.

له ملك الموت إذا أراد نزع روحه: «... أبشر بالسَّلف الصالح، مرافقة رسول اللّه، وعلي، وفاطمة (صلوات اللّه عليهم). ثم يسلّ نفسه سلّاً رفيقاً»(١).

فيتبيّن باختصار: أنّ السلفية في اللغة تعني السبق والتقدم الزماني بالقياس إلى اللحظة الراهنة والحاضر.

السلفية كمنهج

هذا بالنسبة للمعنى اللغوي، أما السلفية في الاستعمال الاصطلاحي فلها معنيان:

المعنى المنهجي للسلفية: والمقصود به: الحياة الفكرية والعقائدية والتشريعية والأخلاقية والسلوكية، التي عاشتها الأمة الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى من صدر الإسلام، أي: عهد الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين(٢).

قال الحصفكي: «الفرق بين السلف والخلف، أن السلف الصالح

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٥هـ.ش، ج٣، ص١٣١.

(٢) أنظر: الحصكفي، محمد علاء الدين، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج٧، ص٥٨٠. وج٦، ص٢٧. والمباركفوري، محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ج٤، ص١٣٥.
الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام. أما التابعي: هو من لقي أحد الصحابة مؤمناً بالنبي ومات على الإسلام. أما تابع التابعي: هو من لقي أحد التابعين مؤمناً بالنبي ومات على الإسلام. يراجع: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، دار طريق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص٦٦. الكحلاني الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام، تعليق محمد عبد العزيز الخولي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٤، ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م، ج٤، ص٢٣١.

الصدرُ الأول من التابعين، منهم أبو حنيفة رضي اللّه عنه. والخَلَف بالفتح: مَنْ بعدهم في الخير»[١].

وقال المباركفوري: «سلف الإنسان من تقدمه بالموت من الآباء وذوي القرابة، ولذا سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح»[٢].

والسلفية بهذا المعنى لها دلالة شاملة لكل المسلمين، وغير مختصة بمن يطلق عليها اليوم اسم: الفرقة السلفية أو المذهب السلفي، فكل جماعة إسلامية في العقيدة سواء أكانوا إمامية أم زيدية أم أشاعرة أم ماتريدية أم معتزلة أم حنابلة... إلخ، يعتقدون بكون صحابة رسول اللّه والتابعين لهم بإحسان هم سلف صالح لنا.

قال الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ): «ومما يشهد لإمامة أمير المؤمنين ويؤيد القول بصحة وجود **السّلف للشيعة في الصدر الأول**، من النظم المتفق على نقله أيضاً، قول أمير المؤمنين عليه السلام بصفين وهو يرتجز للمبارزة:

أنا علي صاحب الصمصامة[٣] وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو نبي اللّه ذي العلامة قد قال إذ عمّمني العمامة
أنت أخي ومعدن الكرامة ومن له من بعدي الإمامة»[٤]

(١) الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ج٧، ص٥٨٠. ويراجع المصدر نفسه: ج٦، ص٢٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٤، ص١٣٥.

(٣) الصمصامة: اسم للسيف القاطع، وكذلك اسم للأسد. العين، ج٧، ص٩٣.

(٤) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الفصول المختارة، تحقيق السيد علي مير شريفي، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص٢٨٩.

فالسلفية بهذا المعنى ذات دائرة واسعة، وهي بهذا المدلول في الحقيقة منهج تفكير وطريقة حياة، لأن كل مسلم يقتدي في المحصّلة برسول اللّه والصحابة والتابعين، فحتى الشيعة الإمامية، يتأسون برسول اللّه، ويتبعون علي بن أبي طالب وابنيهما الحسن والحسين، وهم من الصحابة (وكذلك سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وجابر بن عبد اللّه الأنصاري وابن عباس...)، ويقتدون بعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد الباقر وهم من التابعين، وبجعفر الصادق وموسى الكاظم وباقي الأئمة عليهم السلام وهم من تابعي التابعين... فهل باؤهم تجرّ وباؤنا لا تجرّ؟!

فإذا كان المقصود بالسلفية المعنى المنهجي، فكل مسلم هو سلفي، ولا تكون السلفية حكراً على فرقة بعينها وجماعة بخصوصها، حتى تتغنى بأنها هي التي تتبع سنة رسول اللّه ومنهج الصحابة والتابعين، لتصوّر نفسها أنها على منهاج النبوة دون غيرها من المذاهب الإسلامية، ولتُظهر نفسها بنحو متمايز عن الآخرين يجعلها كأنّها هي لبّ الإسلام وجوهره والممثلة الرسمية للإسلام وسواها يقع على الهامش بل خارج دائرة الإسلام.

يقول السيد القائد علي الخامنئي حفظه اللّه: «السّلفية إذا كانت تعني العودة إلى أصول القرآن والسنة والتمسك بالقيم الأصيلة ومكافحة الخرافات والانحرافات وإحياء الشريعة ورفض التغرب، فلتكونوا جميعاً سلفيين.

وإذا كانت بمعنى التعصب والتحجر والعنف في العلاقة بين

الأديان والمذاهب الإسلامية فإنها لا تنسجم مع روح التجديد والسماحة والعقلائية التي هي من أركان الفكر والحضارة الإسلامية، بل ستكون داعية لرواج العلمانية والتخلي عن الدين»[1].

وهذا ما دعا الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي -الذي قتل في محرابه على يد أتباع ما يسمى بـ: «السلفية الجهادية»- أن يؤلّف كتاباً تحت عنوان: **«السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي»**، فبعد أن عرض الشيخ البوطي أن المقصود بالسلفية هذا المعنى المنهجي وهو عبارة عن التزام المنهج الذي تمسك به السلف الصالح في فهم كتاب اللّه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام بنحو لا يؤدي ذلك إلى الانحباس في حرفية الكلمات التي نطقوا بها أو المواقف الجزئية التي اتخذوها، قال: «... إنّ من الخطأ بمكان أن نعمد إلى كلمة (السلف) فنصوغ منها مصطلحاً جديداً، طارئاً على تاريخ الشريعة الإسلامية والفكري الإسلامي، ألا وهو (السلفية) فنجعله عنواناً مميّزاً تندرج تحته فئة معينة من المسلمين، تتخذ لنفسها من معنى هذا العنوان وحده مفهوماً معيناً، وتعتمد فيه على فلسفة متميزة، بحيث تغدو هذه الفئة بموجب ذلك جماعة إسلامية جديدة، في قائمة جماعات المسلمين المتكاثرة والمتعارضة بشكل مؤسف في هذا العصر، تمتاز عن بقية المسلمين بأفكارها وميولاتها، بل تختلف عنهم حتى بمزاجها النفسي ومقاييسها الأخلاقية، كما هو الواقع اليوم فعلاً.

بل لا نعدو الحقيقة إن قلنا: إن اختراع هذا المصطلح بمضامينه

---

(١) خطبة السيد علي الخامنئي في صلاة الجمعة بطهران بتاريخ:٣-٢-٢٠١٢. على الرابط التالي:http://www.leader.ir/langs/ar/index.php?p=bayanat&id=9092

الجديدة التي أشرنا إليها، بدعة طارئة في الدين، لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأمة ولا الخلف الملتزم بنهجه...»[١].

وبهذا يظهر ما في كلام أحمد بن حجر آل بو طامي من مغالطة، حيث قال في بيان معنى السلفية: «ما كان عليه الصحابة رضوان اللّه عليهم، وما كان عليه أعيان التابعين لهم بإحسان، وما كان عليه أتباعهم وأئمة الدين ممن شُهِد له بالإمامة، وعُرف عظيمُ شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، كالأئمة الأربعة، والسفيانيين، والليث بن سعد، وابن المبارك النخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رُمِي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج، والروافض، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، وسائر الفرق الضالة»[٢].

حيث عدّ الروافض ويعني بهم الشيعة، خارج دائرة السّلف، وبالتالي داخل دائرة الابتداع وخارج دائرة الدين، مع أنّ الشيعة هم أشدّ الناس تمسّكاً بمنهج رسول اللّه والصحابة والتابعين لهم بإحسان.

السلفية كمذهب

ومن هذه النقطة ندخل لنبيّن المعنى الاصطلاحي الثاني للسلفية، أي المعنى المذهبي للسلفية.

لقد عاش الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر

---

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، ص١٣-١٤.

(٢) آل بو طامي، أحمد بن حجر، العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، حاشية ص١٦.

الهجري -ق ١٨م-، وألّف كتباً تحتوي على آراء وعقائد تعود جذورها إلى أفكار (شيخ الإسلام)أحمد بن عبد الحليم **ابن تيمية الحراني الحنبلي** (ت ٧٢٨هـ) وفرقة الحشوية الحنبلية، وقد راجت أفكاره وتصوراته الدينية في الجزيرة العربية لأسباب وعوامل سياسية ومخابراتية واجتماعية وقَبَلية وغيرها، عالجها المؤرخون في كتبهم عن حياته ومذهبه، وكانت دعوته تقوم على محاربة البدع والخرافات الرائجة في الأمة الإسلامية -من وجهة نظره-، وقد اصطُلح على أتباع أفكار محمد بن عبد الوهاب اسم: «**الوهابية**»، والتي هي المذهب الرسمي اليوم للمملكة العربية السعودية. ولمّا وَجَد أتباع محمد بن عبد الوهاب أن هذه التسمية توحي بأن خصائص مذهبهم تقف عند هذه الشخصية، وهذا يخالف منهج التمسك بالسلف والاقتداء بهم، استبدلوا كلمة الوهابية بمفردة «السلفية»، وروّجوا هذا اللقب الجديد لهم كعنوان على مذهبهم المعروف ليوحوا إلى الناس بأن أفكار مذهبهم وعقائدهم تعود إلى السلف الصالح في فهم الإسلام[١].

إذاً تطور مصطلح السلفية، وتضيق معناه، ليصبح مذهباً لا منهجاً. فاليوم، تطلق السلفية ويراد بها تلك الجماعة الخاصة التي ظهرت ابتداء من القرن الـ٤ الهجري مقتدية بالإمام أحمد بن حنبل، الذي أحيا عقيدة السلف، وقام بمحاربة العقائد الأخرى. ثم تجدد إحياء عقيدة السلف على يد ابن تيمية في القرن الـ٧ هـ، ثم تجدد في القرن الـ ١٢ هـ على يد محمد بن عبد الوهاب[٢].

---

(١) يراجع: البوطي، المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) يراجع: العقائد السلفية، المصدر السابق ص٩-١١. وأبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، ج١، ص٢٢٥.

مع الإشارة، إلى أنه ليس كلّ حنبلي هو سلفي بالمعنى المعاصر الذي تطورت له هذه المفردة، لأن أحمد بن حنبل هو أحد الأئمة الأربعة المقلَّدون في الفقه عند أهل السنة والجماعة -الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي-، فقد يكون الإنسان السني أشعرياً أو ماتريدياً أو صوفياً من حيث العقيدة، لكنه يتعبد بفقه الإمام أحمد بن حنبل في الفقه.

ومع ذلك لا يعني هذا فك الارتباط نهائياً ما بين السلفية والحنبلية، لأن السلفية ولدت من رحم ما يعرف بـ: «**الحشوية الحنبلية**»، التي تقوم عقيدتها على التشبيه والتجسيم في الألوهية والجبر والاضطرار في الأفعال الإنسانية.

يقول ابن عساكر في كتابه: «**تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**» ما نصه: «في منتصف القرن الخامس استفحل أمر هؤلاء الحشوية ببغداد، حتى أخطر أمثال أبي إسحاق الشيرازي وأبي بكر الشاشي وغيرهما من أئمة الشافعية، أن يكتبوا محضراً عليه خطوطهم ورفعوه إلى نظام الملك، ومن جملة ما فيه: إنّ جماعة الحشوية والأوباش الرعاع المتسمين بالحنبلية، أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمخازي الشنيعة ما لم يتسمّع به ملحد فضلاً عن موحِّد، ولا تجوز به قادح في أهل الشريعة، ولا معطِّل.

ونسبوا كل من ينزه الباري تعالى عن النقائص، وينفي عنه الحدود والتشبيهات، ويقدسه عن الحلول والزوال، ويعظمه عن التغيير من حال إلى حال، وعن حلوله في الحوادث فيه، إلى الكفر والطغيان...»[1].

---

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تبين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام أبي الحسن =

وقد تعرضت هذه الفرقة «الحشوية الحنبلية» لهجوم عنيف حتى من قبل بعض علماء الحنابلة أنفسهم، كأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي (ت٥٩٧) في كتابه: **«دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»**[1].

ولسنا في هذا الكتاب بصدد بيان وعرض عقائد السلفية أساساً، بل في مقام عرض وجهة نظر السلفية تجاه الشيعة.

وعلى كل حال، من باب تحديد المفهوم، نقصد بالسلفية في هذا الكتاب، **تلك الفرقة التي تنتمي إلى مدرسة الحشويّة الحنبلية بالمعنى الواسع للكلمة، وأفكارها مستمدة من الصورة التي رسمها ابن تيمية عن الإسلام عقيدة ومفاهيماً وتاريخاً... وأعاد تقديمها محمد بن عبد الوهاب في الفرقة المنسوبة إليه «الوهابية».**

والجماعات السلفية بمختلف ألوانها وعلى امتداد العالمين العربي والإسلامي (في السعودية واليمن والعراق ومصر وسوريا وفلسطين والأردن والمغرب والجزائر وتونس وموريتانيا وباكستان وأفغانستان...) تشرب من نفس هذا المنبع في العقيدة والمفاهيم والقيم والشريعة.

ومن ضمن جماعات هذا المذهب السلفي المعاصر ما يطلق عليه اليوم اسم السلفية الجهادية، التي ظهرت جذورها منذ سبعينات وثمانينات القرن الماضي على يد بعض الشخصيات (أمثال: أبو محمد

= الأشعري، مطبعة التوفيق، دمشق، ١٣٤٧هـ. نقلاً عن كتاب: هذه هي عقيدة السلف والخلف، ابن خليفة عليوي، ص٨٩. مطبعة زيد بن ثابت، دمشق.

(١) الكتاب مطبوع بتحقيق حسن بن علي السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت. ط٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

المقدسي، أبو قتادة الفلسطيني، عبد اللّه عزام، أيمن الظواهري، أبو مصعب السوري...) وتشتمل السلفية الجهادية اليوم على تنظيمات مثل: القاعدة، جبهة النصرة لأهل الشام، الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)...

لماذا اختيار القرون الثلاثة الأولى دون غيرها؟

وعود على بدء، عادة ما يطرح السؤال التالي: لماذا حصر الزمان الذي يشمله مصطلح السلفية بالقرون الثلاثة الأولى من التأريخ الهجري دون غيرها؟

والجواب: أن سبب هذا الاختيار والتحديد، ينطلق من فكرتي: **الخيرية والنجاة.**

ففي حديث رواه البخاري بسنده عن عبد اللّه بن مسعود، قال رسول اللّه ﷺ وسلم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[1].

وعن رسول اللّه ﷺ، قال: «... تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.

قالوا: وما تلك الفرقة؟

قال ﷺ: من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[2].

فخير القرون هي الثلاثة الأولى الهجرية. والفرقة الناجية هي

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ج٣، ص١٥١.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط،دار العلمين، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج٨، ص٢٢.

الفرقة التي تتمسك بمنهاج النبي وأصحابه. من هنا، يعتبر أتباع المذهب السلفي أنفسهم خير جماعة أخرجت للناس، وكثيراً ما يعبرون في أدبياتهم عن المذهب السلفي بـ: **«الفرقة الناجية»**، وقد يعبرون عن أنفسهم أيضاً بـ: **«الطائفة المنصورة»**، وذلك لما ورد عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللّه»[1].

ويعبّرون في أدبياتهم عن الشيعة بـ: **«الطائفة المخذولة»** و**«الفرقة الهالكة»**.

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (المعروف بصحيح مسلم)، دار الفكر، بيروت، ج٦، ص٥٢.

الفصل الثاني

النظرة السلفية إلى الشيعة

المبحث الأول

الشيعة: رافضة وغلاة

في هذا المبحث نسلط الضوء على رأي أعلام تيار السلفية في فهمهم لمفردة: «**الشيعة**»، فكيف يفهم السلفيون الوهابيون معنى مصطلح الشيعة؟

الشيعة: الرافضة / الغلاة

إنّ الراصد لأدبيات أعلام التيار السلفي يلاحظ بوضوح حالة التلازم الذهني عندهم بين مفردتي: «**الشيعة**» و«**الرافضة**» من جهة، و«**الشيعة**» و«**الغلاة**» من جهة أخرى، بحيث يتم استعمالهما على نحو الترادف في المعنى، لذا يستبدلون الأولى بالثانية أو الثالثة في أدبياتهم وخطاباتهم ونصوصهم.

واستعمال مصطلح الرافضة والغلاة بدل كلمة الشيعة ليس مجرد تسمية لفظية وتفنن أدبي على مستوى تغيير العبارة، وليس مجرد وصف لعقيدة الآخر الشيعي الواقع خارج دائرتهم الفكرية، وإنما يتضمن موقفاً عقائدياً يتعلق بقضية الإمامة وخلافة النبي ﷺ، وله تحميلات ومدلولات تشريعية وفقهية خاصة، تصل إلى حدّ أنه

بمجرد القول: هذا رافضي، هذا مغالٍ، هذا شيعي، معناه أن دمه وماله وعرضه حلال وفي دائرة الإباحة وعدم العصمة.

يقول الشيخ عبد الرحمن البراك: «الرافضة الذين يسمون أنفسهم الشيعة، ويدعون حبّ آل بيت الرسول ﷺ، هم شرّ طوائف الأمة، وقد كان المؤسس لهذا المذهب يهودي اسمه عبد اللّه بن سبأ، وأصحابه السبئية الغلاة الذين ادعوا الإلهية في علي رضي اللّه عنه، وورثتهم يألِّهون أئمتهم من ذرية علي رضي اللّه عنه، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، وإذا أظهروا الإسلام وكتموا اعتقادهم كانوا منافقين، وهؤلاء من غلاة طوائف الرافضة الذين قال فيهم بعض العلماء: إنهم يظهرون الرفض، ويبطنون الكفر المحض.

ومن الرافضة السبّابة الذين يسبون أبا بكر وعمر ويبغضونهما، ويبغضون سائر الصحابة، ويكفرونهم، ويفسقونهم إلا قليلاً منهم. وفي مقابل ذلك يغلون في علي رضي عنه وأهل البيت، ويدعون لهم العصمة، ويدعون أن علياً رضي اللّه عنه هو الأحق بالأمر بعد النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ أوصى بذلك، وأن الصحابة كتموا الوصية، واغتصبوا حق علي في الخلافة، فجمعوا بين الغلو، والجفاء»[1].

فيتضح من هذا الكلام، أن المشكلة الأولى تتجسد في تحميل مصطلح الشيعة معنى سلبياً يؤدي إلى الكفر الصريح، فالشيعة هم الذين غلوا وأفرطوا في حب علي وحب أهل بيته. وهذه التهمة ليست جديدة على الشيعة، يقول علقمة: «لقد غلت هذه الشيعة في علي كما

(١) http://albarrak.islamlight.net/index.php?option=com_ftawa&task=view&id=18080

غلت النصارى في عيسى بن مريم»[1]. ويعتبر أنصار هذا التيار أن بدعة الغلو عند الشيعة حدثت في خلافة علي بعد بدعة الخوارج، من خلال شخص اسمه عبد اللّه بن سبأ اليهودي.

ولكوننا سنعالج في المباحث اللاحقة تهمة الغلو ويهودية التشيع بشكل مفصّل، ندع البحث عن هذين الأمرين إلى الموضع المخصص لهما، ونتوقف في هذا المبحث عند تشريح وجه تسمية الشيعة بالرافضة.

ما هو وجه تسمية الشيعة بـ «الرافضة»؟

الرفض في اللغة العربية بمعنى: ترك الشيء. والروافض لغةً: جنود تركوا قائدهم وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة[2].

وإذا أردنا استقراء مصطلح الرافضة في عملية تحقيب تاريخي، ليس بين أيدينا من النصوص التاريخية ما يفيد استعمال هذا المصطلح كاسم بحق شيعة علي في زمن الخلفاء الثلاثة -أبي بكر، عمر، وعثمان-، بل ولا حتى في زمن معاوية بن أبي سفيان. وتفيد المصادر اللغوية والتاريخية بأن أول من أطلق هذه التسمية على جماعة خاصة من الشيعة هو زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

يقول ابن منظور: «الروافض: قوم من الشيعة، سمّوا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي. قال الأصمعي: كانوا بايعوه، ثم قالوا له: ابْرأ من

---

(١) الحربي، أبي إسحاق إبراهيم بن اسحاق، غريب الحديث، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ ج٢، ص٥٨١.

(٢) لسان العرب، ج٥، ص٢٦٧، مادة: رفض.

الشيخين -يعني أبا بكر وعمر- نقاتل معك. فأبى. وقال: كانا وزيري جدّي، فلا أبرأ منهما. فرفضوه، وارفضّوا عنه. فسموا: رافضة»[1].

ثم تطور المصطلح لاحقاً ليستعمل في ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: الرافضة: هم كل فرق الشيعة، لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر. وهذا المعنى هو ما أفاده أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات، حيث قال: «إنما سمّوا الرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر»[2].

وهذا الاستعمال له جذور في الحوار الذي دار بين زيد بن علي وبين الجماعة التي رفضت مبايعته، لأن رفض بيعته كان بسبب أنه أبى البراءة من الشيخين التي هي شرط البيعة له، مما يعني رفضها لخلافتهما.

المعنى الثاني: الرافضة: هم الشيعة أيضاً، سمّوا كذلك لأنهم كانوا معارضين للسلطات الحاكمة في زمن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ورفضوا خلافة تلك الحكومات الظالمة، التي اغتصبت حق أهل البيت في الخلافة، وهذا المعنى أوسع دائرة من الأول استعمالاً.

والثالث: الرافضة: هم كل من أحبّ علياً وأهل بيت النبوة عليهم السلام، حتى لو كان من الفرق العقائدية السنيّة، كما يظهر ذلك بوضوح من الشعر المنسوب إلى الشافعي[3]، كقوله:

---

(١) لسان العرب، المصدر نفسه.

(٢) الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ج١، ص٨٩.

(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٩١. والسبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، ج١، ص٢٩٩.

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وهذا المعنى أوسع دائرة من المعنيين السابقين.

وفي مختلف الأحوال: أصبحت مفردة الرافضة اسماً وعَلَماً على كل من أحب أهل بيت النبي وتولاهم بالإمامة وتبرأ من خلافة خصومهم وأعدائهم.

بدء ظهور مصطلح الرافضة في النصوص الروائية

وإطلاق مصطلح الرافضة على الشيعة ليس بالشأن المستحدَث والطارئ على التراث الإسلامي. فبالعودة إلى المجاميع الروائية التي كتبها علماء الشيعة، نلاحظ أن هذه المفردة أول ما ظهرت في عهد الإمام الباقر عليه السلام.

- عن أبي بصير، قال: «قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك! اسم سمينا به، استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا!

قال -الباقر عليه السلام-: وما هو؟

قال: الرافضة...»[1].

- وعن أبي الجارود قال: «أصمّ اللّه أذنيه كما أعمى عينيه، إن لم يكن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ فلاناً سمّنا باسم. قال: وما ذاك الاسم؟ قال: سمّانا الرافضة.

فقال أبو جعفر عليه السلام -وأشار- بيده إلى صدره: **وأنا من الرافضة،** وهو منّي. قالها ثلاثاً»[2].

---

(١) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن (الأخلاق والآداب)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م،ج١، ص١٠٣، ح٣.

(٢) ن.م، ج١، ص١٠٣، ح٢.

والنقطة المثيرة للاهتمام في نص الرواية الواردة عن أبي بصير، أنها تفيد بوضوح كون هذا المصطلح إنما استخدم لتبرير تحميله تضمنات سلبية تصل إلى حد إباحة ولاة الجور والظلم لدم الشيعي وعرضه وماله وتعذيبه وسجنه وملاحقته وتهجيره وقتله...، كما تفعل المخابرات السعودية وداعش والنصرة والقاعدة وأخواتهم.

وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً، من أن مصطلح الرافضة مشحون ومثقل بمدلولات تفيد عدم عصمة الشيعي في أي جانب من جوانب حياته.

وكذلك كان الشأن في عهد الإمام الصادق، ومن ثم ولده الكاظم، وكذا في عهد ولده الرضا وأولاده عليهم السلام، حيث كانت هذه التهمة -أي الرافضي- تؤدي إلى القتل، كما هو واضح في الروايات المذكورة أدناه.

ففي خبر داود الرقي، قال: «...[1] فخرجنا من عنده -أي من عند الإمام الصادق عليه السلام-، وكان ابن زربي إلى جوار بستان أبي جعفر المنصور، وكان قد ألقي إلى أبي جعفر أمر داود بن زربي، **وأنه رافضي**، يختلف إلى جعفر بن محمد عليه السلام. فقال أبو جعفر المنصور: إني مطلع إلى طهارته، فإن هو توضأ وضوء جعفر بن محمد فإني لأعرف طهارته **حققت عليه القول وقتلته**.

(١) بداية الرواية: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له جعلت فداك كم عدة الطهارة؟ فقال عليه السلام: أما ما أوجبه الله فواحدة، وأضاف إليها رسول الله واحدة لضعف الناس، ومن توضأ ثلاثاً فلا صلاة له.
أنا معه في ذا، حتى جاء داود بن زربي، فسأله عن عدة الطهارة؟
فقال له: ثلاثاً ثلاثاً، من نقص عنه فلا صلاة له.
قال: فارتعدت فرائصي، وكاد أن يدخلني الشيطان. فأبصر أبو عبد الله إليَّ وقد تغيّر لوني.
فقال: اسكن يا داود، هذا هو الكفر أو ضرب الأعناق...».

فاطلع وداود يتهيأ للصلاة من حيث لا يراه، فأسبغ داود بن زربي الوضوء ثلاثاً كما أمره أبو عبد الله.

فما أتم وضوءه حتى بعث إليه أبو جعفر المنصور، فدعاه، قال: فقال داود: فلما أن دخلت رحب بي، وقال: يا داود، قيل فيك شيء باطل، وما أنت كذلك، قد اطلعت على طهارتك وليس طهارتك **طهارة الرافضة**، فاجعلني في حلّ، وأمر له بمائة ألف درهم...[1]»[2].

وتشابهها رواية علي بن يقطين، حيث «كتب إلى أبي الحسن موسى الرضا عليه السلام يسأله عن الوضوء. فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء، والذي آمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلل شعر لحيتك، وتغسل يديك إلى المرفقين ثلاثاً، وتمسح رأسك كله، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً، ولا تخالف ذلك إلى غيره، فلما وصل الكتاب إلى علي بن يقطين

---

(١) تتمة الرواية: «قال: فقال داود الرقي: التقيت أنا وداود بن زربي عند أبي عبد الله عليه السلام، قال: فقال داود بن زربي: جعلت فداك حقنت دماءنا ونرجو أن ندخل بيمنك وبركتك الجنة.
فقال أبو عبد الله عليه السلام: فعل الله ذلك بك وبإخوانك من جميع المؤمنين.
فقال أبو عبد الله عليه السلام لداود بن زربي: حدث داود الرقي بما مر عليكم حتى تسكن روعته، قال فحدثته بالأمر كله. قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: لهذا أفتيته، لأنه كان أشرف على القتل من يد هذا العدو، ثم قال: يا داود بن زربي توضأ مثنى مثنى، ولا تزدن عليه، فإن زدت فلا صلاة لك».

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي، تصحيح وتعليق ميرداماد، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٤هـ ج٢، ص٦٠٠. وسنستفيد من هذه الرواية وأمثالها في مبحث التقية، في الجواب عن سؤال: لماذا استخدم الشيعة التقية في حياتهم الإيمانية في ظل السلطات المستبدة الظالمة؟ والجواب باختصار: ملاحقة السلطة السياسية لهم والتنكيل بهم وحبسهم وقتلهم وضرب الأعناق...

تعجب مما رسم له أبو الحسن عليه السلام فيه مما جميع العُصابة على خلافه. ثم قال: مولاي أعلم بما قال، وأنا أمتثل أمره، فكان يعمل في وضوئه على هذا الحد ويخالف ما عليه جميع الشيعة، امتثالاً لأمر أبي الحسن عليه السلام. وسُعي بعلي بن يقطين إلى الرشيد، وقيل: إنه رافضي، فامتحنه الرشيد من حيث لا يشعر، فلما نظر إلى وضوئه، ناداه: كذب يا علي بن يقطين من زعم أنك من الرافضة، وصلحت حاله عنده -أي عند الرشيد-. وورد عليه كتاب أبي الحسن عليه السلام: ابتدئ من الآن يا علي بن يقطين، وتوضأ كما أمرك الله تعالى، اغسل وجهك مرة فريضة، وأخرى إسباغاً، واغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح بمقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما كنا نخاف منه عليك»[1].

وفي رواية استشهاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ورد أن السندي بن شاهك أمر يحيى بن خالد البرمكي أن ينادي على جثمان الإمام الكاظم عند موته: «هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه...»[2].

وقد كان يطلق على أئمة الشيعة أيضاً من قبل خصوم خط أهل البيت عليهم السلام اسم: «إمام الرافضة»[3].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ج٢، ص٢٢٨.

(٢) الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٣٤.

(٣) يراجع: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري، محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص١٩٠. ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٥٣، في وصف الإمام =

كما استعملت أيضاً في عهد متأخر بحق علماء مدرسة أهل البيت، كالمفيد والغضائري والأشعري، وابن ادريس القمي، وغيرهم...، فكانوا يعرفون عند المدارس الأخرى بـ: إمام الرافضة، عالم الرافضة، وشيخ الرافضة[1]...

وعلى كل حال، تتجسد المشكلة الأولى في استعمال هذا المصطلح أنه يتضمن تحميلاً سلبياً في إباحة دم وعرض ومال الرافضي أي الشيعي.

= الصادق بـ: «إمام الرافضة». ويراجع: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، تعليق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ج٢، ص٩٣، في وصف الإمام الكاظم بـ: «إمام الرافضة». ويراجع: الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٩ هـ، ج١، ص٣٧١، في وصف الإمام الرضا بـ: «إمام الرافضة». ويراجع: النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ج١٢، ص٢٦٧، ح١٤٠٦٩، في وصف الإمام الجواد بـ: «إمام الرافضة». ويراجع: الكافي، ج١، ص٥٠٤، في وصف الإمام العسكري بـ: «إمام الرافضة».

(١) يقول ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، ج١، ص٢٦٠: بحق أحمد بن عيسى الأشعري: «شيخ الرافضة بقم، له تصانيف وشهرة...». ويقول الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٢٢٤: بحق الغضائري الحسين بن عبيد الله: «شيخ الرافضة...». ويقول الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج٢، ص٤٥٥: «ابن المعلم -أي الشيخ المفيد- شيخ الرافضة ومتكلمها...». ويقول الحنبلي، عبد الحي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص١٩٩: «ابن المعلم، عالم الشيعة، إمام الرافضة...». ويقول الذهبي في ميزان الاعتدال، ج٤، ص٣٠، رقم:٨١٤٣: «الشيخ المفيد، عالم الرافضة...». ويقول العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، ج٩، ص٢٦٧: «... فيها توفي شيخ الرافضة، جمال الدين الحسين بن يوسف بن المطهر الحلي...». وغيرها من الشواهد الكثيرة.

أحاديث مكذوبة عن أهل بيت النبوة في الرافضة

وفي هذا السياق العام، نجد في بعض كتب الرواية والتاريخ وضع واختلاق بعض الأحاديث المكذوبة على النبي والإمام علي وزوجته فاطمة وولدهما الحسن صلوات اللّه عليهم، لتشويه معنى التشيع، والذي يفيد كون هذه الأحاديث موضوعة مكذوبة في عهد متأخر عن زمن النبوة، أننا كما ذكرنا لم نرَ استخدام هذه المفردة بحق أتباع علي في الصدر الأول ولو كانت هذه الأحاديث صادرة عن النبي وأهل بيت النبوة أو كانت موضوعة في عهد قريب من عصر أصحاب الكساء لكان خصومهم وأعداؤهم عليهم السلام استخدموها بحق الشيعة في زمن متقدم خصوصاً في زمن معاوية الذي «كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه»[1]. ويكتب تارة أخرى: «من اتهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكِّلوا به واهدموا داره»[2].

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٥.
(٢) نفس المصدر.

عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة...»[1].

فبناء على هذه النظرة، كان معاوية وزياد ابن سميّة أحق باستخدامهما لتبرير أفعالهما بحق الشيعة، مع أن التاريخ لا يسجل لنا استعمال هذه المصطلح في زمان معاوية أو ابنه يزيد بحق الشيعة، وكان المراد بهذه الأحاديث التي سنوردها الوقوف في وجه الأحاديث الصحيحة الصادرة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله بحق شيعة علي، والأخطر من ذلك أنها واردة في سياق تحليل دم الشيعة مما يتناسب مع سياسة السلطة الحاكمة في ذلك الوقت كما اتضح من الروايات السابقة في كتب الحديث الشيعية، وهذه الروايات المكذوبة على قسمين: منها ما هو موضوع أصلاً، ومنها ما هو تحريف لحديث صحيح بإضافة عجز أو ذيل يخرجه عن إيجابية المدلول والمعنى إلى أن يصبح سلبياً.

من هذه الأحاديث -بغض النظر عن المحاكمة السندية لهذه الأحاديث، لأنها كلها ضعيفة وفق مباني علم الرجال والدراية عند علماء مدرسة أهل البيت- نذكر بعضها:

- فقد رووا عن فاطمة بنت محمد عليها السلام قالت: «نظر رسول اللّه إلى علي، فقال: إن هذا في الجنة، وإن من شيعته قوماً يغطون

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج١، ص٤٤.

الإسلام يلقطونه، لهم نبز، يسمون: الرافضة، فمن لقيهم فليقتلهم إنهم مشركون»[١].

- وعن علي عليه السلام قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يا علي، أنت وشيعتك في الجنة، وإن قومًا لهم نبز، يقال لهم: الرافضة، إن لقيتهم فاقتلهم؛ فإنهم مشركون»[٢].

قال علي عليه السلام: «ينتحلون حبنا أهل البيت، وليسوا كذلك، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر»[٣].

وفي نص آخر... قال علي عليه السلام: يا نبي اللّه، ما العلامة فيهم؟ قال النبي: «يقرظونك بما ليس فيك، ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم»[٤].

ومن علامات الرافضة في مثل هذه الروايات أنهم: «يسبون أبا بكر وعمر»[٥]، و«يطعنون في السلف الأول»[٦].

وفي رواية عن ابن عباس، قال: كنت عند النبي، وعنده علي، فقال

---

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج٤٢، ص٣٣٤. الهندي، علي المتقي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتصحيح بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ج١١، ص٣٢٤.

(٢) الهندي، كنز العمال، ج١١، ص٣٢٤.

(٣) ابن عساكر، نفس المصدر السابق.

(٤) الضحاك الشيباني، عمرو بن أبي عاصم، كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم محمد ناصر الدين الألباني)، المكتب الإسلامي، برقيا، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٤٦٠.

(٥) كنز العمال، م.س. قال علي: يكون بعدنا أقوام ينتحلون مودتنا يكونون علينا مارقة، وآية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر.

(٦) ابن عساكر، م.س.

النبي: «يا علي، سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت، لهم نبز، يسمون الرافضة، قاتلوهم فإنهم مشركون»(١).

ولم ترد هذه النصوص بخصوصية زمانية متعلقة بعهد الإمام علي عليه السلام. فعن علي، قال: «يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبز، يقال لهم: الرافضة، يعرفون به، ينتحلون شيعتنا، وليسوا من شيعتنا، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر، أينما أدركتموهم فاقتلوهم؛ فإنهم مشركون»(٢).

فهذه الروايات تفيد أن مفهوم الرفض متقوّم بأمرين:

١ - التنقيص من صحابة رسول اللّه: السب والشتم والطعن على صحابة رسول اللّه والسلف الأول، خصوصاً أبي بكر وعمر.

٢ - الغلو في محبة أهل البيت: كما توحي به عبارة «يقرظونك بما ليس فيك» و«إنهم مشركون»، فهؤلاء الجماعة ينتحلون حب أهل البيت كذباً ويدعون التشيع زوراً.

النتيجة المترتبة على ذلك: الشرك والكفر، وبالتالي وجوب قتلهم وقتالهم، «إن لقيتهم فاقتلهم» و«أينما أدركتموهم فاقتلوهم»، و«قاتلوهم فإنهم مشركون»...

الخلاصة: الشيعة بين التقصير والغلو

إذاً الصفتان الرئيستان اللتان تميزان الشيعة من وجهة نظر السلفية (ومما يؤسف له تعمّ هذه النظرة غير السلفية أيضاً من بعض مذاهب أهل السنة) هما: الغلو والتقصير.

---

(١) كنز العمال، م.س.

(٢) ابن عساكر، ج٢٦، ص٣٤٤. وكنز العمال، م.س.

التقصير هو في الرفض والجفاء والتفريط والطعن بحق صحابة رسول اللّه من جهة، والغلو هو في تجاوز الحد في حب وتقديس علي وأهل بيته عليهم السلام والإفراط بحقهم ورفعهم فوق شأنهم.

قال الفيومي في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، باب الراء مادة رفض: «والرافضة فرقة من شيعة الكوفة، سموا بذلك لأنهم رفضوا أي تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة، فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة»[1].

وسيأتي -لاحقاً- البحث حول كلا الأمرين: موقف الشيعة من الغلو، وموقفهم من الصحابة.

تحويل أئمة أهل البيت مصطلح الرافضة من المدلول السلبي إلى المعنى الإيجابي

تقدّم في حديث سابق عن الإمام الباقر عليه السلام أنه أشار إلى صدره وقال ثلاث مرات: «وأنا من الرافضة»، وهذا النص يعني أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام قد عملوا على تحويل المصطلح من المعنى السلبي إلى المعنى الإيجابي، وهذا ما نلمسه بوضوح في عدة روايات، منها:

عن سليمان الأعمش، قال: «دخلت على أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليه السلام، وقلت له: جعلت فداك إن الناس يسمونا روافض، فما الروافض؟

---

(١) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ ج١، ص٢٣٢. ويراجع: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة محمود عادل، تحقيق أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ ج٢، ص٢٠٢.

فقال عليه السلام: والله ما هم سموكموه، ولكن الله سماكم به في التوراة والإنجيل على لسان موسى ولسان عيسى، وذلك أن سبعين رجلاً من قوم فرعون رفضوا فرعون ودخلوا في دين موسى عليه السلام فسماهم الله تعالى الرافضة، وأوحى إلى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة حتى يملكونه على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم ففرقهم الله فرقاً كثيرة وتشعبوا شعباً كثيرة فرفضوا الخير، ورفضتم الشرّ واستقمتم مع أهل بيت نبيكم عليهم الصلاة والسلام، فذهبتم حيث ذهب نبيّكم واخترتم من اختار الله ورسوله، فأبشروا ثم أبشروا فأنتم المرحومون المُتقبَّل من محسنهم والمتجاوز عن مسيئهم...»[1].

فهذه الأسلوب من أئمة أهل البيت عليهم السلام هو من أجل خلع المعنى السلبي للرفض وتحويله إلى معنى إيجابي، بحيث يطلق مصطلح الرفض على الشيعة لأنهم رفضوا الباطل وتركوا الشرّ، وتمسّكوا بأهل البيت الذين اختارهم الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله لإمامة الأمة وقيادتها.

ما بين الإمامين ابن حنبل والشافعي

ويا ليت السلفيين الوهابيين يتأسون بالإمام أحمد بن حنبل الذي يفتخرون بالانتساب إليه، حيث ينقل الخطيب البغدادي: «... كان عبد الرحمن بن صالح الأزدي رافضياً، وكان يغشى أحمد بن حنبل فيقربه ويدنيه، فقيل له: يا أبا عبد الله، عبد الرحمن رافضي، فقال: سبحان الله؟ رجل أحبّ قوماً من أهل

---

(١) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، ط١، طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠، ص٣٧٧.

بيت النبي ﷺ. نقول له: لا تحبهم؟ هو ثقة»[١].

وقد نُقِل عن الربيع بن سليمان -أحد أصحاب الإمام الشافعي- قال: «قيل للشافعي: إنّ أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت، فإذا رأوا أحداً منّا يذكرها يقولون: هذا رافضي، ويشتغلون بكلام آخر.

فأنشأ الإمام الشافعي يقول:

إذا في مجلس ذكروا علياً وسبطيه وفاطمة الزكية

...

وقال: تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المُهَيْمن من أناس يرون الرفض حبّ الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربّي ولعنته لتلك الجاهلية»[٢]

وقال الإمام الشافعي أيضاً:

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت بغير شكٍّ خير إمام وخير هادي
إن كان حبّ الولي رفضاً فإنني أرفض العباد[٣]

(١) البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ج١٠، ص٣٦١. والمزي، يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ج١٧، ص١٨٠.

(٢) الزرندي، محمد بن يوسف، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، ط١، ١٩٥٨م، ص١١١.

(٣) الزرندي، محمد، معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول، تحقيق ماجد بن أحمد العطية، ص٤٤.

المبحث الثاني

الشيعة يهود الأمة الإسلامية

من الصور النمطية المرسومة أيضاً في ذهن التيار السلفي عن الشيعة هي أن جذور هذا المذهب يهودية، وهدفهم من ذلك نفي أصالة انتساب التشيع إلى أمة الإسلام، واعتباره وليد عناصر دخيلة على الإسلام من الخارج.

ويعتمدون في بناء هذه الصورة عن الشيعة على دليلين:

- الأول: أن مؤسس مذهب الشيعة هو يهودي، اسمه: عبد اللّه بن سبأ.
- وثانياً: أوجه التقارب والتشابه بين العقائد اليهودية وعقائد الشيعة.

مؤسس التشيع عبد الله بن سبأ اليهودي

لقد تقدم قول عبد الرحمن البراك: «الرافضة الذين يسمون أنفسهم الشيعة،... وقد كان المؤسس لهذا المذهب يهودياً اسمه عبد اللّه بن سبأ...»[1].

(١) على الرابط التالي:_ http://albarrak.islamlight.net/index.php?option=com_ftawa&task=view&id=18080

ويقول النميري بن محمد الصَّبَّار عن الشيعة: «الحقيقة المقررة عند أئمة المسلمين أن هذه العقيدة الردّية بصورتها الحالية التي انتهت إليها هي خليط مركب من الديانة اليهودية النصرانية والمجوسية...

إنّ أثر الديانة اليهودية يبدو واضحاً جداً في العقيدة الرافضية، وذلك من جهتين اثنتين:

- أولاهما: أن المؤسس للعقيدة الرافضية هو اليهودي الخبيث عبد اللّه بن سبأ...
- الثانية: التشابه الكبير بين العقيدة الرافضية والديانة اليهودية...»[١].

ونذكر بعض النماذج من كلمات ابن تيمية التي لا يخلو منها نص أي سلفي يريد الحديث عن يهودية التشيع.

يقول ابن تيمية: « وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد اللّه بن سبأ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يُفسِد الإسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهودياً في إفساد دين النصارى»[٢].

ويقولُ في موضع آخر: «أول من ابتدع الرفض كان منافقاً زنديقاً يقال له: عبد اللّه بن سبأ، فأراد بذلك إفساد دين المسلمين، كما فعل بولص... وكذلك كان ابن سبأ يهودياً فقصد ذلك وسعى

---

(١) على الرابط التالي: http://www.alukah.net/sharia/0/39285/ .
وأيضاً على الرابط التالي:http://ar.islamway.net/article/10677/

(٢) ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٤٨٣.ويراجع: منهاج السنة، ج١، ص٤٧٨-٤٨٦. وج٢، ص٩١. وج٣، ص٤٥٩. ج٤، ص٣٦٣. وج٦، ص٣٦٤-٤٢٧. وج٧، ص٩-٢٧-١٠٦- ٢١٩-٤٠٩-٤٥٩.

في الفتنة لقصد إفساد الملة فلم يتمكن من ذلك»[١].

ويقول أيضاً: «أول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة، حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، فعاقب الطائفتين: أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم، وأما الشيعة فحرق غاليتهم بالنار، وطلب قتل عبد اللّه بن سبأ، فهرب منه، وأمر بجلد من يفضله على أبي بكر وعمر»[٢].

التشابه بين اليهودية والتشيع عقيدة وشريعة

أما بالنسبة للدليل الثاني الذي هو وجود التشابه والتقارب بين العقيدة اليهودية وعقيدة الشيعة، يقول ابن تيمية: «... ولهذا كان بينهم وبين اليهود من المشابهة في الخبث واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق اليهود وبينهم، وغير ذلك، ومازال الناس يصفونهم بذلك»[٣].

ويقول أيضاً: «وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة، لا سيما السامرة من اليهود، فإنهم أشبه بهم من سائر الأصناف، يشبهونهم في دعوى الإمامة في شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكل من جاء حَقٍّ غَيْرِهِ يَدْعُونَهُ، وفي اتباع الأهواء، أو تحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر وصلاة المغرب، وغير ذلك، وتحريم ذبائح غيرهم»[٤].

ويمكن تلخيص أوجه الشبه المذكورة في كلمات تيار السلفية بعدة نقاط:

---

(١) المصدر نفسه، ج٣٥، ص١٨٤.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٩.

(٣) منهاج السنة، ج١، ص٢٢.

(٤) مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٤٧٩.

جدول يبين أبرز أوجه التشابه من وجهة نظر السلفيين

عقيدة الشيعة	عقيدة اليهود
ظهور المهدي آخر الزمان	ظهور المسيح آخر الزمان
البداء	البداء
الرجعة	الرجعة
تحريف القرآن (الكتاب السماوي)	تحريف التوارة (الكتاب السماوي)
شعب اللّه المختار	شعب اللّه المختار
استحلال دم الناس	استحلال دم الناس
جبرئيل عدو الشيعة	جبرئيل عدو اليهود

ويستدلون أيضاً على ذلك في كتبهم بما قاله الشعبي[1]، ورواه أبو حفص بن شاهين في كتاب اللطيف في السنة: «أُحَذِّرُكم هَذه الأهواءَ المضلَّةَ وشَرّها الرَّافضة فإنها يهود هذه الأمة، يبغضون الإسلام كما يبغض النصرانية، ولم يَدخلوا في الإسلام رَغبة ولا رهبة من اللّه، ولكن مَقتاً لأهلِ الإسلامِ، وبغياً عَليهم، وقَدْ حَرقَهم عَلي بن أبي

(١) الشعبي: أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي ينسب إلى شعب بطن من همدان، يعد من كبار التابعين، وقد كان موالياً لبني أمية، ونديم عبد الملك بن مروان، وقاضيه على الكوفة، وهو القائل: «لقد بغّضت إلينا الرافضة حديث علي بن أبي طالب»، وقال أيضاً لأبي عمرو البزاز، بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أما إن حبه لا ينفعك، وبغضه لا يضرك». وقد ضعّفه علماء الشيعة فهو عندهم مذموم مطعون، يقول السيد أبو القاسم الخوئي عنه: «هو الخبيث الفاجر الكذاب المعلن بالعداء لأمير المؤمنين عليه السلام». معجم رجال الحديث، ط٥، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ج١٠، ص٢١١.

طالب بالنَّارِ، ونَفَاهُمْ إلى البلدان، منهم عبد اللّه ابن سبأ، يهودي منْ يهود صنعاء نَفَاهُ إلى ساباط.

وآية ذلك أَنَّ مِحنةَ الرَّافضةِ مِحنةُ اليهودِ:

أ - قَالتِ اليهودُ: لا يَصلحُ الملكُ إلا في آل دَاودَ، وَقَالتِ الرَّافضةُ: لا تَصلحُ الإمامةُ إلا في ولدِ عليٍّ.

ب - وقَالتِ اليهودُ: لا جِهادَ في سبيلِ اللّهِ حَتَّى يَخرجَ المسيحُ الدَّجالُ، ويَنزلُ سيفٌ مِنَ السَّماءِ، وقَالتِ الرَّافضةُ: لا جِهادَ في سَبيلِ اللّهِ حَتَّى يَخرجَ المهديُّ، ويُنادي مُنادٍ مِنَ السَّماءِ.

ت - واليهودُ يُؤَخِّرونَ الصَّلاةَ إلى اشتباكِ النُّجومِ، وكَذلكَ الرَّافضةُ يُؤخِّرونَ المغربَ إلى اشتباكِ النُّجومِ...

ث - واليهودُ تَزولُ عَنِ القبلةِ شَيئاً، وكَذلكَ الرَّافضةُ.

ج - واليهودُ تَنودُ في الصَّلاةِ، وكَذلكَ الرَّافضةُ.

ح - واليَهودُ تُسدلُ أَثوابَها في الصَّلاةِ، وَكَذلكَ الرَّافضةُ.

خ - واليهودُ لا يَرونَ على النِّساءِ عِدَّةً، وَكَذلكَ الرَّافضةُ،.

د - اليهودُ حَرَّفُوا التَّوراةَ، وكذلك الرَّافضة حَرَّفوا القرآنَ.

ذ - وَكَذلكَ الرَّافضةُ واليهودُ لا يَخلصونَ السَّلامَ على المؤمنينَ إِنَّما يَقولونَ السَّأمُ عَليكُم، والسَّأمُ: الموتُ.

ر - وكَذلكَ الرَّافضةُ واليهودُ لا يَأكلون الجري والمرماهي والذِّنابَ.

ز - وَكَذلكَ الرَّافضةُ واليهودُ لا يَرونَ المسحَ على الخفينِ.

س - وَكَذلكَ الرَّافضةُ واليهودُ يَستحِلُّونَ أموالَ النَّاسِ كُلِّهم.

ش - وكَذلكَ الرَّافضةُ واليهودُ تَسجدُ على قُرونِها في الصَّلاةِ.

ص - وكَذلكَ الرَّافضةُ واليهودُ لا تَسجدُ حَتَّى تَخفقَ برؤوسِها مِراراً شِبه الرُّكوعِ.

ض - وَكَذلكَ الرَّافضةُ واليهودُ تُبغضُ جِبريلَ، وَيقولونَ هو عَدُّونا منَ الملائكةِ وكَذلكَ الرَّافضةُ يَقولونَ غَلطَ جِبريلُ بِالوحْيِ عَلى محمد ﷺ»[1].

وفيما يتعلق بعقيدة البداء، يقول ناصر بن عبد اللّه بن علي القفاري: «يبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة -البداء-، التي ارتضعها من توراته في المجتمع الإسلامي، الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع، وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي، ذلك أن فرق السبأية كلهم يقولون بالبداء... وتجد هذا المعنى في أخبار الاثني عشرية فإنهم قد أشاعوا بين أتباعهم أن أئمتهم يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء فإذا نسبوا إلى الأئمة أخباراً لم تقع قالوا هذا من باب البداء»[2].

ويقول موسى جار اللّه: «البداء عقيدة يهودية من غير تأويل، أتت بها أسفار اليهود، وكتب العهد العتيق... ثم أعدت عقيدة البداء عدوى الوباء من أسفار التوراة بألسنة الأئمة في قلوب الشيعة إلى

(١) ذكره ابن تيمية في منهاج السنة، ج١، ص٢٢-٢٧.

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد، ص٩٣٨-٩٣٩.

كتب الشيعة، فترى فيها عقيدة البداء في أخبار مستفيضة بمبالغات مسرفة شيعية إمامية...»[1].

وفيما يتعلق بالرجعة كثيراً ما يستشهدون بما ينقله الطبري عن يزيد الفقعسي، قال: «كان عبد اللّه بن سبأ يهودياً مِنْ أَهل صنعاءَ، أُمُّهُ سَوداءُ، فأسلم زمانَ عثمانَ، ثُمَّ تنقَّل في بلدان المسلمين يُحاول ضلالتهم ؛ فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشَّام ؛ فلم يَقدر على ما يُريدُ عند أحد من أَهل الشَّام، فأخرجوه حتَّى أَتى مِصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لَعجبٌ مِمنْ يَزعم أَنَّ عيسى يرجع ويُكذِّبُ بأنّ محمداً يَرجعُ، وقد قال اللّه عَزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[2]، فمحمد أَحقُّ بالرّجوع من عيسى، قال فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها»[3].

هذه هي الأسباب التي يتمسك بها المنتمون إلى السلفية الوهابية في عصرنا الحاضر لاتّهام التشيع بالمشابهة مع اليهود، وهناك نماذج كثيرة تصرح بذلك مذكورة في مصادرهم.

---

(١) جار اللّه، موسى، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، مكتبة الكيلاني، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١١٣-١١٤. ونشير إلى أن السيّد محسن الأمين العاملي تصدى للرد على هذا المؤلف في كتاب: «نقض الوشيعة في نقد عقائد الشيعة». وكذلك السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي في: «أجوبة مسائل جار اللّه». والشيخ عبد الحسين الرشتي النجفي في: «كشف الاشتباه في مسائل جار اللّه».

وحول المشابهة بين اليهود والشيعة في البداء يراجع المقال على الرابط التالي: http://www.saaid.net/Doat/Zugail/330.htm

وكذلك على الرابط التالي: http://alburhan.com/main/articles.aspx?article_no=2419#.VKmMBcmbUXg

(٢) القصص:٨٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، تصحيح وضبط نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج٣، ص٣٧٨.

المبحث الثالث

التشيع فارسي النزعة

أضاف المنتمون إلى تيار السلفية عنصراً خارجياً آخر لزيادة فك الارتباط بين أصالة التشيع وبين الإسلام، وهو فارسية التشيع ومجوسيته.

وقد مُلِئت مقالاتهم وكتبهم ومواقعهم الإلكترونية بهذه التهمة، ولم يعد خافياً على أحد ما تتهم به الجمهورية الإسلامية في إيران اليوم من قبل التيارات السلفية من إرادة التوسع والتمدد والهيمنة انطلاقاً من أطماع وآمال بعودة الامبراطورية الفارسية، وأن حزب اللّه اللبناني هو ذراع لتنفيذ مخططات إيران الفارسية في المنطقة العربية. وأصبحت كل مطالبة مشروعة لأي جماعة وطنية شيعية بالمشاركة السياسية العادلة في الدولة ومؤسساتها تصنَّف على أنها صوت التبعية والعمالة لإيران الفارسية، كما في البحرين أو اليمن أو السعودية... إلخ، وأصبحت تهمة جاهزة لكل من يريد من الشيعة الإصلاح في بناء الوطن بخلاف إرادة الإقصاء والاستبداد الداخلي.

فارسية التشيع:

ونذكر نموذجين من الكلام الذي يستدلون به -استدل به أبو

محمد المقدسي وأبو أنس الشامي وغيرهما- حول هذه النسبة:

أولاً بما قاله عبد القاهر البغدادي: «ذكر أصحاب التواريخ إن الذين وضعوا أساس دين الباطنية (على اعتبار أن التشيع من الفرق الباطنية كما يعتقد دعاة السلفية) كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين فوضع الأغمار منهم أسساً من قبلها صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس وتأوّلوا آيات القرآن وسنن النبي على موافقة أسسهم»[1].

وثانياً بما ذكره ابن حزم الأندلسي: «كان الفرس من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم إلى أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام في أوقات شتى، ففي كل ذلك كان يظهر اللّه الحق، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول اللّه ﷺ واستشناع ظلم علي رضي اللّه عنه، ثم سلكوا بهم مسالك شتى...»[2].

رأي بعض المستشرقين والباحثين العرب

ونشير في هذا المبحث، إلى أنه مما يؤسف له أن هذه الدعاوى

(١) الفَرق بين الفِرق، ص٢٦٩.

(٢) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ ج٢، ص١٠٨.

حول فارسية ويهودية التشيع لا نجدها عند أتباع السلفية فقط، بل تحفل بها كتب كلّ غير منصف علمياً بحق التشيع، حتى ممن يدعى النزاهة الفكرية والحرية البحثية والانفتاح العقلي، ولكنهم يشربون هم والسلفية من نبع واحد.

من المستشرقين:

- يقول المستشرق أجناس جولدتسيهر: «إن قواعد نظرية الإمامة، والفكرة الثيوقراطية المناهضة لنظرية الحكم الدنيوية، كذا الفكرة المهدوية التي أدت إلى نظرية الإمامة، والتي تجلت معالمها في الاعتقاد بالرجعة ينبغي أن نرجعها كلها إلى المؤثرات اليهودية والمسيحية، كما أن الإغراق في تأليه علي الذي صاغه في مبدأ الأمر عبد اللّه بن سبأ، حدث ذلك في بيئة سامية عذراء لم تكون قد تسربت إليها بعد الأفكار الآرية»[١].

والملفت هو التشابه الكبير بين آراء جولدتسيهر وآراء ابن تيمية والوهابية في فهم الشيعة، ويظهر ذلك جلياً في كتابه العقيدة والشريعة خصوصاً القسم الخامس تحت عنوان: الفِرَق.

- ويقول المستشرق يوليوس فلهوزن: «إنّه يلوح أن مذهب الشيعة الذي نسب إلى عبد اللّه بن سبأ أنه مؤسسه إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين»[٢].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية: محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر، دار الرائد العربي، بيروت، طبعة مصورة عن دار الكتاب المصري، ١٩٤٦م،ص٢٠٥.

(٢) فلهوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة المعارضة السياسية الدينية، ترجمة وتقديم عبد الرحمن بدوي، دار الجليل، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨، ص١٤٨.

مِنَ المفكرين العرب:

- يقول أحمد أمين: «والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً»[١].

ويقول أيضاً: «إن التشيع بدأ بمعنى ساذج وهو أن علياً أولى من غيره من وجهتين: كفايته الشخصية وقرابته للنبي. ولكن هذا التشيع أخذ صيغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية. وحيث إنّ أكبر عنصر دخل في الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع»[٢].

- ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إنَّا نعتقدُ أنَّ الشيعة قد تأثَّروا بالأفكار الفَارسية حولَ الملك والوراثةِ، والتَّشابهُ بينَ مَذهبِهم ونظام الملك الفارسيّ واضحٌ، ويُزكِّي هذا أنَّ أكثرَ أهل فارس مِن الشّيعة، وأنَّ الشّيعة الأوَّلين كانوا من فَارس»[٣].

---

(١) أمين، أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١١، ١٩٧٩م، ص٢٧٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية، ج١، ص٣٨.

المبحث الرابع

الشيعة أكذب الفرق المنتسبة إلى الإسلام وشرهم وأفسقهم...

يقول أبو محمد المقدسي[1]: «الشيعة الروافض هم شرّ الطوائف المنتسبة إلى القبلة وأخبثهم وأكذبهم؛ أكد ذلك كثير من الأئمة الأعلام؛ وشهرة أقاويلهم في ذلك تكفي عن حشدها وحكايتها»[2].

وهذا التصور عن الشيعة وما ينطوي عليه من حقد وبغض لا تخفى ملامحه وليس حديث العهد بالولادة في تيار ما يسمى السلفية الوهابية بكافة ألوان طيفها، بل هو موروث من عقيدة ابن تيمية في الشيعة حيث يقول: «قد رأينا في كتبهم من الكذب والافتراء على النبي وصحابته وقرابته أكثر مما رأينا من الكذب في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل»[3].

---

(١) أبو محمد المقدسي: اسمه عصام برقاوي، أردني من أصل فلسطيني، مواليد ١٩٥٩، اشتهر بسبب تأليفه كتاب: «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية»، ويعتبر من أبرز منظري تيار السلفية الجهادية، وهو أستاذ أبو مصعب الزرقاوي، وكان بينهما علاقة متينة، يشرف على موقع منبر التوحيد والجهاد، سجنته السلطات الأردنية عدة مرات.

(٢) على الرابط التالي: www.tawhed.ws/dl?i=0504095f

(٣) م.ن، ج٢٨، ص٤٨١.

ويقول ابن تيمية أيضاً: «ليس في جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام مع بدعة وضلال، شرمنهم، لا أجهل، ولا أكذب، ولا أظلم، ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان وأبعد عن حقائق الإيمان منهم، وهؤلاء الرافضة إما منافق أو جاهل، فلا يكون رافضي ولا جهمي إلا منافقاً أو جاهلاً بما جاء به الرسول»[1].

التقية عند الشيعة خير دليل على كذبهم ونفاقهم

ومن أدلتهم على كذب ونفاق الشيعة ما يتبناه الشيعة من عقيدة التقية، حيث يقول ابن تيمية: «فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم، وسيّما النفاق فيهم أظهر منه في سائر الناس... وَكُلُّ مَنْ جَرَّبَهُمْ يَعْرِفُ اشْتِمَالَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ؛ وَلِهَذَا يَسْتَعْمِلُونَ التَّقِيَّةَ الَّتِي هِيَ سِيمَا الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ ويَسْتَعْمِلونها مَعَ الْمُسْلِمِينَ»[2].

ويقول أبو أنس الشامي[3]: «... لأن التقية لا تعني -بهذه الصورة- سوى الكذب والنفاق، وهو مما تكرهه الفطر السليمة، وتمجّه النفوس السوية، اخترع مهندسو التشيع روايات تحببها إلى نفوس الشيعة، فزعموا أنها أحب العبادات إلى اللّه، روى الكليني عن أبي عبد اللّه [جعفر الصادق عليه السلام] قال: «واللّه ما عبد اللّه بشيء أحب

(١) منهاج السنة، ج٥، ص١٦٠ - ١٦١.

(٢) مجموعة الفتاوى، ج٢٨، ص٤٧٩.

(٣) أبو أنس الشامي، عمر يوسف جمعة، الشيعة، ص٢٨. تقديم أبي محمد المقدسي. كتاب موجود على الرابط التالي:: www.tawhed.ws/dl?i=0504095f

إليه من الخبء، فقيل له: وما الخبء؟ قال: التقية»[١]. وأن أسباب التقية عند الشيعة تسهيل مهمة الكذابين ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت، وتخريج التناقض والتعارض في الكتب الروائية الشيعية، والخروج من التناقض بين إبطالهم إمامة الخلفاء الثلاثة ومبايعة علي لهم وسيرهم على نهجهم».

وقد سبقهم إلى ذلك الطبري حيث قال: «إن أئمة الرافضة وضعوا القول بالتقية لئلا يظفر معها أحد عليهم، فإنهم كلما أرادوا شيئاً تكلموا به، فإذا قيل لهم: هذا خطأ، أو ظهر لهم بطلانه قالوا: إنما قلناه تقية»[٢].

نصوص روائية تصف الشيعة بالكذب

كما يعتمدون على بعض النصوص الروائية التي تصف الشيعة بالكذب، ينقل عبد اللّه ابن الإمام أحمد بن حنبل بإسناده عن عاصم بن ضمرة، قال: «قلت للحسن بن علي رضي اللّه عنهما: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع! قال: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه»[٣].

وروى النيسابوري بإسناده عن عمرو بن الأصم، قال: «قلت للحسن بن علي رضي اللّه عنهما: إنّ هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة! قال: كذبوا واللّه؛ ما هؤلاء بشيعته، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله»[٤].

---

(١) أصول الكافي، ج٢، ص٢١٩.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢١٣.

(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، ج١، ص١٤٨.

(٤) المستدرك، النيسابوري، أبو عبد اللّه، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، (لا.ط)، ج٣، ١٤٥.

عدم قبول قول الشيعي وروايته

وعقيدتهم في أن الشيعة تبيح الكذب[١]، جعلتهم لا يقبلون رواية الشيعي، وهذا من موروثات عقيدة ابن تيمية حيث يقول: «نكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية -إلى رأيه-، إلا الرافضة فإنهم يكذبون»[٢].

ويقول مصطفى السباعي: «والذي يظهر لي أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته كالشيعة أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب، ووضع الحديث في سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا رواية الرافضة»[٣].

ويقول أيضاً: «إن الرافضة أكثر الفرق كذباً،... وإن شريك بن عبد اللّه القاضي وغيره قالوا عنهم: احمل عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً، وأنهم وضعوا الحديث في ذم معاوية وابن العاص، كما وضعوا في فضائل علي وأهل بيته ثلاثمائة ألف حديث»[٤].

---

(١) يراجع حول مناقشة هذه الفكرة ودحضها: دراسات في الحديث والمحدثين، هاشم معروف الحسني، ص١٤٥ وما بعد.

(٢) منهاج السنة، ج١، ص١٣

(٣) السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي، ص١١٠

(٤) نفس المصدر، ص٩٥.

المبحث الخامس

معاونة الشيعة للكفار ضدّ أهل السنة

يعتقد رجالات تيار السلفية الوهابية أن من مواصفات الشيعة على طول التاريخ خيانة أهل السنة ودعم أعدائهم عليهم، فتاريخ الشيعة قائم على التعاون مع العدو الخارجي الذي يغزو دار الإسلام كما عبر عن ذلك أبو محمد المقدسي وأبو أنس الشامي وأبو بصير الطرطوسي وغالب السرجاني وغيرهم كثيرون، وأصل هذه الفكرة عند ابن تيمية، حيث قال: «ورأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا -أي الشيعة- معه على المسلمين»[1].

يقول أبو بصير الطرطوسي: «كنا نود ولو لمرة واحدة أن نكذب أنفسنا وأعيننا وما ذكره التاريخ من مواقف الخزي والخيانة والغدر عن الشيعة الروافض! كنا نود ولو لمرة واحدة أن نصدق الشيعة الروافض بأنهم شرفاء، وأنهم مع الأمة وليس ضدها، وأن المعاصرين منهم لا يتحملون إرث آبائهم وأجدادهم في الخيانة والغدر والعمالة! ولكنهم يأبون وفي كل مرحلة من مراحل الضيق والشدة التي تمر بها الأمة إلا أن يشهدوا على أنفسهم بالقول والفعل بأنهم خونة عملاء، كانوا ولا

(١) منهاج السنة، ج٤، ص١١٠.

يزالون مع الغزاة المحتلين على الأمة وأبنائها! حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين أعمى بصائرهم وأبصارهم، وجعلهم يستعذبون سياط وسطْوَ الغزاة المحتلين على الحرمات، والأرض، والعِرض، ويرون في غزوهم للبلاد والعباد أخف ضرراً من أن تقوم للإسلام والمسلمين قائمة أو شوكة!»[1].

وأهم نماذج يذكرونها على ذلك:

أ - تعاون الشيعة مع المغول والتتار:

فقد عاون ابن العلقمي[2] -الذي كان وزيراً للمستعصم العباسي آخر خلفاء بني العباس وكان معروفاً بالتشيع ومتميزاً بصفة الشيعي الرافضي- التتار على هدم الخلافة في بغداد، وكذلك نصير الشرك الطوسي -هكذا يعبرون عن نصير الدين الطوسي في أدبياتهم بـ«نصير الشرك الطوسي»-[3].

ويستشهدون بقول ابن القيم الجوزية: «ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة، النصير الطوسي،

---

(١) مقال على الرابط التالي: www.abubaseer.bizland.com/articles/read/a52.doc

(٢) كتب راغب السرجاني مقالة مفصلة تحت عنوان العراق وأحفاد ابن العلقمي. كما تعرض أبو محمد المقدسي لهذه النقطة في مقدمته على كتاب أبو أنس الشامي حول الشيعة الروافض.

(٣) ويقول أبو محمد المقدسي: «...ارجع إن شئت إلى كتاب الحكومة الإسلامية وتأمل مدح الخميني في ص١٢٨ لنصير الشرك الطوسي، وتحسره على افتقاده حيث يقول -الخميني-: «ويشعر الناس بالخسارة!! بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وغيره ممن قدموا الخدمات الجليلة للإسلام»!! أرأيت؟؟ فهذه هي الخدمات الجليلة التي يمتدحه الخميني عليها!! وهي إذن الخدمات الجليلة التي يتمنونها للإسلام والمسلمين ويتطلعون إليها في كل زمان!! ولذلك يمارس مجرموهم في العراق وأفغانستان وإيران مع أهل السنة أمثال هذه الخدمات!!».

وزير هولاكو، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة، والقضاة، والفقهاء، والمحدثين، واستبقى الفلاسفة، والمنجمين، والطبائعيين، والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد، والرّبط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قدم العالم، وبطلان المعاد، وإنكار صفات الرب جلّ جلاله»[١].

ويستشهدون على ذلك بمدح علماء الشيعة لهولاكو[٢]، كقول السيد محمد باقر الخوانساري -من علماء الشيعة- في ثنائه على ما فعله هولاكو ببغداد حينما أقدم على «إبادة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن سال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار»[٣].

ب - تعاون الشيعة مع الغزو الصليبي:

ومن شواهدهم أن دولة العبيديين الفاطميين الرافضة في مصر - والتي اندثرت على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب- هي من دعت الصليبيين إلى بلاد الشام، ووعدوهم بالنصر على الخلافة السنية في بغداد.

---

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م، ج١، ص٢٨٧.

(٢) أنظر: القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، مصدر سابق، ص١٢٢٠. ومقدمة كتاب الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، لأبي المظفر يوسف بن محمد العبادي السرمدي، تقديم وتعليق صلاح الدين مقبول أحمد، مجمع البحوث العلمية الإسلامية، ط١، ١٩٩٢م، ص١١ - ١٧.

(٣) الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ج٦، ص٣٠٠.

يقول ابن تيمية بهذا الخصوص: «... ولهذا السبب يُعاونون الكفار على جمهور المسلمين؛ فيعاونون التتار على الجمهور، وهم كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيزخان ملك الكفار إلى بلاد الإسلام، وفي قدوم هولاكو إلى بلاد العراق،... وبهذا السبب ظهر فيهم من معاونة التتار والإفرنج على المسلمين، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر، وكذلك لما فتح المسلمون الساحل -عكة وغيرها- ظهر فيهم من الانتصار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم، وكل هذا الذي وصفت بعض أمورهم، وإلا فالأمر أعظم من ذلك... وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهذه من شيم المنافقين... والرافضة تحب التتار ودولتهم؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين. والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم، وقصة ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة، وقضيتهم في حلب مع صاحب حلب مشهورة يعرفها عموم الناس.

وكذلك في الحروب التي بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام فقد عرف أهل الخبرة أن الرافضة تكون مع النصارى على المسلمين، وأنهم عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار،... وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصّة عند الروافض، وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيداً ومسرة عند الرافضة...»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٤٧٨-٤٨٨-٥٢٧.

ج - مهاجمة الدولة الشيعية الصفوية لأهل السنة:

ويشهد عليه الصراع الذي خاضته الدولة الصفوية الشيعية ضد دولة الخلافة الإسلامية أي الدولة العثمانية، حيث يقول أبو محمد المقدسي أنه بينما كانت جيوش الدولة العثمانية تقف على أسوار فيينا عاصمة النمسا منشغلة في حصارها لتسقطها، استغلت الدولة الصفوية هذا الانشغال، فهاجمت العراق وفتكت بأهل السنة وعلمائهم ومساجدهم، مما اضطر جيوش سليمان القانوني إلى الانسحاب من النمسا... وتلك آخر نقطة وصلها العثمانيون في أوروبا، وكان غدر الروافض سبباً في عدم التقدم تجاه نقاط أخرى.

د - تعاون الشيعة مع الغزو الأميركي لأفغانستان والعراق:

ويعتبرون أنّ هذا التعاون بين الشيعة والغزاة الخارجيين ليس في طيّات التاريخ، بل هو مستمر ببقاء الشيعة حتى العصر الحاضر، يقول أبو محمد المقدسي أيضاً: «.. نعاين في هذا الزمان أفاعيل جيش المهدي ومنظمة الغدر (منظمة بدر) وجرائمهم في حق إخواننا أهل السنة في العراق؛ جرائمهم التي لا تفرق بين شاب وشيخ وبين طفل وامرأة، فلا يرعون حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة.. وسبقهم إلى مثل ذلك إخوانهم الروافض في أفغانستان مصطفّين إلى جنب تحالف الشمال وأسيادهم الصليبيين الأمريكان ضد إخواننا المجاهدين هناك.. أما في إيران فإنهم فد قطعوا الطريق هناك على المجاهدين إرضاء لشيطانهم الأكبر (أمريكا) كما ينعتونها تدليساً وتلبيساً!! وإلا فعلام تمتلئ سجونهم اليوم بإخواننا المجاهدين من شتى بقاع الأرض دون أدنى ذنب لهم إلا انتسابهم لمذهب أهل السنة؟

وتبنّيهم لمنهج التوحيد والجهاد؟.. هذا غير تنكيلهم وجرائمهم بحق أهل السنة في إيران.. كل ذلك يعرفك ببعض حقدهم تجاه أهل السنة ومذهبهم، وما تخفي صدورهم أكبر»[1].

هـ- اصطفاف الشيعة إلى جانب المرتدين والعلمانيين ضد التيارات السلفية الجهادية في العالم العربي، ووقوف حزب الله وإيران إلى جانب النظام العلماني في سوريا خير شاهد على ذلك.

(١) الشيعة، مصدر سابق، ص٢.

الفصل الثالث

لماذا تكفِّر السلفيةُ الوهابيةُ شيعةَ أهلِ البيت؟

نصوص عامة في بيان أسباب تكفير الشيعة

نتوقف في هذا الفصل عند عرض بعض النماذج من نصوص تيار السلفية الوهابية الجامعة للأسباب الموجِبة لتكفير الشيعة من وجهة نظرهم، مع الإشارة إلى وجود العديد من النصوص الصادرة عنهم في هذا السياق، ولكن اكتفينا بذكر بعضها حذراً من الإسهاب والإطالة.

١ - رأي الشيخ الدكتور أيمن الظواهري:

في مقابلة أجراها أسامة عبد الفتاح مع زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، حيث سأله: دأبت وسائل الإعلام على اتهام الحركات الإسلامية بأنها تتلقى دعماً وتوجيهاً من إيران، ومن ذلك تهمة وسائل الإعلام المصرية للتنظيمات المصرية بهذه التبعية للشيعة! فما رأيكم؟

أجاب الشيخ أيمن الظواهري: «اتهام وسائل الإعلام لنا بتلقي الدعم من إيران، هو من باب الافتراء المحض، فإن لنا موقفنا الواضح من إيران، وهو الموقف الذي ينبني على الحقائق العقائدية والعلمية:...

فأما الحقائق العقائدية:

فكما أسلفنا أننا نلتزم مذهب السلف الصالح - أهل السنة والجماعة - ولذا فإن بيننا وبين الشيعة الاثني عشرية فروقاً واضحة في العقيدة، والشيعة الاثنا عشرية عندنا هم أحد الفرق المبتدعة الذين أحدثوا في الدين بدعاً عقائدية، وصلت بهم إلى:

- سب أبي بكر، وعمر، وأمهات المؤمنين، وجمهور الصحابة والتابعين، ويرون كفرهم، ويجاهرون بلعنهم.
- القول بتحريف القرآن، كما يعتقد أغلب أئمتهم ومحققيهم، فيما عدا أربعة من أئمتهم هم، ابن بابويه القمي والسيد المرتضي وأبو جعفر الطوسي وأبو علي الطبرسي، وحتى هؤلاء الأربعة ذكر محققهم نعمة اللّه الجزائري، أن هذا القول لم يصدر منهم إلا لسد باب الطعن عليهم، بدليل أن ابن بابويه ذكر تسعة أحاديث من أحاديث القوم تصرح بتحريف الكتاب العزيز، دون أن يرد عليها.
- إلى غير ذلك من الأقوال المبتدعة، كادعاء عصمة الأئمة الاثني عشرية، وأنهم بلغوا ما لم يبلغه نبي مرسل ولا ملك مقرب.
- وادعاء غيبة الإمام الثاني عشر، وادعاء الرجعة... إلخ.

فهذه العقائد من اعتقدها بعد إقامة الحجة عليه، يصير مرتداً عن دين الإسلام، ومن كان جاهلاً، واعتقد هذه الأصول الفاسدة بناء على أحاديث ظنها صحيحة، ولم يبلغه الحق فيها، أو كان عامياً جاهلاً فهو معذور بجهله، على التفصيل المعروف في كتب الأصول...»[1].

٢ - رأي الشيخ عبد العزيز بن باز:

وفي استفتاء للشيخ عبد العزيز بن باز سئل فيه: هل الشيعة كفّار؟

أجاب: «أفيدكم بأن الشيعة فرقٌ كثيرة، وكل فرقة لديها أنواع من البدع، وأخطرُها فرقة الرافضة الخمينية الاثنا عشرية، لكثرة الدُعاة

---

(١) نشرة الأنصار، العدد ٩١، الخميس، ٦ ذو القعدة ١٤١٥ هـ.

إليها، **ولما فيها من الشرك الأكبر**، كالاستغاثة بأهل البيت، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، ولا سيما الأئمة الاثنا عشر حسبَ زعمهم، ولكونهم يكفرون ويسبون غالب الصحابة، كأبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما نسأل السلامة مما هم عليه من الباطل»[١].

٣- رأي الشيخ عبد الرحمن البراك:

سئل الشيخ عبد الرحمن البراك: سماحة الشيخ استنكر عَليّ أحد الأخوة تكفير الرافضة، المقصود من يقومون بأعمال شركيّة كالاستعانة والاستغاثة بالحسين وزيارة وحِج الأضرحة، فقال الأخ (علماً أنه أقدم مني في طلب العلم) أن تكفير عقيدتهم لا يعني تكفير عامة جُهّالهم الذين يُضَلّلون مِن قِبل أئمتهم، ولكن إن نُصِحوا وبُيِّنَ لهم وأقيمت عليهم الحُجة ولم يرجعوا عن تلك العقيدة الفاسدة وجب تكفيرهم، فما رأي سماحة الشيخ، هل الجاهل منهم معذور بشركه؟

فأجاب: «الرافضة الذين يسمون أنفسهم الشيعة، ويدعون حب آل بيت الرسول ﷺ، هم شر طوائف الأمة، وقد كان المؤسس لهذا المذهب يهودي اسمه عبد اللّه بن سبأ، وأصحابه السبئية الغلاة الذين ادعوا الإلهية في علي رضي اللّه عنه، وورثتهم يألِّهون أئمتهم من ذرية علي رضي اللّه عنه، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، وإذا أظهروا الإسلام وكتموا اعتقادهم كانوا منافقين، وهؤلاء من غلاة طوائف الرافضة الذين قال فيهم بعض العلماء: إنهم يظهرون الرفض، ويبطنون الكفر المحض.

---

(١) على الرابط التالي: http://www.binbaz.org.sa/article/100

ومن الرافضة السبابة، الذين يسبون أبا بكر وعمر ويبغضونهما، ويبغضون سائر الصحابة، ويكفرونهم، ويفسقونهم إلا قليلاً منهم. وفي مقابل ذلك يغلون في علي رضي عنه وأهل البيت، ويدعون لهم العصمة، ويدعون أن علياً رضي الله عنه هو الأحق بالأمر بعد النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ أوصى بذلك، وأن الصحابة كتموا الوصية، واغتصبوا حق علي في الخلافة، فجمعوا بين الغلو، والجفاء، ثم اعتنقوا بعض أصول المعتزلة كنفي الصفات، والقدر، ثم أحدثوا بعد القرون المفضلة بناء المشاهد على قبور أئمتهم، فأحدثوا في الأمة شرك القبور، وبدع القبور، وسرى منهم ذلك لكثير من طوائف الصوفية.

المقصود أن الرافضة في جملتهم هم شر طوائف الأمة، واجتمع فيهم من موجبات الكفر: تكفير الصحابة، وتعطيل الصفات، والشرك في العبادة بدعاء الأموات، والاستغاثة بهم، هذا واقع الرافضة الإمامية الذين أشهرهم الاثنا عشرية، فهم في الحقيقة كفار مشركون لكنهم يكتمون ذلك، إذا كانوا بين المسلمين عملاً بالتقية التي يدينون بها، وهي كتمان باطلهم، ومصانعة من يخالفهم. وهم يربّون ناشئتهم على مذهبهم من بغض الصحابة خصوصاً أبا بكر وعمر، وعلى الغلو في أهل البيت خصوصاً علي، وفاطمة، وأولادهما، وبهذا يعلم أنهم كفار مشركون منافقون وهذا هو الحكم العام لطائفتهم»[1].

٤- رأي الشيخ ابن جبرين:

سئل ابن جبرين: ما حكم دفع زكاة أموال أهل السنة لفقراء

(١) على الرابط التالي:_http://albarrak.islamlight.net/index.php?option=com_ftawa&task=view&id=18080

الرافضة (الشيعة)، وهل تبرأ ذمة المسلم الموكل بتفريق الزكاة إذا دفعها للرافضي الفقير أم لا؟

أجاب: «لقد ذكر العلماء في مؤلفاتهم في باب أهل الزكاة أنها لا تدفع لكافر ولا لمبتدع، فالرافضة بلا شك كفار لأربعة أدلة:

أ - الأول: طعنهم في القرآن، وادعاؤهم أنه قد حذف منه أكثر من ثلثيه، كما في كتابهم الذي ألفه النوري وسماه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، وكما في كتاب (الكافي)، وغيره من كتبهم، ومن طعن في القرآن فهو كافر مكذب؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

ب - الثاني: طعنهم في السنة وأحاديث الصحيحين، فلا يعملون بها، لأنها من رواية الصحابة اللذين هم كفّار في اعتقادهم، حيث يعتقدون أن الصحابة كفروا بعد موت النبي ﷺ، إلا علياً وذريته، وسلمان، وعمار، ونفر قليل، أما الخلفاء الثلاثة، وجماهير الصحابة اللذين بايعوهم فقد ارتدوا، فهم كفّار، فلا يقبلون أحاديثهم، كما في كتاب الكافي وغيره من كتبهم.

ت - الثالث: تكفيرهم لأهل السنة، فهم لا يصلّون معكم، ومن صلى خلف السنة أعاد صلاته، بل يعتقدون نجاسة الواحد منا، فمتى صافحناهم غسلوا أيديهم بعدنا، ومن كفّر المسلمين فهو أولى بالكفر، فنحن نكفرهم كما كفرونا وأولى.

---

(١) الحجر: ٩.

ث - الرابع: شركهم الصريح بالغلو في علي وذريته، ودعاؤهم مع اللّه، وذلك صريح في كتبهم، وهكذا غلوهم ووصفهم له بصفات لا تليق إلا برب العالمين، وقد سمعنا ذلك في أشرطتهم»[١].

محاور تكفير الشيعة:

وعند رصد هذه النصوص وغيرها لعلماء التيار السلفي، نلاحظ اعتماد عدة أسباب كمعايير موجِبة للحكم على الشيعة بالكفر، وسنكتفي لاحقاً عند معالجة الموجبِات بذكر ثلاث مسائل، هي:

١ - ما يتمحور حول عقيدة الشيعة في القرآن.

٢ - ما يتمحور حول عقيدة الشيعة في الإمامة وأهل البيت.

٣ - ما يتمحور حول عقيدة الشيعة في صحابة رسول اللّه.

---

(١) اللؤلؤ المكين من فتاوى الشيخ ابن جبرين، السؤال: ٤٣. على الرابط التالي: http://www.ibn-jebreen.com/fatwa/

الفصل الرابع

مناقشة طبيعة النظرة السلفية الوهابية إلى الشيعة والردّ عليها

المبحث الأول

تحديد مفهوم «الشيعة» عند علماء مدرسة أهل البيت

بعد أن اتضحت وجهة نظر السلفية الوهابية في تلازم المعنى في أذهانهم بين مفردة الشيعة من جهة، ومفردتي: «الرافضة» و«الغلاة» من جهة ثانية، نعرض وجهة النظر المقابلة، أي رأي علماء الشيعة في معنى التشيع وحقيقته، ونتوقف عند شرح مفردة الشيعة في المعنيين اللغوي والاصطلاحي حتى تتضح الحقيقة كما هي.

الشيعة لغة

التشيع لغة بمعنى المتابعة والمناصرة والموالاة والحب. «والشيعة هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الأمور، ومنه تشايع القوم إذا تعاونوا»[1]، و«الشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر، فهم شيعة» و«الشيعة: أتباع الرجل وأنصاره» و«شايعته: تبعته» و«المشايعة: المتابعة

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ ج٧، ص١٤١.

والمطاوعة» و«تشيع في الشيء: استهلك في هواه»[١].

وقد استخدم القرآن هذه المفردة بهذا المعنى اللغوي، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[٣].

فهذه المفردة في حدّ ذاتها لغوياً حيادية المعنى، لا تتضمن مدلولاً سلبياً أو إيجابياً، وإنما تستمد سلبيتها أو إيجابيتها من متعلق الموالاة والمناصرة والمعاونة، فإن كانت المشايعة والمناصرة لأهل الحق تكون تضمنات المفردة إيجابية، وإن كانت المشايعة لأهل الباطل تكون سلبية.

هذا بالنسبة للمعنى اللغوي، أما في الاصطلاح، تطلق مفردة الشيعة ويراد منها عدة معانٍ:

الشيعة بالمعنى الشامل الأعم

١- الشيعي بمعنى: مطلق المحِّب لأهل البيت عليهم السلام، مقابل الناصبي المبغض لأهل بيت النبوة عليهم السلام.

٢- المعنى الثاني للشيعي: هو كل من يفضِّل علياً على باقي الخلفاء، مع اعترافه بخلافتهم، وأنه رابع الخلفاء، كمعتزلة بغداد، وابن أبي الحديد المعتزلي، الذي يعتبر أن أبا بكر وعمر وعثمان خلفاء كما علي خليفة، ولكن علي أفضل منهم في المنزلة ومقدّم

---

(١) لسان العرب، ج٧، ص٢٥٨، مادة: شيع.

(٢) القصص:١٥.

(٣) الصافات:٨٣.

عليهم، أما تقدّمهم عليه في الخلافة فهو من باب تقدّم المفضول على الفاضل، وهو جائز عقلاً.

ولذا، كان العديد من علماء أهل السنة بسبب حبّهم لعلي عليه السلام وإنصافهم بحقه ولو بنحو جزئي، يطلق عليهم عبارات مثل: «يتشيع» و«فيه تشيع» و«شيعي»[1]، فشخصية مثل ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد يقول فيه ابن كثير: «إنّ صاحب العقد الفريد كان فيه تشيّع شنيع ومغالاة في أهل البيت...»[2].

وهذا الوصف أي «فيه تشيّع»...، استخدمه البعض كالذهبي في العديد من المواضع في كتابيه: **ميزان الاعتدال** و**سير أعلام النبلاء** كمصطلح للتجريح في علم الرجال تلميحاً لضعف من يوصف بهذه الصفة حتى لو كان من فقهاء وعلماء السنة، وكذلك ابن حجر في كتابيه: **تقريب التهذيب** و**لسان الميزان**.

الشيعة بالمعنى الخاص

٣- المعنى الثالث للشيعة يطلق على: كل من اعتبر علياً عليه السلام هو الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل بالنص، أي بتعيين مباشر واضح وصريح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي كإمام وخليفة للمسلمين من بعده.

قال الشيخ المفيد: «الشيعة هم من شايع علياً، وقدّمه على أصحاب

---

(١) يراجع حول مناقشة هذه الفكرة: دراسات في الحديث والمحدثين، هاشم معروف الحسني، ص١٥٦ وما بعد.

(٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية المعروف بتاريخ ابن كثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م، ج١٠، ص٢٣.

رسول اللّه، واعتقد أنه الإمام بوصية من رسول اللّه أو بإرادة من اللّه نصّاً»[١].

وقال الشهيد الثاني: «الشيعة من شايع علياً، أي اتبعه وقدّمه على غيره في الإمامة، وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة»[٢].

وقال الشهيد الأول: «الشيعة من شايع علياً عليه السلام في الإمامة بغير فصل»[٣]. أي من غير فصل بإمامة غيره بينه وبين رسول اللّه، بمعنى أن يعتقد الإنسان أنّ علياً هو الذي له حق الإمامة حصراً بعد رسول اللّه، واتبعه وشايعه وناصره ووالاه على أنه هو الإمام، أما من شايع علياً واتبعه مع اعتقاده بإمامة غيره من الخلفاء ممن سبقه فليس شيعياً بالمعنى الاصطلاحي، كابن أبي الحديد، فليس كل اتّباع لعلي هو تشيع بالمعنى الخاص بل نحو اتباع خاص يعتقد فيه التابع أن عليّاً هو الإمام حصراً بعد رسول اللّه دون غيره من الخلفاء.

والشيعة بهذا المعنى العام تشمل: الاثني عشرية، والإسماعيلية، والزيدية، والواقفية، والفطحية، والجارودية...إلخ من الفرق التي تصنّف ضمن التشيع بالمعنى العام.

---

(١) نقلًا عن: موسوعة العتبات المقدسة، جعفر خليلي، ج١، ص٩١.

(٢) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، العاملي، زين الدين بن علي، المعروف بالشهيد الثاني، تحقيق محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ط٢، ١٣٩٨هـ ج٣، ص١٨٢.

(٣) العاملي، شمس الدين محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول، الدروس الشرعية في فقه الإمامية،، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ج٢، ص٢٧٢.

الشيعة بالمعنى الأخص:

٤- أما الاصطلاح الرابع، أضيق دائرة من التشيع بالمعنى الخاص، فهو مختص بالشيعة الإمامية الاثني عشرية. والإمامية هم الذين يعتقدون بإمامة وعصمة الأئمة الـ ١٢: أمير المؤمنين علي، الحسن، الحسين، السجّاد، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا، الجواد، الهادي، العسكري، المهدي صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الشهيد الثاني: «الإمامية الاثنا عشرية أي القائلون بإمامة الاثني عشر المعتقدون لها. وزاد -الشهيد الأول- في الدروس[1] اعتقاد عصمتهم عليهم السلام أيضاً»[2]. حيث قال الشهيد الأول: «الإمامية هم القائلون بإمامة الاثني عشر وعصمتهم عليهم السلام والمعتقدون لها».

هذا هو معنى التشيع بشكل واضح وصريح لا لبس ولا شبهة فيه عند علماء الشيعة الإمامية، وهو أحقية علي بالخلافة بعد رسول الله بالنص منه صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعبارة أخرى: إنّ القول بأحقية علي بالخلافة ليس من باب المقارنة بأفعل التفضيل بمعنى زيادته عليه السلام على غيره في الفعل مع مشاركته له في أصل الفعل، بل القول بالأحقية هنا من باب الحصر الحقيقي به، وبمعنى آخر: ليس للخلفاء الثلاثة ممن سبق علياً حق في الخلافة أصلاً، لا أن لهم حقاً ولكن علي أحقّ منهم، وهذا هو رأي علماء مدرسة أهل البيت، فهم لا يتنكرون للرفض بمعنى عدم إقرار الخلفاء الثلاثة على خلافتهم وترك وجوب طاعتهم، كما اتضح من النصوص السابقة عن

---

(١) الدروس الشرعية في فقه الإمامية، ج٢، ص٢٧٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

المفيد والشهيدين الأول والثاني، وكذلك في نصيّ الشهرستاني وابن حزم الآتيين، ولكن رفض خلافة الصحابة الثلاثة شيء، وكون الشيعة يكفّرون الصحابة ويسبونهم هو شيء آخر تماماً، ولا علاقة بينهما ولا يوجد أدنى ملازمة بين الأمرين أصلاً، فالشيعة يحترمون الصحابة، ويجلونهم، نعم، لهم ملاحظات على بعض الصحابة، وهو أمر طبيعي لأن الصحابي غير معصوم، فقد يخطأ ويقع في الخطيئة عمداً أو سهواً، كما سنذكر في مبحث عقيدة الشيعة بالصحابة.

وبناء عليه، لا ينطوي معنى التشيع بالدلالة المطابقية أو التضمنية أو الالتزامية على ما ذكره السلفيون الوهابيون من المعنيين:

١ - الرفض بمعنى بغض الصحابة والطعن فيهم.

٢ - الغلو في أهل البيت وتأليههم.

معنى التشيع عند علماء الملل والنحل من أهل السنة:

إن المتخصصين في الملل والنحل من أهل السنة، أمثال: عبد الكريم الشهرستاني، وابن حزم الأندلسي، وغيرهما، رغم موقفهم السلبي من الشيعة، ذكروا أيضاً في تعريفهم للشيعة المعنى السابق.

قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: «الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي اللّه عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جليّاً وإما خفيّاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره»[1].

---

(١) الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، تقديم صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ج١، ص١٦٣.

وقال ابن حزم الأندلسي: «ومن وافق الشيعة في أن علياً أفضل الناس بعد رسول اللّه، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده، فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون»[١].

النصوص الموضوعة والمكذوبة على النبي وأهل البيت:

أما الأحاديث التي وضعت لتظهير الشيعة على لسان أهل البيت بأنهم رافضة مثل: «إنّ من شيعته قوماً يغطون الإسلام يلقطونه لهم نبز يسمون الرافضة»، فهذه الروايات مكذوبة على يدّ الخصوم والأعداء ومن صنع الوضاعين والكذابين في سياق الرد على الأحاديث الصحيحة، التي تفيد أن عليّاً وشيعته في الجنة.

عن الإمام علي قال: قال لي رسول اللّه ﷺ: «أنت وشيعتك في الجنة»[٢]. «إنّ علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»[٣].

وعنه ﷺ، قال: «يا علي إذا كان يوم القيامة، يخرج قوم من قبورهم، لباسهم النور، على نجائب[٤] من نور، أزمّتها يواقيت حمر، تزفهم الملائكة إلى المحشر.

فقال علي: تبارك اللّه، ما أكرم هؤلاء على اللّه.

قال رسول اللّه: يا علي، هم أهل ولايتك وشيعتك ومحبوك، يحبونك بحبي، ويحبوني بحب اللّه، هم الفائزون يوم القيامة»[٥].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص١١٣.

(٢) ابن عساكر، م.س، ج٤٢، ص٣٣٢.

(٣) نفس المصدر، ص٣٣٣.

(٤) النجائب جمع نجيب، وهي الحيوان النفيس الكريم كالفرس.

(٥) ابن عساكر، م.س، ج٤٢، ص٣٣٢.

فلما وجد خصوم أهل البيت والسلطة الحاكمة الظالمة أن هذه الأحاديث وهي كثيرة جدّاً لا تخدم أهدافها، بل تفيد خلاف الغرض من مصالحها، وضعت أحاديث في تشويه معنى التشيع، وإخراجه عن هذا المعنى الوارد في نص الرسول، إلى كون التشيع هو الغلو في محبة علي إلى درجة تأليهه والشرك بالله -معاذ الله-، وأن التشيّع هو طعن في السّلف الأول، وأنه سبّ وشتم ولعن لأبي بكر وعمر وللصحابة.

وذلك، لفكّ الارتباط بين أئمة المذهب وبين أتباعهم، وللقول بأن علي وأهل بيته براء من هؤلاء الذين يدّعون التشيع.

بل يمكن حمل بعض هذه الأحاديث -على فرض التسليم بصحتها- على السلفيين أنفسهم، لأنهم هم من ينتحل حبّ أهل البيت وليسوا كذلك، وهم الذين يرفضون ولاية علي عليه السلام، فهم أحق بأن يسموا الرافضة بالمعنى السلبي.

ولا أقل، تحمل هذه الأحاديث على طائفة خاصة ممّن ادعوا التشيع لعلي، وهم الغلاة، الذين لا يمتون بصلة إلى الإمامية الاثني عشرية.

المبحث الثاني

ولادة التشيع من رحم الدعوة النبوية

تمهيد

اتضح في المباحث السابقة، أنّ السلفية الوهابية تعتقد بأن التشيع ليس أصيلاً في الإسلام، وإنما تعود ولادته لمخاضات عوامل خارجية، يهودية أو مجوسية أو فارسية أو مسيحية أو غيرها...

وفي هذا المبحث والذي يليه سنتوقف عند معالجة هذه الافتراءات ونقدها ونقضها، وسنُظهِر أن التشيع ولد من رحم الدعوة النبوية وهو جوهرها وامتدادها.

ونتوقف في البداية عند الرأي الذي اختاره علماء مدرسة أهل البيت في بيان الأصالة الإسلامية لنشأة التشيع وولادته. ثم نعرض لاحقاً بشكل مختصر بعض آراء الباحثين والمؤرخين حول نشأة التشيع.

ونلفت إلى ما كنا ذكرناه سابقاً من أن التشيع له معانٍ متعددة، والمعنى الذي يشكل موضوع البحث هنا، ليس هو التشيع بالمعنى الأعم بل التشيع بالمعنى الخاص، أي: الاعتقاد بأحقية علي في

الإمامة العامة العقائدية والتشريعية والسياسية... للأمة الإسلامية خلافةً ووراثة عن النبي محمد بن عبد اللّه بعد وفاته بدون فصل، بالتعيين الإلهي والنص الصريح والواضح من رسول اللّه ﷺ.

بذور التشيع في عهد رسول اللّه

يعتقد علماء مدرسة أهل البيت انطلاقاً من الشواهد التاريخية والروائية، أن بذور شجرة التشيع لفظاً ومضموناً ومعنى، زرعت بيد رسول اللّه ﷺ، وهذا أمر طبيعي بعد أن اتضح تعريف التشيع، إذ ما دام التشيع هو الاعتقاد بأحقية علي بالخلافة بعد رسول اللّه بنص منه بلا فصل، فهذا يقتضي كون التنصيب حصل في زمن رسول اللّه، ولإعطاء المبحث صبغة استدلالية نتوقف عند المسألة بشيء من الشرح.

أما من ناحية اللفظ، فقد ورد العديد من الأحاديث النبوية التي تتكلم عن «شيعة علي»، وقد ذكرنا بعضها في المباحث السابقة، كقوله ﷺ: «يا علي أنت وشيعتك في الجنة»،...إلخ، وهذه الروايات مذكورة بالعشرات في كتب الفريقين من السنة[1] والشيعة، والتدقيق في هذه الأحاديث النبوية يرسم لنا بوضوح معالم بداية نشأة التشيع لفظاً.

أما من ناحية المعنى، أي من حيث ترسيخ الاعتقاد بأحقية علي بالإمامة بعد النبي ﷺ، فقد استدل علماء المذهب على نشأة التشيع في عهد رسول اللّه بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث

---

(١) يراجع: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، ج٦، ص٥٨٩.

النبوية، نذكر بعض النماذج منها بشكل مختصر، ومن أراد التفصيل فقد أشبع علماء الشيعة الكلام حولها.

آية إنذار العشيرة

يقول اللّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1].

يذكر المؤرخون والمفسرون من الفريقين في سبب نزول هذه الآية، أنها كانت في سياق الطلب الإلهي من النبي ﷺ أن ينقل الدعوة الدينية من حيّز السرية التي دامت ٣ سنوات إلى الإشهار والإعلان، فطلب الرسول حينها من علي بن أبي طالب أن يعدّ طعاماً ولبناً، ثم دعا ٤٥ رجلاً من وجوه بني هاشم، وبعد أن فرغوا من الطعام قال رسول اللّه: «... يا بني عبد المطلب، إنّي واللّه ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم... وقد أمرني اللّه عزّ وجلّ أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟

فلم يجبه أحد، إلا علياً. ثم كرّر النبي دعوته ثلاث مرات، وكل مرة يحجم القوم، ويلبي علي الدعوة، حتى أخذ رسول اللّه بيد علي وقال: إنّ هذا أخي ووصيي ووزيري فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»[2].

فيلاحظ في هذا الحديث: أن الرسول عيّن علياً وصيّاً وخليفةً، ومعنى الوصاية والخلافة هنا هي الإمامة العامة المستلزمة لوجوب الطاعة بقرينة: «اسمعوا له وأطيعوا»، حيث يفيد فعلا الأمر وجوب

---

(١) الشعراء:٢١٤.

(٢) يراجع: مسند أحمد:ج١، ١١١. تاريخ الطبري، ج٢، ص٦٢.

السمع والطاعة لعلي، وهذا هو معنى ولاية الأمر المتقوّمة بوجوب الطاعة.

آية الولاية:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1].

والبحث حول الآية يقتضي التعرض لعدة جهات:

- ما هو معنى الولاية؟
- هل متعلق الولاية جماعة أم فرد؟
- من هو الشخص الذي اجتمعت فيه هذه الصفات المذكورة في الآية؟

أما بالنسبة لمعنى الولاية، فإنها تستعمل في اللغة العربية بمعانٍ مختلفة، منها: الحب، النصرة، والأصل أنها بمعنى: «الأولى»، أي الأولى بالقيام بالأمر وتدبير شؤونه، والأحق بالتصرف، وقد حملت الولاية في الآية من قبل علماء الشيعة على هذا المعنى، أما عند غيرهم فقد حملت على معنى الحب والنصرة، أما حمل علماء الشيعة لها على هذا المعنى فهو نتيجة شواهد وقرائن داخلية سياقية في الآية، وقرائن خارجية من الأحاديث والروايات.

والقرينة الأولى الداخلية في الآية، تحيلنا للحديث عن من هو المقصود بالآية، فمن الواضح أن المعني بالآية لا بد من أن تتوفر فيه

---

(١) المائدة: ٥٥.

ثلاث صفات مجتمعة معاً: الإيمان + إقامة الصلاة + إيتاء الزكاة في الركوع، وهذا مفاده أن المقصود بالذين آمنوا ليس مجموع المؤمنين، لأنهم ليس كلهم تتحقق فيهم هذه الصفات، وعليه لا يمكن أن يكون المعنى هو الحب والنصرة، وإلا لكانت الآية يتم معناها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من دون بيان تلك الصفات. كما أن مفردة «إنما» الواردة في الآية تفيد نفي صفة الولاية عن غير اللّه ورسوله والذين آمنوا، لأن إنما هنا بمعنى ليس... إلا، كما تقول: إنما لك عندي ليرة، أي ليس لك عندي إلا ليرة، وبعبارة أخرى تفيد «إنّما» التخصيص، وبما أن الولاية بمعنى الحبّ والمناصرة الدينية غير مختصة بفرد فلاني معيّن بل عامة لجميع الأمة، فلا يكون المراد هو الحبّ والنصرة، وإنما المراد هو الولاية بمعنى ولاية الأمر.

أما بالنسبة لمن هو هذا الشخص المخصوص المراد إثبات الولاية له، فلم تفصح الآية عنه بالاسم صريحاً ولكن وصفته بأوصاف نادرة. وقد ورد في الكتب الحديثية للفريقين السنة والشيعة أنها نزلت في علي عليه السلام[1]. وذكر السيد عبد الحسين شرف الدين أن الروايات متواترة في نزولها في علي[2].

فالآية وإن لم تبين المصداق المقصود منها بالاسم، أي من هو

---

(١) الكافي، الكليني، ج١، ص٢٨٨. ومن كتب السنة منهم السيوطي في الدر المنثور عند تفسير الآية المذكورة، وكذلك الرازي في مفاتيح الغيب، والبيضاوي في تفسيره، والزمخشري في الكشاف، والثعلبي في تفسيره. وقد ذكرها السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه المراجعات، ص٢٣٠ وما بعد. كما ذكرها العلامة الأميني في كتابه الغدير، ج٢، ص٥٢ وما بعد. كما تحدث السيد مرتضى العسكري في كتابه معالم المدرستين، ج١، ص٣٠٨ وما بعد عن هذه الآية وغيرها تحت عنوان ولاية علي في القرآن.

(٢) يراجع: المراجعات، ص٢٣٠.

الشخص المستحق للتولّي، إلا أنّ الروايات التاريخية في أسباب النزول بيّنت ذلك بشكل واضح.

روى الحافظ الطبراني[1] قال: «قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائلَ، فأتى رسول اللّه ﷺ فأعلمه بذلك، فنزلت على رسول اللّه ﷺ هذه الآية (إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)، فقرأها رسول اللّه ﷺ ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه...».

ولكون دلالة الآية بضميمة الروايات على أن الولاية بمعنى الإمامة والخلافة ثابتة لعلي وظاهرة، اضطر هذا الظهور بعض علماء مدرسة أهل السنة إلى الاعتراف بكون الآية مدلولها إثبات الإمامة لعلي، ولكن قالوا: «إن علياً رضي اللّه عنه كان ولياً وأميراً بهذا الدليل في أيامه ووقته، وهو بعد عثمان وأما قبل ذلك فلا»[2].

وبمعنى أخر ذكر بعض علماء أهل السنة أن الآية دالة على إمامة علي، لكن حين نزولها لم تدلّ على إمامة علي في الحال أي في حياة رسول اللّه، «لأن علياً ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن علياً سيصير إماماً بعد ذلك»، وإذا وافقت الشيعة على أن إمامة علي

---

(١) المعجم الأوسط، ج٦، ص٢١٨. ونقله الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج٧، ص١٧.

(٢) التمهيد في بيان التوحيد، أبو شكور محمد بن عبد السعيد الحنفي، نقلًا عن: الغدير، ج١، ص٣٩٧ وما بعد.

بعد رسول الله ﷺ، «نحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان، إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت»[١].

وهذا كما ترى تخريج استنسابي وتأويل تابع للذوق الشخصي لا دليل عليه من الآية والروايات التاريخية، وهو مجرد عملية تهرّب من الحقائق والوقائع ولي عنقها من أجل أن تناسب ما يعتقدونه.

وعلى كل حال، بناء عليه يكون المقصود بالولي في الآية: أن الأحق بتدبير شؤون الأمة وإدارة السياسة العليا للدولة الإسلامية والمستحق للطاعة من قبل المسلمين، بعد رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

أما الإشكال بكون اللفظ في الآية (الذين آمنوا) بصيغة الجمع وليس المفرد، أي لم يقل الله تعالى (الذي آمن)، فالجواب أن الجمع لا ينافي استعماله في فرد واحد وهو علي عليه السلام، وذلك لأن استعمال اللفظ المفرد وإرادة الجمع منه شائع في المحاورات اللغوية العربية، فحتى الإنسان يقول: نحن، وقلنا، أو يخاطب الآخر: حضرتكم، جنابكم، وهو يقصد الفرد وليس الجماعة، وذلك من أجل الاحترام والتعظيم.

فالسبب في إطلاق لفظ الجمع على علي عليه السلام هو من باب التفخيم والتعظيم لأن أهل اللغة العربية يعبرون عن الواحد بصيغة الجمع على سبيل التعظيم[٢].

---

(١) يراجع حول هذا الوجه: الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ج١٢، ص٢٩.

(٢) مجمع البيان، ج٢، ص٢١١.

إذاً الآية القرآنية تثبت أن الولاية ثابتة لعلي بمعنى خلافته، لذا، استدل علماء مدرسة أهل البيت بهذه الآية وغيرها على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

نعم وعلى عادته أشكل الطبري على دلالة الآية على ولاية وإمامة علي حيث قال: «إنّ علي بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتج بها في محفل من المحافل، وليس للقوم أن يقولوا: إنه تركه للتقية فإنهم ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع فضايله ومناقبه ولم يتمسك البتة بهذه الآية في إثبات إمامته»[2].

ولكن قد غاب عن الطبري أن الإمام علي عليه السلام قدّ احتج بهذه الآية في محفل من المحافل حضره عشرات الصحابة، وقد قام فيهم سبعين بدرياً وشهدوا معه عليه السلام فيما يقول، قائلين: نشهد أنّا قد سمعنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك، ففي معركة صفيّن صعد الإمام علي عليه السلام المنبر في عسكره وجمع الناس ومن بحضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار، ثم حمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس؟ إن مناقبي أكثر من أن تحصى، وبعد ما أنزل اللّه في كتابه من ذلك، وما قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم، أكتفي بها عن جميع مناقبي وفضلي...، فأنشدكم باللّه؟... في قول اللّه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾... فقال الناس: يا رسول اللّه؟ أخاص لبعض المؤمنين؟ أم عام لجميعهم؟

---

(١) يراجع مثلًا: الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص١٩٨.

(٢) تفسير الطبري، ج ٣، ص ٤١٨.

فأمر اللّه عزّ وجلّ رسوله أن يعلمهم وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجهم، فنصبني بغدير خم وقال: إن اللّه أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبي فأوعدني لأبلغها أو يعذبني، قم يا علي؟ ثم نادى بالصلاة جامعة فصلى بهم الظهر ثم قال: أيها الناس؟ إن اللّه مولاي وأنا مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصره من نصره، واخذل من خذله. فقام عليه سلمان الفارسي فقال: يا رسول اللّه؟ ولاء كماذا؟ فقال: ولاء كولاي من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه[1]...

ويشهد على ذلك العديد من النصوص منها: ما رواه الكليني في الكافي بسنده عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[2]؟ قال: «لما نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾، اجتمع نفر من أصحاب رسول اللّه ﷺ في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟

فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنا فإن هذا ذلّ حين يسلط علينا ابن أبي طالب.

فقالوا: قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول، ولكنا نتولاه، ولا نطيع علياً فيما أمرنا.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٢٧٦.

(٢) النحل:٨٣.

قال عليه السلام: فنزلت هذه الآية ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾، يعرفون يعني ولاية -علي- وأكثرهم الكافرون بالولاية»[1].

فيظهر من هذه الرواية أن تفسير الآيات الواردة بحق إمامة علي ووجوب طاعته على عموم المسلمين لم ينشأ فيما بعد وفاة رسول اللّه، بل في عهده صلى الله عليه وآله وسلم، فالبعض كان يفهم ما هو ظاهر بشكل صريح من الآيات أنها في مقام بيان منح الولاية بمعنى الأحقية بالتصرف لعلي، وبالتالي وجوب الطاعة من طرف الأمة لعلي عليه السلام، ومن هذا البعض سلمان والمقداد وعمار وأبو ذر وغيرهم، وهؤلاء هم من الشيعة ليس بمعنى الحب والنصرة بل بمعنى أنهم يرون أحقية علي في خلافة رسول اللّه بالنصوص القرآنية والروائية الواضحة، ومن هذا البعض من أبغض أو حسد علياً في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

فهم كما أوضحت الرواية السابقة يعرفون نعمة اللّه بولاية علي ثم ينكرونها، لأنهم فهموا من معنى الولاية في الآية وجوب الطاعة لولي الأمر الذي هو علي لذا قالوا: «إن هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب... ولا نطيع علياً فيما أمرنا».

وهناك فهم آخر مغاير نشأ لاحقاً بعد حياة رسول اللّه، ليس وليد العلاقات اللغوية داخل النص، بل وليد الحالات النفسية لأصحابه الذين يكنون الحسد أو الرفض لعلي، فحملوا معنى الولاية في الآيات والأحاديث النبوية كما في حديث الغدير: «من كنت مولاه

---

(١) الكافي، ج١، ص٤٢٧.

فهذا علي مولاه»[1]، على الحب والنصرة وليس على الولاية بمعنى الإمامة على الأمة.

هذا بالنسبة لبعض الآيات، أما الروايات فهي أكثر من أن تذكر: كحديث الغدير، وحديث المنزلة (رواه البخاري في صحيحه، ج٥، باب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي) وحديث الثقلين الذي أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد وغيرهم، وحديث السفينة أخرجه الطبراني والحاكم في المستدرك... إلخ.

والغرض المهم في موضوع بحثنا ليس الاستدلال على إمامة علي عليه السلام حتى نخوض في الأدلة ونفكك النصوص ومفرداتها وما أثير حولها من إشكالات، فقد أشبع علماؤنا البحث فيها، إنما موضع الشاهد الذي نريده هو أن التشيع بمقتضى الآيات والأحاديث النبوية بمعنى حب علي والاعتقاد بأحقيته بالإمامة بعد رسول الله ووجوب طاعته من قبل الأمة كان اتجاهاً موجوداً في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإن العديد من الصحابة إن لم نقل جميع من كان على معرفة برسول الله وأحاديثه يدرك أن إمامة علي عليه السلام منصوص عليها في زمن رسول الله، وهذه هي البذرة الأولى للتشيع، ويكفي ذلك في إثبات أن التشيع تضرب جذوره عميقاً في التاريخ الإسلامي وصولاً إلى عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا الانقسام بين من يرى في علي ولياً بمعنى الإمامة وهذا هو التشيع، وبين من يرى في علي ولياً بمعنى لزوم حبه كان منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد استعمل النبي نفس مصطلح الشيعة، «هذا وشيعته»، في العديد من المواضع بهذا المعنى كما أشرنا.

---

(١) يراجع: مسند أحمد، ج٤، ص٣٧٢. المستدرك، ج٣، ص١٠٩.

نعم، كل ما في الأمر، أن التيار الثاني الرافض لولاية علي كان كامناً في زمن النبي ومتضمناً في الأمة، ولم يكن ليصرح برفضه لتلك الروايات لأنه يستلزم تكذيب النبي فيما قال، وهذا ما يظهر بوضوح من الرواية التي ذكرها الكليني في الكافي، «...إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنا فإن هذا ذلّ حين يسلط علينا ابن أبي طالب. فقالوا: قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول، ولكنا نتولاه، ولا نطيع علياً فيما أمرنا».

وبعد وفاة رسول اللّه ﷺ برز الخط الثاني بشكل واضح، لا أن الخط الأول المعتقد بولاية علي هو الذي نشأ لاحقاً، فهناك من بقي على الاعتقاد بإمامة علي وأحقيته بالخلافة نتيجة الإيمان بمدلولات تلك النصوص القرآنية والنبوية على ذلك وهذا معنى التشيع، وهناك من سار على الخط المقابل في رفض أحقية علي وتقديمه على الآخرين في الولاية وإن آمن بولايته في زمانها أي عندما أصبح الخليفة الرابع بمفهومهم، وهم الأحقّ بأن يطلق عليهم اسم الرافضة بالمعنى السلبي لأنهم رفضوا ولاية صحاب الحق الذي عيّنه اللّه ورسوله إماماً ووصيّاً وخليفةً على المسلمين.

ولذا، نلاحظ أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك زوجته الصديقة فاطمة الزهراء، قد احتجوا على صحابة النبي الذي اختاروا الخط الآخر بالأحاديث التي ذكرها رسول اللّه ﷺ، فهذا يعني أن علياً وأصحابه الخلّص كانوا يفهمون من تلك الأحاديث النبوية هذا الفهم، وكانوا يعلمون بفهم الآخرين لها كذلك، وإلا لما صحّ منهم الاحتجاج والمجادلة بها، خصوصاً

أن الجدال يقع بقضايا مشهورة وذائعة ومتسالم عليها بين طرفي الحوار والجدال[١].

منها: روى ابن الأثير (أسد الغابة، ج٣، ص٣٠٧ وج٥، ص٢٠٥) عن الأصبغ قال: «نشد علي الناس في الرحبة من سمع النبي ﷺ يوم غدير خم ما قال إلا قام؟ ولا يقوم إلا من سمع رسول الله يقول، فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمرة بن عمرو بن محصن، وأبو زينب (ابن عوف الأنصاري) وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبد الله بن ثابت الأنصاري، وحبشي بن جنادة الصلولي، وعبيد بن عازب الأنصاري، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن وديعة الأنصاري، وأبو فضالة الأنصاري، وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه، وأعن من أعانه».

ولذا نرى أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يستدلون ويحتجون على إمامة علي عليه السلام بالنصوص الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ.

ففي سياق احتجاج صحابة رسول الله على من سارعوا وبادروا إلى تولّي الخلافة، قام أبو ذر الغفاري فقال: يا معشر قريش أصبتم قباحة وتركتم قرابة... لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله ﷺ قال: «الأمر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي»، فأطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به إليكم...

ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا أبا بكر... سلّم الأمر لصاحبه

---

(١) يراجع: الحسن، عبد الله، مناظرات في الإمامة، أنوار الهدى، ط١، ١٤١٥هـ.

الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول اللّه ﷺ في عنقك من بيعته...، وقد علمت وتيقنت أن علياً بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول اللّه، فسلمه إليه بما جعله اللّه له...

ثم قام إليه بريدة الأسلمي فقال:...يا أبا بكر... أو لم تذكر ما أمرنا به رسول اللّه ﷺ من تسمية علي عليه السلام بإمرة المؤمنين والنبي ﷺ بين أظهرنا...

ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى به وأحق بإرثه وأقوم بأمور الدين وآمن على المؤمنين وأحفظ لملته وأنصح لأمته، فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله... وعلي أقرب منكم إلى نبيكم وهو من بينهم وليكم بعهد اللّه ورسوله... وقوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها...

... ثم قام خزيمة بن ثابت فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أن رسول اللّه ﷺ قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قالوا: بلى. قال: فأشهد أني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم »، وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ثم قام أبو الهشيم بن التيهان فقال: وأنا أشهد على نبينا ﷺ أنه أقام علياً ـ يعني في يوم غدير خم ـ فقالت الأنصار: ما أقامه للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول اللّه ﷺ مولاه، وكثر الخوض في ذلك، فبعثنا رجالاً منّا إلى رسول اللّه ﷺ فسألوه عن ذلك فقال: «قولوا لهم علي ولي المؤمنين بعدي

وأنصح الناس لأمتي»، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ومنشاء فليكفر، إن يوم الفصل كان ميقاتاً.

ثم قام سهل بن حنيف فحمد اللّه وأثنى عليه وصلى على النبي محمد وآله ثم قال: يا معاشر قريش اشهدوا عليّ أني أشهد على رسول اللّه وقد رأيته في هذا المكان -يعني الروضة- وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: «أيها الناس هذا علي إمامكم من بعدي ووصيي في حياتي وبعد وفاتي وقاضي ديني ومنجز وعدي وأول من يصافحني على حوضي، فطوبى لمن اتبعه ونصره، والويل لمن تخلف عنه وخذله».

... ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: اتقوا اللّه عباد اللّه في أهل بيت نبيكم، وارددوا إليهم حقهم الذي جعله اللّه لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا صلى الله عليه وآله ومجلس بعد مجلس يقول: «أهل بيتي أئمتكم بعدي» ويومي إلى علي، ويقول: «هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله منصور من نصره»، فتوبوا إلى اللّه من ظلمكم إياه إن اللّه تواب رحيم، ولا تتولوا عنه مدبرين ولا تتولوا عنه معرضين[1].

فالشواهد التاريخية واضحة في كون خط التشيع زرعت بذور شجرته التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في عهد الرسول ونمت بشكل أوضح بعد وفاته صلى الله عليه وآله، وهذا طبيعي لأن مذهب التشيع لم يكن دفعياً وإنما ولد في سياق تدريجي تاريخي مع الأئمة عليهم السلام.

---

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تعليقات محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م، ج١، ص١٠٣.

وهذا هو الرأي الذي يتبناه علماء مدرسة أهل البيت.

يقول النوبختي: «أول الفرق الشيعة وهم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام، المسمّون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وآله وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه، والقول بإمامته»[1].

وقد أيّد ذلك محمد كرد علي حيث قال: «عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول اللّه على النصح للمسلمين، والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له. ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: أُمِر الناس بخمس، فعملوا بأربع، وتركوا واحدة، ولما سئل عن الأربع؟ قال: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحج. قيل: فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب. قيل له: وإنها لمفروضة معهن؟ قال: نعم هي مفروضة معهن[2]. ومثل أبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وخالد بن سعيد، وقيس بن سعد بن عبادة، وكثير أمثالهم»[3].

وقد عدّ السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص١٧٩ـ١٩٠) الصحابة ممن

(١) النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، جمعية المستشرقين الألمانية، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣١م، ص١٥.

(٢) يراجع حول هذه الرواية مع اختلاف في اللفظ: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، تعليق حسن استادولي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م، ص١٣٩، المجلس١٧، ح:٣.

(٣) كرد علي، محمد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣م، ج٦، ص٢٤٥-٢٤٦.

كانوا يتشيعون لعلي بن أبي طالب فذكر أكثر من مئتين. وكذلك ذكر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها، ص٥٣). والشيخ الوائلي في كتابه (هوية التشيع، ص٣٤) ذكر ١٣٠ صحابياً بأسمائهم ممن كانوا يوالون علياً ويؤمنون بأحقيته في الخلافة. وكذلك السيد صدر الدين السيد علي المدني الحسيني الشيرازي في كتابه (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة الإمامية، ص٧٩).

والخلاصة: أن التشيع ليس حاصل تفاعل مجموعة عوامل خارجية كما تدّعيه الوهابية السلفية، بل ولد من رحم الدعوة النبوية وهو جزء من المنظومة العقائدية الإسلامية التي بلّغها الرسول للأمة فكمل بذلك الدين وتمت النعمة، في حين أن العارض والطارئ على الإسلام هو الرفض لما جاء به رسول اللّه من اللّه تعالى.

آراء أخرى في نشأة التشيع

تعرضنا إلى رأي علماء مدرسة أهل البيت في نشأة التشيع، وفي هذا المبحث سنعرض بعض الآراء الأخرى[1] التي تبناها بعض المؤرخين والباحثين في تاريخ العقائد والمذاهب حول بداية نشأة التشيع، وهي رغم عدم توافقها مع الرأي السابق إلا أنها تعارض الرأيين اللذين ذكرناهما سابقاً:

الأول: أن التشيع نشأ على يد عبد اللّه بن سبأ اليهودي.

والثاني: أن التشيع فارسي.

وبعد أن أثبتنا رأي علماء مدرسة أهل البيت تنتفي الآراء الأخرى تلقائياً، وتصبح شبهات ويصبح الرد عليها من باب دفع الشبهات.

- الرأي الأول: أن نشأة التشيع حدث بعد واقعة السقيفة، وقد تبنى هذا الرأي ابن خلدون، حيث قال: «إن الشيعة ظهرت لما توفي الرسول وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش، ولما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعلي ويرون استحقاقه على غيره، ولما عدل به إلى سواه تأففوا من ذلك»[2].

---

(١) ويراجع حول هذه الآراء ومناقشتها: الوائلي، أحمد، هوية التشيع، دار الصفوة، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. والسبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ج٦.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣٦٤.

ويقول اليعقوبي: «وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب...»[١].

وفي الحقيقة، هذا الرأي يؤكّد ما تبنيناه، ولا يعارضه، حيث إن قول ابن خلدون تضمن تناقضاً واضحاً، فهو من جهة يقول: «إن الشيعة ظهرت لما توفي الرسول»، ومن جهة ثانية يقول: «لما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعلي»، وهذا يعني أن التشيع لعلي كان موجوداً قبل وفاة النبي وليس ذلك إلا نتيجة النص والتعيين النبوي، لأنه لا يمكن أن يظهر هذا الاتجاه بين ليلة وضحاها، ومن فراغ.

لذا، يقول الشيخ الوائلي: «ما عليه بعض الباحثين والمؤرخين الذين ذهبوا إلى أن التشيع ظهر يوم السقيفة فإن ذلك ينهض دليلاً على وجوده أيام النبي ﷺ، لأنه من غير المعقول أن يتبلور التشيع بأسبوع واحد»[٢].

- الرأي الثاني: أن نشأة التشيع حصلت أيام عثمان بن عفان، كما يظهر من ابن النديم في الفهرست[٣].

- الرأي الثالث: بأن التشيع وموالاة الإمام علي، إنما ظهر مع

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب البغدادي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج٢، ص١٢٤.

(٢) هوية التشيع، ص٢٩.

(٣) ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٢١٧.

توليه عليه السلام الخلافة بعد عثمان. وانفجار الحروب بينه وبين خصومه: الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

- الرأي الرابع: يرى أن تبلور مذهب الشيعة وظهوره كان بعد واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين، كالمستشرق بروكلمان(١).

---

(١) يراجع حول هذه الأقوال: كتاب هوية التشيع، ص٢٤ ما بعد. وكتاب: بحوث في الملل والنحل، ج٦.

المبحث الثالث

الرد على تهمة يهودية التشيع

تقدم أن أدلة السلفية على يهودية التشيع تنحصر في أمرين: أن مؤسس مذهب الشيعة يهودي اسمه عبد اللّه بن سبأ، وأن هناك تشابهاً عقائدياً وتشريعياً بين اليهود والشيعة، وفي هذا المبحث سنناقش كلا المسألتين، وننطلق من المسألة الثانية، ونعالج المسألة الأولى في الفقرة الثانية تحت عنوان: ما هو موقف علماء مدرسة أهل البيت من شخصية عبد اللّه بن سبأ؟

التشابه العقائدي والتشريعي بين اليهود والشيعة

سنناقش التشابه المزعوم بين الشيعة واليهود في محورين: الأول: بشكل نقضي، والثاني: بشكل حلّي جزئي. أما بالنسبة للمحور الأول فنذكر ثلاث نقاط:

- النقطة الأولى: أن التشابه بين اليهودية والتشيع لو كان شاهداً على يهودية التشيع، لكان من باب أولى شاهداً على يهودية الإسلام، لأن التشابه ما بين الإسلام واليهودية واقع في موارد عديدة عقيدة وشريعة.

ولكن غفل السلفيون عن أن هذا التشابه بين التشيع بل حتى الإسلام واليهودية في الحقيقة -على فرض التسليم به- هو أمر طبيعي، لأن اليهودية ليست إلا ديناً سماوياً، وإن طالت أيدي التحريف اليهودية فهذا لا يعني بالتلازم أن كل ما في اليهودية بالتفصيل على نحو مطلق (الموجبة الكلية) قد وقع فيه التحريف، فانحراف اليهودية عن المسار الإبراهيمي لا يعني انتفاء الحق كلياً من أصولها العقائدية وتشريعاتها، وإنما أقصى ما يمكن إثباته هو التحريف على نحو أكثري، وعليه: تبقى بطبيعة الحال هناك بعض الأصول المشتركة بين الديانات السماوية المختلفة حتى المسيحية، لأن جميعها من مصدر وحياني واحد، ومن مرجع إلهي واحد.

- النقطة الثانية: طرحت في نقاط التشابه عدة أمور لا يقول بها الشيعة أصلاً، فهي كذب ومحض افتراء عليهم، منها: استحلال دم الناس، عداوة جبرئيل، فضلاً عن غيرها مما لا يستحق الرد[1].

---

(١) يقول السيد محسن الأمين العاملي في رده على الكلام الذي ذكرناه سابقاً عن الشعبي: «هذا الكلام لا يحتاج بيان جهل قائله وسخافته، وسخافة قائله وناقله إلى أكثر من ذكره بدون تعليق عليه،... ولكننا مع وضوح سخافته تضطرنا الحال إلى التعليق عليه، فالذين ينبزهم هؤلاء بالرافضة هم أتباع أهل البيت ومحبوهم، والمقدمون لهم على من سواهم كما قدمهم الله تعالى في كتابه، وقدمهم الرسول ﷺ فيما صح وتواتر عنه. والأهواء المضلة ما خالفهم وحاد عن طريقهم، فقد جعلهم النبي ﷺ بمنزلة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى، وبمنزلة باب حطة من دخله كان آمناً، وقال إن المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق. وشر من يهود هذه الأمة من قال إنهم يهود هذه الأمة... والشيعة تصلي المغرب حين تغيب الشمس وتذهب الحمرة المشرقية ونسبة غير ذلك إليهم كذب وافتراء. ومن المضحك المبكي نسبته إلى الشيعة أنها لا ترى الطلاق الثلاث شيئاً فهي تقول كما قال أئمة أهل البيت: من قال لزوجته أنت طالق ثلاثاً وقعت واحدة، ولا عيب عليها في ذلك بل العيب والشناعة على من يقول إن الواحدة تصير ثلاثاً بقوله ثلاثاً... والذين استحلوا دماء المسلمين هم أولياء الشعبي من بني أمية وغيرهم... ونقله =

- النقطة الثالثة: أن بعض ما طرح في أوجه التشابه بين الشيعة واليهودية هو عينه موجود في عقائد أهل السنة.

أما بالنسبة للمحور الثاني، فنتعرض لثلاث عقائد اتهم فيها الشيعة، وهي:

- عقيدة المهدوية.
- عقيدة البداء.
- عقيدة الرجعة.

= أن الشيعة لا ترى على النساء عدة وتقول غلط جبرائيل ولا تأكل لحم الجزور... وهل وجد شيئاً من هذه الافتراءات المخجلة في كتبهم ليكون قد أنصفهم؟!». أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج١، ص٥٩.

المبحث الرابع

المهدوية

عقيدة المهدوية إسلامية لا شيعية

إن المهدوية بمعنى الاعتقاد بأن المهدي سيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً هي عقيدة إسلامية عامة مشتركة بين جميع أبناء الأمة الإسلامية وليست من مختصات الفكر الشيعي، أما الاختلاف الحاصل بين السنة والشيعة في المهدوية ليس في أصل خروج إمام من ولد رسول الله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً في آخر الزمان، إنما هو في تفاصيل العقيدة، كولادة الإمام المهدي أو عدمها...

وقد كتبت يد محققي السنة كتباً عديدة في المهدي، منها: «صفة المهدي»، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، و«البيان في أخبار صاحب الزمان» للكنجي الشافعي، و«البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» لعلي المتقي الهندي صاحب كتاب كنز العمال، و«العرف الوردي في أخبار المهدي» للحافظ السيوطي الذي أورد فيه ما يزيد على ٢٠٠ حديث، و«القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر، و«فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر» لمرعي بن يوسف الحنبلي... إلخ.

وقد ألّف القاضي محمد بن علي الشوكاني كتاباً تحت عنوان: «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح»، أثبت فيه وجود التواتر على أخبار المهدي، وهذا يعني أنها تفيد العلم بعقيدة المهدوية وليس فقط الظن، فضلاً عن عدم إمكانية التشكيك فيها لوجود العلم بها.

ولكن رغم ذلك، تعرضت عقيدة المهدوية على يد بعض السلفيين إلى هجوم عنيف، فقد اعتبر بعضهم أن عقيدة المهدوية هي من الإسرائيليات كما اتضح من بعض الفقرات السابقة، في حين اعتبر آخرون أنها موضع شك، واعتبرها ثالث أنها لا تصح عن رسول اللّه وإنما هي من وضع الشيعة.

جاء في مقالة تحت عنوان: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر»، للشيخ عبد المحسن العباد، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد الثالث، السنة الأولى: «إن من بين الأمور المستقبلية التي تجري في آخر الزمان، عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، هو خروج رجل من أهل بيت النبوة من ولد علي بن أبي طالب، يوافق اسمه اسم الرسول ﷺ، ويقال له المهدي، يتولى إمرة المسلمين، ويصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، وذلك لدلالة الأحاديث المستفيضة عن رسول اللّه، التي تلقتها الأمة بالقبول، واعتقدت موجبها إلاّ من شذ».

وقد ذكر في المقالة: أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عن رسول اللّه، وأسماء الأئمة الذين أخرجوا الأحاديث والآثار الواردة في المهدي في كتبهم، وأسماء الذين أفردوا مسألة المهدي بالتأليف من العلماء... إلخ.

ويكفي في الرد على هؤلاء السلفية ما ذكره إمامهم ابن تيمية تعليقاً على الحديث الذي رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وذلك هو المهدي». حيث قال -أي ابن تيمية-: «إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره، كقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة، وفيه: المهدي من عترتي من ولد فاطمة،... وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف، طائفة أنكروها، واحتجوا بحديث ابن ماجة أن النبي ﷺ قال: لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم، وهذا الحديث ضعيف...»[1].

(١) منهاج السنة، ج٤، ص٢١١.

المبحث الخامس

عقيدة البداء إسلامية

أما عقيدة البداء، فهي من العقائد المهمة عند الشيعة الإمامية، إلى درجة أنه ورد في بعض الروايات: «ما عظّم اللّه عزّ وجلّ بمثل البداء»[1]، ولكون هذه العقيدة تعرضت لهجوم وتشنيع من قبل علماء السلفية، وبسبب سوء الفهم لحقيقة هذه العقيدة عند الشيعة، سنتوقف عند معالجة هذه النقطة بشيء من التفصيل.

لكن في البداية، نشير إلى أن التشنيع على الشيعة في هذه العقيدة ليس وليد الموضوعية العلمية في فهمها، وإنما هو وليد تحميل الشيعة ما لا يقولون به، بل وينفونه بشدة أيضاً، كما سيظهر أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه العقيدة مع عدم استخدام هذا المصطلح أي البداء، ولكن الاختلاف في التعبير اللفظي عن أي عقيدة لا ينبغي أن يكون موضع نزاع، لأنه لا مشاحة في المصطلحات، وإنما ينبغي أن يكون النقاش في مضمون الفكرة، فهل مضمون عقيدة البداء موجود عند أهل السنة؟ إن نفس توضيح معنى البداء عند الشيعة سيفيد بكون الجواب إيجابياً.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، باب البداء، ح٢، ص٣٦٥.

سعة علم الله تعالى

أولاً: يعتقد الشيعة الإمامية بأن اللّه تعالى عالم بكل ما في الوجود، كما ورد في العديد من الآيات القرآنية، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[١] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾[٢]، وهذا العلم الإلهي ليس مختصاً بالأمور الكلية بل يشمل جميع الجزئيات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٣]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[٤].

ثانياً: أن علمه تعالى عين ذاته وليس زائداً على ذاته، فهو تعالى علم كله لا يخالطه جهل، لأن الجهل فقدان وعدم ونقص، واللّه تعالى هو الكمال المطلق الذي لا يحدّ بجهل أو عدم أو نقص.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن اللّه علم لا جهل فيه، حياة لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه»[٥].

ثالثاً: أن علمه تعالى بالأشياء كان قبل الإيجاد أي قبل أن يخلق الموجودات، وأن علمه بعد أن خلقها وأوجدها لا يختلف عنه عمّا قبل إيجادها، فعلمه تعالى لا يتغير ولا يتبدل ولا يزول، بل هو كما كان على ما كان.

---

(١) البقرة:٢٣١.

(٢) طه:٩٨.

(٣) آل عمران:٥.

(٤) الأنعام:٥٩.

(٥) التوحيد، الصدوق، ص١٣٧.

عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «لم يزل اللّه عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»[١].

اللّه له المشيئة المطلقة

رابعاً: أن مشيئة اللّه تعالى فرع علمه ومنطلقة منه، فاللّه تعالى لا يشاء شيئاً اليوم لم يعلمه أمس، واللّه تعالى أيضاً مطلق القدرة، وله الحق في التصرف في ملكه كيفما شاء، فله المشيئة المطلقة في أن يمحو ما يريد وثبت ما يريد، ومع ذلك فقد كتب اللّه تعالى في لوح الوجود نوعين من الواقعيات:

- واقعيات لا تتبدل ولا تتغير، وهي سنن ثابتة لن تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً.
- وواقعيات خاضعة للتغيير والتبديل والتحويل.

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٢]، وهذا معناه أن القضاء الإلهي على قسمين: الأول: قضاء محتوم ثابت غير قابل للتبدل والتغير وهو الذي عبّر عنه بـ: ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

والثاني: قضاء قد يقع فيه التغير ويكون عرضة للتبدل، وقد وردت في ذلك العديد من الآيات والروايات التي علّقت تغير مصير الإنسان ببعض الأفعال، فالتقوى سبب للرزق[٣]، والدعاء سبب النجاة ودفع الكرب والبلاء والضر والغم وكشف العذاب[٤]، قال

(١) الكافي، ج١، باب صفات الذات، ح٤.

(٢) الرعد:٣٩.

(٣) الطلاق:٢-٤.

(٤) الأنبياء: ٨٣-٨٨. الأنفال:٣٣. الصافات:١٤٣-١٤٦.

تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]، والصدقة تدفع البلاء، والاستغفار يجلب الرزق، وصلة الرحم تزيد في العمر،...إلخ.

ما هو البداء؟

بعد أن اتضحت هذه النقاط، نأتي إلى مسألة البداء:

البداء في اللغة هو إما بمعنى مطلق ظهور الشيء، وإما بمعنى ظهور الشيء بعد الخفاء. وهو بهذا المعنى الثاني ممتنع ومستحيل بحقه تعالى، لما ذكرناه في المقدمات السابقة من أن علم الله تعالى لا يسبق بجهل. وهذا ما أكدته الروايات الواردة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من زعم أن الله يبدو في شيء اليوم لم يعلمه أمس، فابرؤوا منه»[2].

وعنه عليه السلام: «لكل أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل»[3].

يقول الشيخ الطوسي: «البداء حقيقة في اللغة هو الظهور،... وقد يستعمل ذلك في العلم بالشيء بعد أن لم يكن حاصلاً، وكذلك في الظن. وأما إذا أضيفت هذه اللفظة إلى الله تعالى فمنه ما يجوز إطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز.

---

(١) الأنبياء:٧٦

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص٦٩.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، ط١، طهران، المكتبة العلمية الاسلامية، ١٣٨٠هـ ج٢، ص٢١٨.

فأما ما يجوز من ذلك، فهو ما أفاده النسخ بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسع (أي المجاز)، وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصادقين عليهما السلام من الأخبار المتضمنة لإضافة البداء إلى اللّه تعالى دون ما لا يجوز عليه: من حصول العلم بعد أن لم يكن»[١].

فالبداء هو اصطلاح تستعمله الشيعة للتعبير عن نفس المعنى الذي تحدث عنه القرآن في مسألة المحو والإثبات وتغيير المصير من حال إلى حال، وهو نفس مفاد الأحاديث التي رويت في صحاح السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البرّ»[٢]، وغيره من الأحاديث، وإن كانت هذه المفردة أي البداء تزعج البعض فليطلق عليها أي اسم شاء، حيث لا مشاحة في المصطلحات، ولا نزاع على الألفاظ والتسميات طالما أن المضمون والمعنى واضح.

وعلى كل حال، فإن نفس هذه المصطلح قد استعمله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في صحيح البخاري: روى أبو هريرة، أنه سمع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يبتليهم...»[٣].

وهذا ما جعل العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي يعتبر أن النزاع بين الشيعة والسنة في البداء نزاع لفظي لا حقيقي، حيث قال

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، العدة في أصول الفقه، تحقيق محمد رضا الأنصاري، مطبعة ستاره، قم، ط١، ١٤١٧هـ ج٢، ص٢٩.

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ج٤، ص٦٦.

(٣) البخاري، ج٤، ص١٧٢. والحديث طويل يراجع في مصدره.

الطباطبائي: «والذي أحسب، أن النزاع في ثبوت البداء كما يظهر من أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، ونفيه كما يظهر من غيرهم، نزاع لفظي... ومن الدليل على كون النزاع لفظياً استدلالهم على نفي البداء عنه تعالى بأنه يستلزم التغير في علمه»[1].

نعم، تظن السلفية، أن الشيعة تعتقد بكون المحو والإثبات الإلهيان يصدران عن علم بعد خفاء، بمعنى أنهم يظنون أن الشيعة تعتقد أن البداء عبارة عن ظهور الشيء في علم اللّه تعالى بعد خفائه عليه، وهذه النسبة هي إما نتيجة الجهل بعقيدة الشيعة في البداء، وإما بغرض التشويه للعقيدة الشيعية، وذلك لأن الشيعة تعتقد أن علم اللّه تعالى كما ذكرنا لا يتغير ولا يتبدل، وإنما تعالى لا يمحو ولا يثبت إلا ما سبق في علمه كذلك، فالظهور بعد الخفاء في البداء ليس متعلقاً باللّه تعالى، فإن اللّه عالم بما يمحو ويثبت قبل المحو الإثبات، ولكن الظهور بعد الخفاء هو بالنسبة للإنسان، أي أن الإنسان كان مخفياً عليه شيء هو في علم اللّه تعالى ثم يظهره اللّه تعالى من علمه إلى أرض الواقع، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ...﴾[2].

فالبداء إذا نسب إلى اللّه تعالى فيقال يبدو له، ليس بمعنى الظهور بعد الخفاء، بل بمعنى أنه بدا منه أي أنه أظهر للناس ما خفي عليهم. هذه هي عقيدة الشيعة في البداء.

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٢هـ ج١١، ص٣٨١-٣٨٢.

(٢) الزمر:٤٧-٤٨.

ونبرز مضمون هذه العقيدة بالمثال العملي من خلال واقعة حدثت مع نبي اللّه عيسى عليه السلام، فقد «مرّ النبي عيسى عليه السلام بقوم مجلبين (يحتفلون في عرس)، فقال: ما لهؤلاء؟

قيل: يا روح اللّه، فلانة بنت فلان تهدى إلى فلان في ليلته هذه.

فقال: يجلبون اليوم ويبكون غداً.

قال قائل منهم: ولم يا رسول اللّه؟

قال: لأن صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه...

فلما أصبحوا، وجدوها على حالها، ليس بها شيء. فقالوا: يا روح اللّه، إن التي أخبرتنا بالأمس أنها ميتة لم تمت.

فدخل المسيح دارها. فقال: ما صنعت ليلتك هذه؟

قالت: لم أصنع شيئاً إلا وكنت أصنعه فيما مضى، إنه كان يعترينا سائل في كل ليلة جمعة، فننيله ما يقوته إلى مثلها.

فقال المسيح: تنحّي عن مجلسك.

فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة، عاضّ على ذنبه.

فقال عليه السلام: بما صنعت، صرف عنك هذا»[1].

فإن هذه المرأة كان قد كتب عليها الموت، ولكن بسبب الصدقة تبدل مصيرها من الموت إلى أن يكتب لها عمر جديد، وهذا هو البداء، وهو أن يمحو اللّه الموت عنها ويثبت لها الحياة، وليس ذلك عن تبدل في علم اللّه تعالى، بل علم اللّه على ما هو عليه، إنما التبدل

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة، طهران، ط١، ١٤١٧هـ ص٥٩٠.

في أن يظهر ما كان مكتوماً في علم اللّه إلى الإنسان، وأحياناً يقع التبدل من دون أن يعلم الإنسان.

والبداء بهذا المعنى في عقيدة الشيعة ليس على إطلاقه، وإنما له جملة شروط منها:

- أن البداء لا يتحقق فيما يتعلق بالنبوة والإمامة وغيرهما من الأصول الثابتة التي يعتبر البداء فيها مناقضاً للحكمة الإلهية.
- أن لا يستلزم تكذيب الأنبياء، بل ينبغي أن يكون هناك قرينة صريحة على صحة إخبارهم الأول وإخبارهم الثاني كما حصل مع النبي عيسى عليه السلام.

وبهذا البيان يظهر أن ما يشنّع به السلفيون على الشيعة في عقيدة البداء هو إما جهل وسوء فهم لعقيدة الشيعة وإما تعصب أعمى بهدف التشويه، لكون المسلمون مشتركين مع الشيعة في هذه العقيدة.

يقول الشيخ المفيد: «أقول في البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله، من الإفقار بعد الإغناء، والإمراض بعد الإعفاء، وبالإماتة بعد الإحياء، وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال»[1].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، باب القول في البداء والمشيئة، ص٥٣.

المبحث السادس

عقيدة الرجعة ضرورة مذهبية
لا أصلاً دينياً

الرجعة في اللغة بمعنى العودة، وفي الاصطلاح بمعنى: عودة مجموعة خاصة من المؤمنين الأموات عند ظهور الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر قبل يوم القيامة، ليحظوا بفرصة نصرته والفرح برؤية وراثة الأرض من قبل عباد اللّه الصالحين.

يقول الشيخ المفيد: «إن اللّه تعالى يحشر قوماً من أمة محمد ﷺ بعد موتهم قبل يوم القيامة وهذا مذهب يختص به آل محمد والقرآن شاهد به»[1].

ويقول أيضاً: «إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محّض الإيمان محضاً، أو محّض الكفر محضاً، وأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب»[2].

وقال الشريف المرتضى: «اعلم أن الذي تذهب الشيعة الإمامية

---

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل السروية، تحقيق صائب عبد الحميد، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٣٢.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، تقديم وتعليق هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضي، قم، ١٣٦٣هـ ص٤٠.

إليه: أن اللّه تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي، قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم»[١].

ويستدل علماء الشيعة على ذلك ببعض الآيات، كما في سورة النمل: ٨٢-٨٤، وسورة الكهف:٤٧، حيث يمكن مراجعة كتب التفاسير الشيعية حول هاتين الآيتين وغيرهما. وكذلك ببعض الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت، منها:

سأل المأمون العباسي الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ما تقول في الرجعة؟

فأجابه عليه السلام: «إنها لحق، قد كانت في الأمم السالفة، ونطق بها القرآن. وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»[٢].

وقد اعتبر الحرّ العاملي أن الأحاديث في الرجعة كثيرة متواترة عن النبي والأئمة عليهم السلام[٣].

وعلى كلّ حال، فيما يتعلق برواية الإمام الرضا يوجد أمران:

- الأول: إثبات إمكانية الرجعة نظرياً، ولا دليل عقلياً على استحالتها.

---

(١) المرتضى، علي بن الحسين، رسائل الشريف المرتضى، تقديم أحمد الحسيني، إعداد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ ج١، ص١٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢١٨.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، تحقيق مشتاق المظفر، مطبعة نكارش، ط١، ١٤٢٢هـ الباب الثاني، الدليل الثالث، ص٦٢.

- والثاني: إثبات وقوع الرجعة عملياً، وهو مما يحتاج إلى دليل، ويدلّ عليه أن الرجعة قد وقعت في الأمم السابقة كما صرّحت بعض الآيات، وقانون التماثل وسنة التشابه بين الأمم التي ذكرها الإمام الرضا عليه السلام في روايته، قد وردت في أحاديث رسول الله في كتب السنة، فقد روى الترمذي بإسناده عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل...»[1].وروى الهيثمي عنه ﷺ: «... لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن بمثل أخذهم إن شبراً فشبر، وإن ذراعاً فذراع، وإن باعاً فباع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه... »[2].

وعليه، بما أن الرجعة حصلت في بني إسرائيل فقانون التماثل في أن حكم الأمم واحد والسنة الجارية فيهم ثابتة، فهي حاصلة في الأمة الإسلامية، لأنها ليست بدعاً من الأمم.

والرجعة بمعنى عودة جماعة قليلة إلى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة ثم موتهم وحشرهم مجدداً يوم القيامة ليست شيئاً يضاد أصول الإسلام، وليس فيه إنكار لأي حكم ضروري، وقد كان من معجزات النبي عيسى عليه السلام إحياء الموتى، وحدثت في الأمم السابقة كما يخبرنا القرآن الكريم في العديد من المواضع، منها: إحياء جماعة من بني إسرائيل كما في سورة البقرة: ٥٥ـ٥٦، وإحياء قتيل بني إسرائيل: البقرة: ٧٢ـ٧٣، وموت ألوف الناس وبعثهم من

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ج٤، ص١٣٥.

(٢) مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٦٠.

جديد: البقرة:٢٤٣، وبعث عزير بعد ١٠٠ عام: البقرة:٢٥٩.

هذه هي عقيدة الشيعة في الرجعة، مع الإشارة إلى أن الاعتقاد بالرجعة ليس أصلاً من الأصول العقائدية للتشيع، نعم، هي من ضروريات المذهب، قال الحر العاملي: «إن ثبوت الرجعة من ضروريات مذهب الإمامية عند جميع العلماء المعروفين والمصنفين المشهورين»[1].

ويقول السيد الكلبايكاني: «الرجعة وجزئياتها في الجملة ثابتة، ولا يبعد كونها من ضروريات المذهب..»[2]. ويقول الشيخ التبريزي: «-الرجعة- ليست من أصول المذهب، ولكنها ثابتة يقيناً، لورود أخبار معتبرة فيها، ولا يبعد تواترها إجمالاً»[3].

وبالتالي، من ينكر الرجعة لا يعتبر خارج الإسلام، بل هو داخل في الإسلام خارج عن دائرة التشيع إذا كان عالماً بها وأنكرها.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «إن الشيعة مع اعتقادهم بالرجعة التي أخذوها عن أهل البيت عليهم السلام فإنهم لا يحكمون على منكري الرجعة بالكفر، لأن الرجعة من ضروريات المذهب الشيعي لا من ضروريات الإسلام»[4].

---

(١) م.ن، ص٨٢.

(٢) الكلبايكاني، محمد رضا، إرشاد السائل، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٢٠٣.

(٣) الخوئي، أبو القاسم، والتبريزي، جواد، صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، جمع موسى مفيد الدين عاصي، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج٣، ص٤٢٠.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص١٤٦.

المبحث السابع

نظرة علماء مدرسة أهل البيت إلى شخصية عبد الله بن سبأ

ذكرنا فيما سبق أن أحد الافتراءات التي وجهها أتباع تيار السلفية الوهابية لمذهب الشيعة كونه ذا جذور يهودية وأن نشأته ولدت على يد عبد اللّه بن سبأ اليهودي، وقد بيّنا أن التشيع ولد من رحم الدعوة النبوية وليس وليد عامل خارجي، وبقي معالجة موقف علماء مدرسة أهل البيت من شخصية عبد اللّه بن سبأ.

يتلخص رأي علماء الإمامية حول ابن سبأ في موقفين:

واقعية شخصية ابن سبأ في التاريخ

- الرأي الأول (المشهور قديماً): يَعتبِر ابن سبأ شخصية حقيقية لها وجود في التاريخ الإسلامي، مع تبرئهم من هذا الشخص ولعنه وتكفيره، وسننقل بعض النماذج على ذلك من كلمات كبار علماء الطائفة:

أ - يقول الشيخ الطوسي: «عبد اللّه بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو»[1].

ب - ويقول العلامة الحلي: «عبد اللّه سبأ غال ملعون، أحرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، كان يزعم أن علياً إله وأنه نبي، لعنه اللّه»[2].

ج - يقول ابن داوود: «عبد اللّه بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو»[3].

د - قال الشيخ حسن صاحب المعالم: « عبد اللّه بن سبأ: غال ملعون حرقه أمير المؤمنين بالنار»[4].

الروايات في شخصية ابن سبأ

وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي على العديد من الروايات التي ذكرها الشيخ الكشي في رجاله[5]، ذكرنا جميعها في الحاشية.

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ١٤١٥هـ ترجمة: ٧١٨/ ٨٠، ص٧٥.

(٢) الحلي، الحسن بن يوسف، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق بجواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط١، ١٤١٧هـ، ص٣٧٢.

(٣) ابن داود الحلي، الحسن بن علي، رجال ابن داود، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٢م، القسم الثاني، ص٢٥٤، رقم ٢٧٨.

(٤) حسن بن زين الدين، التحرير الطاووسي، تحقيق فاضل الجواهري، مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ط١، ١٤١١هـ ص٣٤٦، الترجمة: ٢٣٩.

(٥) يراجع: اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي،ج١، ص٣٢٤ - ٣٢٥. ونشير إلى أن كتاب الكشّي لم يصل إلينا إلا بواسطة كتاب الشيخ الطوسي المذكور. والروايات هي:

- عن الإمام علي بن الحسين -زين العابدين عليه السلام- قال: «لعن اللّه من كذب علينا، إني ذكرت عبد اللّه بن سبأ، فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً ! ما له لعنه =

والمثير للانتباه، أن الشيخ الكشي بعد أن نقل هذه الروايات قال: «ذكر بعض أهل العلم أن عبد اللّه بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو فقال في إسلامه بعد وفاة رسول اللّه في علي مثل ذلك... فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية».

والكشي من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وهذا يعني أن تهمة كون أصل التشيع مأخوذاً من اليهودية ليست جديدة بل هي قديمة جداً يزيد عمرها على ألف عام.

= اللّه؟! كان علي عليه السلام واللّه عبداً للّه صالحاً، أخو رسول اللّه، ما نال الكرامة من اللّه إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول اللّه صلى الله عليه وآله الكرامة من اللّه إلا بطاعته لله».

- عن أبي جعفر -الباقر عليه السلام- قال: «إن عبد اللّه بن سبأ كان يدعي النبوة، وكان يزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو اللّه -تعالى عن ذلك- فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام، فدعاه، فسأله، فأقرّ وقال: نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت اللّه وأنا نبي.
فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى، فحبسه واستتابه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأخرجه فأحرقه بالنار.
وقال: إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك».

- عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد اللّه -الصادق عليه السلام- يقول وهو يحدّث أصحابه بحديث عبد اللّه بن سبأ وما ادعى من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: «إنه لما ادعى ذلك فيه استتابه أمير المؤمنين، فأبى أن يتوب، فأحرقه بالنار».

- عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: «لعن اللّه عبد اللّه بن سبأ! إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام وكان واللّه أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى اللّه منهم، نبرأ إلى اللّه منهم».

- وعن أبي عبد اللّه أنه قال: «إنا أهل بيت صديقون لا نَخْلُ من كذّاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس. كان رسول اللّه أصدق الناس لهجة، وأصدق البرية كلها، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ اللّه بعد رسول اللّه وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على اللّه عبد اللّه بن سبأ».

الموقف الثاني: ابن سبأ شخصية أسطورية

يعتقد بعض علماء الإمامية المعاصرين أن شخصية عبد اللّه بن سبأ أسطورية وخرافية لا وجود لها في التاريخ أصلاً، بل هي من ابتداع بعض الوضّاعين والكذابين خصوصاً سيف بن عمر التميمي (توفي في القرن الثاني الهجري)، وهو رأي السيد الخوئي والسيد مرتضى العسكري والشيخ جعفر السبحاني والشيخ محمد جواد مغنية وغيرهم.

يقول السيد الخوئي: «بطلان قول من خالف الشيعة واضح ناشئ عن العصبية العمياء، فإن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اللّه عزّ وجلّ، حيث قال سبحانه وتعالى: (إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا...)، و-من- الرسول الأعظم صلوات اللّه عليه وآله حيث قال في الغدير: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه...».

وأما عبد اللّه بن سبأ، فعلى فرض وجوده، فهذه الروايات تدل على أنه كفر وادعى الألوهية في علي عليه السلام، لا أنه قائل بفرض إمامته عليه السلام، مضافاً إلى أن أسطورة عبد اللّه بن سبأ وقصص مشاغباته الهائلة موضوعة مختلقة اختلقها سيف بن عمر الوضّاع الكذاب»[1].

ويذهب إلى ما يقارب هذا الرأي أيضاً الدكتور طه حسين، حيث قال: «وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء [أي عبد اللّه بن سبأ] في حرب صفين أن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منحولاً، قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية. أراد خصوم

(١) معجم رجال الحديث، ج١١، ص٢٠٧.

الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم»[١].

فالروايات المذكورة عن سيرة حياة ابن سبأ ومواقفه وآرائه في عملية تحقيب تاريخي وجدت بداية في كتاب تاريخ الطبري، ومنقولة عن سيف بن عمر، الذي صرحت كتب الرجال في ترجمته -تراجم أهل السنة- بأن سيف بن عمر: «متهم في دينه مرمي بالزندقة ساقط الحديث لا شيء»[٢]، «يروي عن خلق كثير من المجهولين». «ضعيف الحديث». «ليس بشيء». «متروك يضع الحديث». «هو في الرواية ساقط». «يروي الموضوعات عن الثقاة». «عامة حديثه منكر». «متهم بالوضع والزندقة»... إلخ من العبارات.

وأفضل ما كتب تحقيقاً حول هذا الموضوع هو كتاب: «عبد الله بن سبأ» في جزأين للمحقق السيد مرتضى العسكري، حيث ناقش في الروايات السابقة الواردة عن أهل البيت، بأنها مذكورة فقط في كتاب الكشي، وقد ناقش في مدى إمكانية الاعتماد على هذا الكتاب بالنسبة لهذه الروايات، مع إشارته أيضاً إلى أن هذه الروايات ليس لها ذكر في الكتب الأربعة المشهورة عند الشيعة، كالكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، والتهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي.

وعلى كل حال، سواء تبنينا الرأي الأول أو الثاني فالواضح من

---

(١) يراجع: حسين، طه، الفتنة الكبرى علي وبنوه، ج٢، ص٩٠. والفتنة الكبرى عثمان، دار المعارف، مصر ج١، ص١٣٢.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، الضعفاء، تحقيق فاروق حمادة، الدار الثقافية، الدار البيضاء، المغرب، ص٩١. ويراجع: الذهبي، محمد بن أحمد، المغني في الضعفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ج١، ص٤٦٠. وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ج٤، ص٢٦٠.

كلمات علماء المذهب أن التشيع لا علاقة له بعبد اللّه بن سبأ إما لنفي واقعية شخصيته تاريخياً رأساً، وإما للتبري منه ولعنه وتكفيره من قبل جميع علماء المذهب الشيعي.

ولكن للأسف، رغم الروايات الواردة عن أئمة المذهب عليهم السلام: السجّاد والباقر والصادق، بناء على الرأي الأول، ورغم أقوال كبار علماء المذهب في عبد اللّه بن سبأ بناء على الرأيين، تمسك خصوم المذهب وأعداؤه بهذه الشخصية للنيل من المذهب وتشويه صورته، وليس ذلك إلا جهلاً أو حقداً أو حسداً أو للعصبية العمياء كما عبّر السيد الخوئي، إلى آخره من الأسباب المرضية والعقد النفسية التي لا تتصل بالبحث عن الحقيقة والحكمة، رغم أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها طلبها.

وقد أنصف محمد كرد علي حيث قال في خطط الشام: «أما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن مذهب التشيع من بدعة عبد اللّه بن سبأ المعروف بابن السوداء فهو: وهم، وقلّة بتحقيق مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة، وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك علم مبلغ هذا القول من الصواب»[١].

الخلط بين السبئية الغلاة / وبين الشيعة الإمامية:

إن الفرقة المنسوبة إلى عبد اللّه بن سبأ على فرض وجوده تاريخياً تسمى الفرقة السبئية، وقد خلط من نسب التشيع إلى عبد اللّه بن سبأ

(١) خطط الشام، ج ٦، ص ٢٤٦.

بين السبئية والشيعة الإمامية، وقد ذكرت كتب الملل والنحل عند أهل السنة ككتاب الملل والنحل للشهرستاني، وكتاب الفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، تمييزاً واضحاً بين الشيعة الإمامية والسبئية، حيث ذكر البغدادي فرق الروافض وعدّ منها السبئية (ص١٦) ثم أفرد لها فقرة خاصة مصنّفاً لها تحت الحلولية، وأنها فرقة خارجة عن الإسلام، قال: «أما السبئية فإنما دخلت في جملة الحلولية لقولها بأن علياً صار إلهاً بحلول روح الإله فيه». (ص١٩٤). أما الإمامية وإن كانت من الروافض لكنها غير السبئية، وميّز أيضاً بين الإمامية والزيدية والكيسانية والغلاة، فلم يصنف الإمامية ضمن السبئية ولا الغلاة، وقال: «أما فرق الزيدية وفرق الإمامية فمعدودون في فرق الأمة». (ص١٦).

واعتبر أن الغلاة هم الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية، والمغيرية، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية، ومن جرى مجراهم، فما هم من فرق الإسلام، وإن كانوا منتسبين إليه (ص١٧).

أما الشهرستاني فقد ذكر في الفصل السادس فرق الشيعة، وقد ميّز بوضوح أيضاً بين الإمامية من جهة وبين الغلاة والسبئية من جهة ثانية، قائلاً: «وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية...».

وعرّف الإمامية بقوله: «هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام، نصّاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين»(ص١٧٩).

ثم عرّف الاثنا عشرية: بأنهم من ساقوا الإمامة بعد موت الإمام الكاظم في أولاده: الرضا، والجواد، والنقي الهادي، والحسن العسكري، والقائم المنتظر (ص١٨٧).

أما عندما عرّف الغالية قال: «هؤلاء هم الذي غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود، والنصارى، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق، فَسَرَت هذه الشبهات إلى أذهان الشيعة الغلاة، حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة...».

وعرّف السبائية: «أصحاب عبد اللّه بن سبأ الذي قال لعلي كرم اللّه وجهه: أنت أنت، يعني أنت الإله. فنفاه إلى المدائن... ومنه انشعبت أصناف الغلاة...»[1].

وهذان النصّان من البغدادي والشهرستاني يبرزان أن الإمامية الاثني عشرية هم غير الغلاة من جهة، وغير السبئية من جهة ثانية.

لذا، إن الأمانة العلمية والصدق في النقل والدقة في عرض الآراء ومنهجية البحث العلمي كانت تقتضي من السلفيين الوهابيين الالتزام بالتالي:

- التمييز بين فرق الشيعة من حيث العقائد والشرائع، فإن الإمامية الاثني عشرية بينها وبين أهل السنة والجماعة من التقارب في

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص ١٩٢.

العقيدة والشريعة أكثر مما بينها وبين الإسماعيلية، وبين الإمامية الاثني عشرية وبين السلفية نفس الموقف من الغلاة، فإن الاثني عشرية يكفّرون الغلاة ويخرجونهم من ملة الإسلام كما يفعل السلفيون، ويقولون بعدم جواز الصلاة عليهم أو دفنهم في مقابر المسلمين كما أن زوجاتهم تبين منهم، إلخ من الأحكام الشرعية المترتبة على الكفّار الغلاة التي سنذكرها لاحقاً.

وعلى كل حال، إن الإمامية الاثني عشرية فرقة إسلامية تتبرأ من السبئية والغلاة، على حد تبرأ السلفية منهما، بل أكثر.

- على التيار السلفي، أن يقرأ العقائد الإمامية من نفس كتب الإمامية، وهي موجودة في المكتبات الإسلامية منذ مئات السنين، لا أن يفهموا عقائد الشيعة الاثني عشرية من خلال مرآة أنفسهم وانطباعاتهم، فإن هذا خلاف مقتضى التثبت والتبين حول عقائد الآخرين.

ونقل هنا موقفاً حدث مع الشيخ يوسف القرضاوي عرضه عند حديثه عن لزوم معرفة الآخر من مصادره، قال: «...حُسن التعرف على حقيقة موقف الطرف الآخر، وذلك بأخذ هذا الموقف من مصادره الموثقة، أو من العلماء الثقات المعروفين، لا من أفواه العامة، ولا من الشائعات، ولا من واقع الناس، فكثيراً ما يكون الواقع غير موافق للشرع... خذ مثلاً قضية (تحريف القرآن)، فهناك من علماء الشيعة من قالوا: إن القرآن الكريم محرّف، بمعنى أنه ناقص، وليس كاملاً، وألفوا في ذلك كتباً، واستدلوا على ذلك ببعض الروايات التي تسند رأيهم من (الكافي) ومن غيره من كتبهم المعتبرة عندهم.

ولكن هذا الرأي ليس متفقاً عليه، فهناك من علمائهم من رد عليه، وفند شبهاته، وهذا هو الذي يجب أن نعتمده، ولا نعتمد الرأي الآخر.

وخذ مثلاً قضية حرص الشيعة في صلاتهم على السجود على حصاة؛ فالشائع عندنا -أهل السنة- أن الدافع إلى ذلك هو تقديس الشيعة لهذه الحصاة، لأنها من طينة كربلاء التي قتل فيها الحسين، أو دفن فيها رضي الله عنه. وقد كنت أنا شخصياً أعتقد ذلك في أول الأمر، حتى زارنا في الدوحة في الستينيات من القرن العشرين الإمام موسى الصدر الزعيم الشيعي المعروف في لبنان، ورئيس المجلس الشيعي الأعلى بها، وقد تباحثنا في بعض الأمور، ومنها هذه الحصاة، فعلمت منه أن الشيعة الجعفرية يشترطون أن يكون السجود على جنس الأرض، فلا يجيزون السجود على السجاد أو الموكيت، أو الثياب أو نحوها.

ونظراً لأن أكثر المساجد أصبحت مفروشة بما لا يجوز السجود عليه في مذهبهم، فقد حاولوا أن يوفروا لكل مصلٍّ حصاة من جنس الأرض يصلي عليها، وليس من الضروري أن تكون من طينة كربلاء، ولا من غيرها. وقد عرفت ذلك بالقراءة والدراسة في كتب الجعفرية، وعندي عدد منها، من (المختصر النافع) إلى (جواهر الكلام)»[1].

هذا كله فيما يتعلق بتهمة وفريّة يهودية التشيع، وقد حان وقت الرد على تهمة فارسية التشيع.

---

(١) على الرابط التالي: http://www.qaradawi.net/new/all-fatawa/1388

المبحث الثامن

الرد على تهمة فارسية التشيع

أما بالنسبة لتهمة فارسية التشيع ومجوسيته، فيكفي في الرد عليها حلّاً ما ثبت من أصالة نشأة التشيع في عهد رسول اللّه، لكن مع ذلك نجيب على التهم نقضاً:

- أولاً: لا بد من الإشارة إلى أن الإسلام دين عالمي وليس حكراً على قومية معينة حتى يعتبر انتساب الفرس اليوم إلى التشيع تهمة للتشنيع على الشيعة.

- ثانياً: إن العلماء المسلمين من القومية الفارسية -سنة وشيعة- لهم الفضل الكبير في نشر تعاليم الإسلام، ويكفي في ذلك ما يقوله ابن خلدون في مقدمة تاريخه: «من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، وليس في العرب حملة علم، لا في العلوم الشرعية ولا في العلوم العقلية، إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبه، فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي...»[1].

(١) مقدمة ابن خلدون، الفصل ٤٣، ص٤٦٦.

بناء على هذا النص التاريخي، هل يصبح أهل السنة والجماعة بسبب كون غالبية علمائهم من العجم دون العرب فرساً أو مجوساً.

فإرادة هدم الإسلام عند الفرس ينبغي أن لا تكون مختصة بالفرس الذين اختاروا الدخول في التشيع بل لا بد أن تكون نزعة عند كل الفرس حتى الذين اختاروا الدخول في دائرة أهل السنة منهم.

- ثالثاً: إن الفرس كانوا يشكلون سابقاً الجزء الأقل عدداً من التشيع، وقد انتقل التشيع بأعداد كبيرة نسبياً إلى بلاد فارس في فترة حكم زياد بن أبيه للكوفة والذي كان في جملة تخطيطاته للقضاء على التشيع بالكوفة أن هجر خمسين ألف من الشيعة وسفّرهم إلى خراسان.

ومنذ الفتح وإلى القرن العاشر كانت إيران في جملتها سنية متوزعة بين المذاهب المختلفة، ويستثنى من ذلك جيوب صغيرة كان فيها بعض الشيعة، وقد أكد ذلك مؤرخو السنة، نذكر بعض النماذج:

- قال شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي: «إقليم خراسان للمعتزلة والشيعة، والغلبة لأصحاب أبي حنيفة، إلا في كورة الشاش فإنهم شوافع، وفيهم قوم على مذهب عبد الله السرخسي، وإقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة، والغالب بدبيل -لعله يريد أردبيل- مذهب أبي حنيفة وبالجبال، أما بالري فمذاهبهم مختلفة والغلبة فيهم للحنفية، وبالري حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة، والدينور غلبة لمذهب سفيان الثوري، وإقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف الأهواز شيعة، وفيه من أصحاب أبي حنيفة كثير،

وبالأهواز مالكيون. إقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث وأصحاب أبي حنيفة، إقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعي، إقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب الحديث...»[(١)].

- ويقول الرحّالة ابن بطوطة: «كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده -حفيد هولاكو- قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمى جمال الدين بن مطهر -يعني العلامة الحلي في القرن ٨ هـ-... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك إلى بلاد أذربيجان وكرمان وأصفهان وخراسان وشيراز والعراق بإدخال اسم علي وبعض شيعته في خطبة الجمعة، وعدم ذكر الصحابة بها، كان أول بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز...»[(٢)].

مع الإشارة إلى أن نسبة التشيع إلى الفارسية نشأت في عصور متأخرة، كما في نص ابن حزم الأندلسي[(٣)]، وذلك لأسباب وظروف سياسية خاصة أهمها: أن الفرس لما كانوا غير مرغوبين من قبل العرب ولما كان الشيعة فئة معارضة للحكم طيلة العهود الثلاثة الصدر الأول والأموي والعباسي، وكوجه من وجوه محاصرة التشيع أرادوا رمي التشيع بما هو مكروه عند العرب فقالوا عنه أنه فارسي.

ودليل ذلك، أنك ترى الطبقة الأولى والثانية من الذين تهجموا على الشيعة وكالوا لهم التهم لم يضعوا في قائمتهم تهمة الفارسية،

(١) أحسن التقاسيم، ص١١٩، وقد كتبه سنة ٣٧٥ هـ.

(٢) رحلة ابن بطوطة، ص٢١٩-٢٢٠. ويراجع أيضاً: ياقوت الحموي في معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٦. وترتيب المدارك، القاضي عياض، ج١، ص١٤٠.

(٣) هوية التشيع، ص١٠٣.

ويمكن العودة إلى ما كتبه ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد في الفصل الخاص بالشيعة حيث نسب إليهم المثالب والمطاعن، فإنك لا تجد هذه التهمة ضمن لائحة التهم التي عرضها. وكذلك لو تمت مراجعة ما كتبه الشهرستاني في الملل والنحل عن الشيعة فسوف لا يجد القارئ تهمة الفارسية من التهم التي أوردها وذكرها[١].

- أما بالنسبة لما استدلوا به مما ذكره البغدادي، فقد ذكرنا أن البغدادي لا يصنف الإمامية الاثني عشرية ضمن الفرق الباطنية، وهو يعني بالباطنية على ما صرّح به تلك الفرقة التي ظهرت أيام المأمون من حمدان قرمط، هذه هي الفرقة التي اعتبرها من المجوس وأنها مائلة إلى دين المجوس، وهي لا علاقة لها بالشيعة الإمامية، كما صرح البغدادي حيث قال حين حديثه عن الباطنية وأنهم يزينون لكل أتباع فرقة الكلام في الدعوة إلى ما يناسب أصول مذهب تلك الفرقة لأن لكل صنف من الناس وجهاً يدعى منه إلى مذهب الباطن: «ومن رآه من الرافضة زيدياً أو إمامياً مائلاً إلى الطعن في أخيار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة...»[٢]، وهذا يعني أنه لا يعتقد بكون الشيعة الإمامية من الفرق الباطنية[٣].

وبهذا يظهر أن التشيع عربي المنشأ، وسابق على انتشار التشيع بشكل واسع وكبير في بلاد فارس بمئات السنين.

وعلى كل حال، إن عقائد الشيعة تحفل بها مئات الكتب والمراجع،

(١) يراجع: هوية التشيع، ص١٠٨.

(٢) الفرق بين الفرق، ص٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦.

وهي متوفرة في المكتبات العامة وعلى شبكات الأنترنت بين أيدي الباحثين والكتاب، أين هي عقائدهم من الفارسية القديمة؟! وليقدم أصحاب التهمة الأدلة والنماذج على ذلك من خلال الدراسات المقارنة العلمية، وليس من خلال تشابه فكرة من هنا أو من هناك، وإلا هل في البشرية مذهب لا يشابه الآخر تشابهاً جزئياً في أصل أو فرع حتى لو باعد بينهما الزمان والمكان؟!

المبحث التاسع

التقية عقيدة إسلامية

هناك مشكلات منهجية كثيرة في خط علاقة التيار السلفي بالعقائد الشيعية، ومن أبرز هذه المشكلات ثلاثة أمور:

- الاعتماد على مصادر غير الشيعة في تكوين الصورة عن الشيعة.
- الجهل أو تعمد سوء فهم معاني المصطحات العقائدية والتشريعية التي يستخدمها الشيعة في كتبهم.
- مهاجمة الشيعة في عقيدة أو فكرة موجودة عند باقي المدارس الإسلامية السنية.

وقد ظهرت هذه الأمور في المباحث السابقة بشكل واضح، وفي عقيدة التقية وقع المنتمون إلى التيار السلفي بهذه الإشكاليات المنهجية كما سيظهر خلال هذا المبحث من الكتاب.

التقية لغة واصطلاحاً

التقية في اللغة بمعنى: الوقاية من الشر، والتقية: الحيطة والحذر من الضرر والتوقي منه.

وفي الاصطلاح الشرعي، عرّفت التقية عند علماء الإمامية بتعريفات متعددة، منها:

- عرّفها الشيخ المفيد بأنها: «كتمان الحق، وستر الاعتقاد به، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقِب ضرراً في الدين أو الدنيا»[١].

- وعرّفها الشيخ مرتضى الأنصاري: «الحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أن فعل مخالف للحق»[٢].

- وعرّفها السيد أبو القاسم الخوئي: «التحفظ عن ضرر الظالم بموافقته في فعل أو قول مخالف للحق»[٣].

تحليل مفهوم التقية

من الواضح في التعريفات السابقة أن التقية ليست ابتدائية، وليس موردها هو الحالات الطبيعية في حياة الإنسان، إنما التقية متقوِّمة بوجود الضرر، فالتقية توجد بوجود الضرر، وترتفع بارتفاع الضرر، فهي وسيلة يستخدمها الإنسان في حياته لحفظ نفسه وما يتعلق به من مال وعرض عن أن يلحق به الضرر، وبعبارة أخرى: التقية هي منهج دفع الضرر عن النفس.

وهذا المنهج الدفاعي عن النفس أمر فطري موجود في داخل كل إنسان، لأن وجوب دفع الضرر مما تحكم به العقول المستقيمة والفطرة السليمة.

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية، ص١٣٧.

(٢) الأنصاري، مرتضى، التقية، تحقيق فارس الحسون، مؤسسة قائم آل محمد، قم، ط١، ١٤١٢هـ ص٣٧.

(٣) التوحيدي، محمد علي، مصباح الفقاهة في المعاملات، تقريراً لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ج١، ص٦٩٥.

مشروعية التقية في القرآن الكريم

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه من ربه فأخذه»[١]، فتكوين أي مفهوم إسلامي، وبناء أي عقيدة، لا بد من أن يكون مستمداً من القرآن والسنة والعقل القطعي، وعليه فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل وردت التقية في القرآن والسنة؟

- يقول تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٢].
- ويقول تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٣].
- ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ...﴾[٤].

وعند مراجعة تفسير هذه الآيات في كتب التفسير السنيّة، يجد الباحث أنهم يقرّون بأصل مبدأ التقية بالاصطلاح والمضمون.

يقول الطبري: «إلا أن تتقوا منهم تقاة، إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة...»[٥].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٤٦.

(٢) آل عمران:٢٨.

(٣) النحل:١٠٦.

(٤) غافر:٢٨.

(٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج٣، ص٣٠٩.

وقال ابن كثير: «إلا أن تتقوا منهم تقاة، أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته...»[١].

وقال الشنقيطي: «أما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم...»[٢].

وأوضح من كلام المفسرين، هو كلام الفقهاء:

قال محيي الدين النووي الشافعي: «أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه الهلاك أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك، والشافعي، والكوفيين...»[٣].

وقال السرخسي الحنفي: «عن الحسن البصري رحمه اللّه: التقية جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة، إلا أنه كان لا يجعل في القتل تقية، وبه نأخذ، والتقية: أن يقي نفسه من العقوبة بما أظهره، وإن كان يضمر خلافه، وقد كان بعض الناس يأبى ذلك ويقول إنه من النفاق، والصحيح أن ذلك جائز لقوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة)، وإجراء كلمة الشرك على اللسان مكرهاً مع طمأنينة القلب بالإيمان من باب التقية.

وقد بيّنا أن رسول اللّه ﷺ، رخّص فيها لعمار بن ياسر رضي اللّه عنه...»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٦٥.

(٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج١، ص٤١٣.

(٣) النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، ج١٨، ص٨.

(٤) السرخسي، شمس الدين، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ ج٢٤، ص٤٥.

فيظهر بوضوح أن مبدأ التقية مما لا شك فيه عند أحد من علماء المسلمين من أهل السنة، نعم وقع الاختلاف في التفصيلات الفقهية[١]، مثل: هل التقية جائزة أم واجبة؟ هل التقية بخصوص اللسان أم تشمل العمل أيضاً؟ هل التقية مختصة بالكافرين أم تشمل التقية من المسلمين أيضاً؟

وهذا الاختلاف في التفاصيل لا يضر بأصل الاعتقاد بالمبدأ، وبهذا يظهر أن الشيعة لم تنفرد بالقول بالتقية، بل هو قول المسلمين عموماً، وإذا انفردت الشيعة الإمامية فقهياً بشيء إنما هو بالتفاصيل حسب أدلتها الفقهية الثابتة عندها عن أخبار أهل البيت عليهم السلام.

نعم، من ضمن ما يعاب على الشيعة في هذه المسألة أنهم يشرِّعون التقية مع المسلمين في حين أن التقية مختصة بالكفّار، إلا أن من اتهم الشيعة بذلك يصدق عليه قول أبي نواس:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

فقد نقل الفخر الرازي أن الشافعية تعتقد بالتقية حتى مع المسلم، حيث قال: «... إن مذهب الشافعي رضي اللّه عنه أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلّت التقية محاماة على النفس»[٢].

فالتقية مبدأ قرآني في الحياة الإيمانية للمسلمين بالبيئة الحاضنة للظلم والجور والخوف على النفس والعرض... أما حصر التقية في خط علاقة المسلم بالمجتمع الكافر، فهو يخالف القاعدة التفسيرية

(١) يراجع: تفسير الرازي، مصدر سابق، ج٨، ص١٤.

(٢) تفسير الرازي، ج٨، ص١٤.

المعروفة في التعامل مع النص القرآني: بأن المورد لا يخصص الوارد.

حكم التقية

أما بالنسبة إلى الحكم التكليفي للتقية، فلم يقل أي فقيه من فقهاء المذهب الجعفري أن التقية واجبة في كل الأحوال، بل التقية تنقسم بانقسام الأحكام التكليفية الخمسة، فتارة تكون واجبة، وأخرى مستحبة، وثالثة مباحة، أو مكروهة، بل ومحرمة أحياناً.

التقية الواجبة

تجب التقية عند وجود ضرر يجب دفعه عقلاً أو شرعاً عن الإنسان.

التقية المكروهة والمحرّمة

تكره التقية في حال كان تركها وتحمل الضرر أولى من الفعل في نظر المشرِّع، كما لو كان هناك عالم جليل يقتدي به الناس، فإن تركه التقية في مورد إظهار الكفر أولى من فعله.

وقد تحرم التقية في حال كان الضرر اللاحق للإنسان أقل أهمية من الضرر الذي تؤدي إليه التقية، كما لو طلب من الإنسان سفك دم مسلم، فلا يمكن لدفع الضرر عن نفسه تقية القيام بقتله.

التقية أمر استثنائي اضطراري

ومن هنا يظهر، أن التقية ليست واجبة في كل الحالات أولاً، وأن وجوبها مقيّد بوجود الضرر ثانياً، فهي حالة استثنائية في التشريع لا يلجأ إليها الإنسان إلا للضرورة، وهي من هذه الجهة شبيهة بحالات

دفع الموت بأكل لحم الميتة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[١].

ظروف التقية عند علماء الشيعة

وعلى كل حال، إن التقية لها ظروفها الخاصة، وتقدر التقية بقدر الضرورة، ويلخص لنا الشيخ جعفر السبحاني في هذا النص ظروف التقية نورده كما ذكره:

«الغاية من التقية: هي صيانة النفس والعرض والمال، وذلك في ظروف قاهرة لا يستطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحق صريحاً خوفاً من أن يترتب على ذلك مضار وتهلكة من قوى ظالمة غاشمة كلجوء الحكومات الظالمة إلى الإرهاب، والتشريد والنفي، والقتل والتنكيل، ومصادرة الأموال، وسلب الحقوق الحقة، فلا يكون لصاحب العقيدة الذي يرى نفسه محقاً محيص عن إبطانها، والتظاهر بما يوافق هوى الحاكم وتوجهاته حتى يسلم من الاضطهاد والتنكيل والقتل، إلى أن يحدث اللّه أمراً. إن التقية سلاح الضعيف في مقابل القوي الغاشم، سلاح من يبتلى بمن لا يحترم دمه وعرضه وماله، لا لشيء إلا لأنه لا يتفق معه في بعض المبادئ والأفكار. إنما يمارس التقية من يعيش في بيئة صودرت فيها الحرية في القول والعمل، والرأي والعقيدة فلا ينجو المخالف إلا بالصمت والسكوت مرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوى السلطة وأفكارها، أو قد يلجأ إليها البعض كوسيلة لا بد منها من أجل إغاثة الملهوف المضطهد والمستضعف الذي لا حول له ولا قوة، فيتظاهر بالعمل إلى جانب الحكومة الظالمة

(١) البقرة:١٧٣.

وصولاً إلى ذلك كما كان عليه مؤمن آل فرعون الذي حكاه سبحانه في الذكر الحكيم»[1].

كما اتضح هذا الأمر في بعض الروايات التي ذكرناها سابقاً حول متابعة الرافضة من قبل السلطات الحاكمة كما حصل مع داود بن زربي وعلي بن يقطين وغيرهما.

وعلى كل حال، إن الإنسان المؤمن بالحق يحب أن يُظهِر الحقّ، وهو في كتمانه للحق يعيش ألمين: ألم باطل الناس وضياعهم عن الحق، وألم كتمان الحق عن أن يظهر إلى العلن. فإن في التقية عبأ ثقيلاً سببّته الظروف القاهرة الظالمة، لولاها لصدع المؤمن بالحق ودعا الناس إليه دون تردد.

وبعد بيان هذا المعنى للتقية، هل أهل السنة والجماعة عموماً والسلفية الجهادية خصوصاً تتبع منهج التقية في حياتها أم لا؟ إن اتباع منهج التقية أمر فطري مجبول عليه كل نفس بشرية بأصل الخلقة، لأن غريزة دفع الضرر تكوينية، فالتقية أمر طبيعي في ذات كل إنسان وإن أنكرها لفظاً فهو يعمل بها سلوكاً وعملاً.

وبهذا يظهر عدم وجود أي علاقة بين التقية بهذا المعنى وبين النفاق، أما أن التقية لو كانت كذباً، فإنه ليس كل كذب حراماً، بل هناك كذب واجب فيما لو كان لمصلحة أهم تزاحمه كحفظ النفوس البريئة، وقد اتضح ذلك بوضوح في فهم علماء السنة للتقية.

ونسأل: ألا يُخفي ويواري بل ويكذب الأفراد المعتقلين من تيار السلفية في سجون أعدائهم من المسلمين، ما هي حجتهم في ذلك؟!

---

(١) بحوث في الملل والنحل، ج٦، ص٢٩٦.

وأليس هو منهج أمني في حياة أفراد السلفية الجهادية، فلماذا يحرمون على غيرهم ما يجوز لهم؟! وهل اختلاف التسمية يغير من الوقائع والحقائق شيئاً، فإن كانت كلمة تقية تزعجهم فليطلقوا عليها التسمية التي يشاؤون، فلا مشاحة ونزاع في المصطلحات والمفردات طالما أن الحقائق واضحة كعين الشمس.

المبحث العاشر

الرد على هذه تهمة تعاون الشيعة مع العدو الخارجي

إن توجيه التهم إلى الشيعة بأنهم يتعاونون مع العدو الخارجي، هي بأجمعها إما وليدة الجهل بالتاريخ الإسلامي، وبالواقع السياسي المعاصر، وإما وليدة الكيد السياسي والتعصب المذهبي، ونسجل عدة ملاحظات سريعة على هذه التهمة نقضاً وحلاً:

١ - أما نقضاً، فنبدأ من الواقع المعاصر، فعلى فرض تعاون الشيعة مع الأميركيين وغيرهم، فهل هم وحدهم من يفعل ذلك، ألم تتعاون القاعدة السلفية الجهادية بالأمس القريب مع وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (CIA) في محاربة الاتحاد السوفياتي تحت شعار دحر الشيوعية؟!! أين هي القواعد العسكرية الأميركية اليوم، هل هي في إيران ومناطق حزب اللّه الشيعي؟! أم هي في قطر وتركيا والسعودية ودول الخليج؟! وهل حزب اللّه الشيعي هو الذي يتعاون مع المخابرات البريطانية والأميركية والفرنسية اليوم في تلقي السلاح والدعم في المعركة السورية، أم تلك الجماعات هي التي تتلقى الدعم والتموين من هذه الجهات؟! وهل تمدهم إسرائيل الدولة

اليهودية -التي يتهمون الشيعة بأن جذورهم تعود إليهم- بالسلاح والخطط والتموين والمعلومات الاستخباراتية والطبابة والاستشفاء داخل الكيان الصهيوني...؟؟!!

ومن الذي أفتى بجواز التعاون مع الكفار في تدمير العراق، أليس شيوخ الوهابية السلفية؟؟!!

٢- أما حلّاً: فبالنسبة لتعاون الشيعة مع غزو المغول، إن البحث التاريخي الموضوعي لظروف تلك المرحلة، يبرز بوضوح أهمية سياسة الاحتواء التي قام بها علماء الشيعة في امتصاص غزو المغول وتحويلهم إلى الإسلام[1].

فإنه بعد أن استولى هولاكو على إيران وقضى على الخلافة العباسية عام ٦٦٥ هجري، أسلم ملوك المغول الأربعة، منهم: محمد خدابنده، وسعيد بن محمد خدابنده، والأول كان على المذهب الحنفي، ولما وفد عليه نظام الدين عبد الملك الشافعي وبعد مناظراته مع الحنفية عدل السلطان إلى المذهب الشافعي، وفي هذه الآونة قصده السيد تاج الاوي مع جماعة من الشيعة، ثم بعد آونة حضر العلامة الحلي الحسن بن يوسف تلميذ نصير الدين الطوسي وبعد مناظرة في المسائل العقائدية والفقهية، تغلب العلامة الحلي عليهم فيها، فأظهر السلطان التشيع.

وبهذا يظهر أن الطوسي وتلميذه الحلي من علماء الشيعة أنقذوا

---

(١) يراجع حول هذا الموضوع: الميلاني، علي الحسيني، الشيخ نصير الدين الطوسي وسقوط بغداد، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١، ١٤٢١هـ. حيث رد على افتراءات ابن تيمية حول هذه المسألة.

بسياستهم الذكية والحكيمة التي اتبعوها البلدان الإسلامية من همجية المغول وبربريتهم ووحشيتهم، وحوّلوا التهديد إلى فرصة لمصلحة المسلمين، ولكن لكون هذه المرحلة شهدت انتشاراً للتشيع، وهو ما لم يعجب ابن تيمية الحراني الذي كان معاصراً للعلامة الحلي اتهمهم بتلك التهم الشنيعة لأغراض في نفسه.

أما سبب سقوط الخلافة العباسية فليس هو تآمر ابن العلقمي، وهذا تبسيط للمسألة إلى أقصى الحدود، بل هو في تآكل جسم الدولة العباسية من الداخل نتيجة الفساد والظلم والاستبداد والقهر، واللهو بمتاع الدنيا واتباع السلطات الحاكمة لشهوة بطونها وفروجها كما يعترف بذلك المؤرخ ابن الأثير حيث يقول في سياق تلك الحادثة: «... فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين أذى وشدة مذ جاء النبي ﷺ وسلم إلى هذا الوقت مثل ما دفعوا إليه الآن»[1].

كما أن السبب الرئيس هو قتل التجار الذين بعثهم الملك المغولي جنكيز خان إلى سمرقند وبخارى ومعهم أموال كثيرة للتجارة حيث وصلوا إلى أوترار من بلاد الترك في آخر ولاية خوارزم شاه وكان له نائب هناك فأمره بقتلهم وأخذ أموالهم، فأرسل جنكيز خان خبراً إلى خوارزم شاه قائلاً: «تقتلون أصحابي وتجاري وتأخذون مالي منهم، فاستعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به»[2].

---

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ج١٢، ص٣٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٣٦١.

وكانت هذه بداية الحملة الوحشية للمغول الذين ما دخلوا قرية إلا أفسدوها وخربوها وقتلوا أهلها وملكوها، ويفرّ من الناس من يفرّ، حتى وصل هولاكو خان إلى بغداد، وفي الوقت الذي كانت فيه الحرب مشتعلة كان الخليفة العباسي يعيش مع راقصته لحظات جميلة، حيث أحاط التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة خطاياه، وكانت تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: «إذا أراد اللّه إنفاذ قضائه وقدره أذهب عن ذوي العقول عقولهم»، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرت الستائر على دار الخلافة[1].

هذا غيض من فيض أخلاق خلفاء بني العباس، وبعد هذا يُسنَد سقوط الخلافة العباسية إلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي المتهم بالتشيع.

٣- أما تعاون الشيعة مع الغزو الصليبي، فإن الدولة الفاطمية هي مرحلة تاريخة في حياة فرقة من فرق الشيعة، وعلى فرض تعاونهم مع الصليبيين فإن ذلك لا يعني أن يؤخذ كل الشيعة عبر التاريخ حتى اليوم بوزر قرارات سياسية اتخذتها حكومة ما في التاريخ، فإن هذا خلاف مبدأ لا تزر وازرة وزر أخرى.

وعلى كل حال، يشهد لجهاد الشيعة في الدفاع ضد العدو الخارجي على بلاد المسلمين تاريخهم المعاصر فضلاً عن الماضي، من ثورة

(١) يراجع: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠٠-٢١٣.

العشرين في العراق ضد الاحتلال الانجليزي، مروراً بمقاومة السيد عبد الحسين شرف الدين للاحتلال الفرنسي للبنان، والمقاومة الشيعية للاحتلال الأمريكي للعراق، فضلاً عن مقاومة الجمهورية الإسلامية لكل احتلال خارجي بريطاني أو أمريكي أو سوفياتي، ومقاومة حزب اللّه للعدو الصهيوني ومن ورائه من الدول الاستكبارية.

ولا يريد الشيعة شهادة تاريخية من السلفية الوهابية في كونهم رأس الحربة في مشروع المقاومة في العالم الإسلامي.

إلى هنا انتهى البحث في القسم الأول من الكتاب، وسنحاول في القسم الثاني معالجة موضوع تكفير الشيعة.

الفصل الخامس

التكفير: مفهومه- ضوابطه- شروطه- وموانعه

تمهيد:

ذكرنا سابقاً أن موجبات تكفير السلفية الوهابية للشيعة تقع ضمن ثلاثة محاور:

١ـ ما يتمحور حول عقيدة الشيعة في القرآن.

٢ـ ما يتمحور حول عقيدة الشيعة في الإمامة وأهل البيت.

٣ـ ما يتمحور حول عقيدة الشيعة في صحابة رسول الله.

وقبل مناقشة هذه الموجبات، نتوقف في هذا الفصل عند شرح مصطلح التكفير، وبيان ضوابطه وشروطه وموانعه، كي يكون القارئ على بيّنة من مسألة التكفير.

معنى التكفير

التكفير، على وزن تفعيل من الكفر، بمعنى اعتبار الشخص كافراً، فالتكفير هو إصدار الحكم بالكفر على شخص ما.

والكفر لغة من الستر والتغطية[1]. لذا سُمِّيَ الليلُ بالكافر، لأنه يستر الأشياء بسبب ظلمته، كما سُمّيَ الزَّرّاع بالكافر لأنه يستر البذر بتراب الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾[2]، والمقصود بالكفار: الزُّرَّاع.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٩١.

(٢) الحديد:٢٠.

فالكفر في اللغة نقيض الإيمان بمعنى التصديق بالشيء. فمن صدَّق بشيء ما فهو مؤمن به، ومن أنكر ولم يصدّق فهو كافر به. وقد سمي الجاحد بالله تعالى كافراً لأن عدم التصديق بالله قد غطى قلبه كله، ولأنه أنكر الله تعالى ورفضه يكون حاجباً وساتراً عن الإيمان.

ولفظ الكفر من المفردات الحيادية، التي لا تنطوي في داخلها على معنى سالب في حد ذاتها، وإنما تستمد وصفها بالإيجاب أو السلب من متعلق الكفر.

ومتعلق الكفر على نحوين:

١ - الأول: قد يكون متعلق الكفر أمراً ينبغي جحوده وإنكاره ورفضه، فيكون الكفر مطلوباً وإيجابياً.

قال تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[1].

وورد في بعض الأدعية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «... أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، آمنت بالله، **وكفرت بالجبت والطاغوت وباللات والعزى** وعبادة الشيطان وعبادة كل ندّ يدعى من دون اللَّه...»[2].

وانطلاقاً من نفس هذه النكتة، قد يطلق الإيمان على المعنى السالب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[3].

(١) البقرة:٢٥٦.

(٢) الكافي، ج٤، ص٤٠٢.

(٣) العنكبوت: ٥٢.

٢- وقد يكون متعلق الكفر أمراً ينبغي الاعتقاد والتصديق والإذعان به، فيكون الكفر منهياً عنه وسلبياً، كالكفر بالله ورسله وكتبه وآياته ونعمه... قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1].

فالكفر أمر نسبي، بمعنى أن كل من آمن بشيء فهو كافر بنقيضه، وكل من كفر بشيء هو مؤمن بنقيضه.

وبناء على هذا المعنى، يكون التكفير ظاهرة طبيعية في سياق الانتماء الديني، فإن كل من يقع خارج دائرة دين معين هو كافر بذلك الدين، فمن أنكر وجود الله فهو كافر وملحد بالنسبة لجماعة المؤمنين به تعالى من مسلمين ومسيحيين ويهود... والمسلم هو بدوره كافر بمعنى من المعاني، لأنه يكفر بالجبت والطاغوت ولا يؤمن بالباطل.

لكن أصبحت اليوم مفردة الكفر والتكفير تتضمن معنى سالباً، فعندما تطلق يتبادر إلى الذهن منها المضمون السلبي بسبب غلبة الاستعمال العرفي لا بسبب الوضع اللغوي. وعملية التكفير ليست مجرد وصف للحالة الأيديولوجية للآخر أو لانتمائه الفكري، فهي لا تعني الآخر العقائدي الذي يقع خارج دائرة الذات الدينية أو الإسلامية من دون أي مفاعيل عملية تنعكس على حياة الفرد والمجتمع والدولة والأمة والإنسانية، بل يترتب على التكفير والكفر الكثير من الآثار العملية في الاجتماع الإنساني، آثار في الأحوال الشخصية والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، لذا يكون للبحث عن حقيقة التكفير والضوابط التي تحكم هذه العملية أهمية كبيرة وخطورة

---

(١) النساء:١٣٦.

بالغة، خصوصاً مع الأخذ بعين الاعتبار ما هو كائن في الواقع المعاصر للأمة الإسلامية، حيث لم تعد عملية التكفير مقتصرة على الآخر الواقع خارج دائرة الانتماء الإسلامي، بل أصبحت مفردة التكفير في الممارسة العملية للجماعات التكفيرية الإرهابية وصفاً للمسلم نفسه، وترتّب عليها الآثار بحق المسلمين عموماً والشيعة خصوصاً، فصارت تعني إباحة دم ومال وعرض المسلم، وملازِمة للقتل والذبح وقطع الرؤوس والتفجير والتهجير والهدم، وأصبح التكفير تطبيقياً نقيضاً لمطلق التفكير، وهنا يبرز وجه الحاجة بنحو آكد وأشد للبحث عن الأسباب التي بموجبها يكفِّر السلفيون الوهابيون الشيعةَ لما يترتب على ذلك من آثار خطيرة ومدمِّرة في حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها.

انقسام الكفر إلى: أصلي وارتدادي

يصنّف الكافر في الفقه الإسلامي إلى صنفين:

١ ـ الأول: الكافر الأصلي، والمقصود به: الإنسان الذي يولد من أبوين كافرين، سواء أكان معتقداً بدين سماوي أم لا، كاليهودي، والمسيحي، والبوذي، والهندوسي، والزرادشتي، والشنتوي، والكونفشوسي... فالأصل في جميع الأفراد المنتمين إلى هذه الديانات وغيرها هو الحكم عليهم بالكفر، ودخول أحدهم في دائرة الإسلام يحتاج إلى دليل خاص.

٢ـ والثاني: المسلم الفطري، أيّ الإنسان المتولِّد من أبوين مسلمين أو أن أحد أبويه مسلماً، فهو داخل في دائرة الإسلام، وقد يخرج من دائرة الإسلام ويُحكَم عليه بالكفر عند توفر الأسباب الموجِبة التي تحتاج إلى دليل خاص. بحيث إذا ثبتت يصبح المسلم

بالفطرة والأصالة كافراً بالارتداد، فالارتداد هو خروج الإنسان من دائرة الإسلام إلى ساحة الكفر، ويسمى: «المرتد».

فالبحث في الكافر الأصلي يكون عن: ماذا ينبغي عليه أن يفعل ليدخل في الإسلام؟

أما البحث في الكافر المرتد فهو عن: ما هي الأمور التي إذا اعتقدها المسلم تخرجه عن الإسلام؟

هل الشيعة كفار أصليون أم كفار بالارتداد؟

بعد أن اتضح معنى الكفر الأصلي والكفر الارتدادي، يأتي السؤال: تحت أي قسم من الاثنين يندرج الشيعة من وجهة نظر الداعشيين الوهابيين؟

على الرغم من تكفير التيار السلفي الوهابي للشيعة، لم يدَّعِ أحدٌ منهم أن الشيعة كفّار أصليون، بل يعتبرونهم مسلمين بالفطرة من حيث الأساس -لما سيأتي من أن معيار إسلامية الشخص متحقق في أفراد الشيعة- ولكن لكون فرقة الشيعة تؤمن بـ: **«عقائد كفرية»**، تَخرج عن دائرة الإسلام إلى ساحة الكفر بالارتداد.

فالشيعي هو مسلم بالأصالة، كافر بالعارض مرتد عن دين الإسلام، تترتب عليه أحكام الكفر، كوجوب قتله... وهذا واضح في تعبير الشيخ أيمن الظواهري حيث قال: «... فهذه العقائد (التي يؤمن بها الشيعة[١]) من اعتقدها بعد إقامة الحجة عليه، يصير مرتداً عن دين الإسلام...»[٢].

(١) ذكرناها سابقاً.

(٢) نشرة الأنصار، العدد ٩١، الخميس، ٦ ذو القعدة ١٤١٥ هـ.

ولكون الكفر من المفاهيم المتقابلة مع الإسلام -إما تقابل الضدين أو تقابل الملكة وعدمها-، نتوقف عند تحديد معنى الإسلام لما له من انعكاسات على فهم أسباب كون الشيعة مسلمين بالفطرة.

تحديد معنى الإسلام قرآنياً

الإسلام لغة بمعنى مطلق الانقياد والتسليم. وقد استعمل القرآن الكريم مفردة الإسلام بمعنى الانقياد في أعلى مراتبه (التسليم المطلق لله) بحق الأنبياء عليهم السلام: نوح، إبراهيم، موسى، سليمان، وعيسى... إلخ[١].

١- يقول الله تعالى على لسان نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

٢- وعلى لسان إبراهيم: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

٣- وعلى لسان موسى: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٤].

أما أدنى مراتب الانقياد التي عرضها القرآن الكريم هي إسلام الأعراب، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٥]. فهو إسلامي شكلي، له صورة الانقياد دون مضمونه، فهو انقياد لا يتعدى الإقرار اللساني والاعتراف اللفظي، لأن الإيمان لم يدخل في أعماق وجدانهم ولم يستقر في قلوبهم.

---

(١) يراجع حول هذه الفقرات: بركات، أكرم، التكفير ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير، بيروت، ٢٠١٥م.

(٢) يونس: ٧٢.

(٣) البقرة:١٣١.

(٤) الأعراف:١٢٦.

(٥) الحجرات:١٤.

مفهوم الإسلام في السنة النبوية

أما معنى الإسلام في السنة [1] فيمكن لحاظه من زاويتين:

١ - الإسلام الظاهري: وهو ما تترتب عليه آثار الإسلام في الحياة الدنيا في خط علاقة الناس بعضهم بالبعض الآخر، كحقن الدم وعصمة المال وسريان مفعول قوانين الأحوال الشخصية من الزواج والإرث وغيرها.

٢- الإسلام الواقعي: وهو محور الآثار الأخروية من الثواب والعقاب، والدخول إلى الجنة أو النار.

كيف يتحقق الإسلام الظاهري؟

يتحقق الإسلام الظاهري بالإقرار اللساني بالشهادتين، فكل من قال: (أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أنّ محمداً رسول اللّه)، يدخل في دائرة الاجتماع الإسلامي، وتتحقق بذلك الهوية الإسلامية له.

وهذا المعنى هو ما استفاده معظم فقهاء المسلمين من خلال عملية التتبع الاستقرائي للسنة النبوية القولية والعملية، واستدلوا على ذلك بالعديد من الأحاديث والروايات المعتبرة الحجية من حيث سلسلة السند، وكذلك معتمدة من حيث المتن والدلالة.

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - روى البخاري في صحيحه، بسنده عن مسروق، عن عبد اللّه

---

(١) السنة: قول المعصوم وفعله وتقريره، والمقصود بها في المقام السنة الظاهرية لا الواقعية، أي «السنة الواصلة»، المنقولة لنا عبر المصادر الحديثية والتاريخية، لا «السنة الصادرة» عن المعصوم لأننا لسنا في زمن المعصوم حتى نسمع منه مباشرة.

قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللّه، وأنّي رسول اللّه، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»[1].

٢- وروى مسلم في صحيحه، بسنده عن أبي هريرة: أن رسول اللّه ﷺ وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب اللّه ورسوله، يفتح اللّه على يديه.

قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الأمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول اللّه ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها.

وقال ﷺ: امشِ ولا تلتفت، حتى يفتح اللّه عليك.

قال: فسار علي شيئاً، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول اللّه، على ماذا أقاتل الناس؟

قال النبي ﷺ: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسول اللّه، فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه»[2].

المقصود من الشهادتين المحققتين للهوية الإسلامية

نعم، وقع النقاش بين الفقهاء في ما هو المقصود من الشهادتين المحققتين للهوية الإسلامية للفرد، فهل بمجرد النطق والتلفظ بهما يحكم على الإنسان بالإسلام حتى مع العلم بكون قلبه غير معتقد

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص٣٨.

(٢) صحيح مسلم، ج٢، ص٤٤٩.

بمضمونهما؟ أم لا بد من أن يجتمع الإقرار اللساني مع الاعتقاد القلبي بالشهادتين ليكون الإنسان مسلماً؟

في الجواب، تبنى أغلب الفقهاء المسلمين بعضهم بشكل مطابقي وصريح وواضح وبعضهم بشكل ضمني والتزامي، أنه يكفي الإقرار اللساني بالشهادتين في تحقق الإسلام الظاهري الذي تترتب عليه الآثار الدنيوية من حرمة الدم والمال والعرض حتى مع العلم بأن الناطق بهما غير معتقد في قلبه بمضمونهما.

وبعبارة مختصرة: يصبح الإنسان مسلماً بمجرد أن يعترف بالتوحيد (لا إله إلا اللّه) والنبوة الخاصة (محمد رسول اللّه)، حتى لو لم ينطلق هذا الاعتراف من أعماق القلب، قال ابن حجر العسقلاني: «إن المسلم يطلق على من أظهر الإسلام وإن لم يعلم باطنه»[1]، أو حتى إذا لم يؤدِ الاعتراف التوحيد والنبوة إلى العمل الجوارحي بالفرائض والواجبات، لأن السيرة العامة للمسلمين جميعاً قائمة في التعامل مع تارك الفرائض كالصلاة والصوم والحج معاملة المسلم، ولا يرتِّبون عليه آثار الكفر، إلا إذا كان جاحداً ومنكراً لها اعتقاداً في قلبه، فيقومون بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، ويطبّقون عليه قوانين الأحوال الشخصية من الزواج والنسب والإرث وغيرها.

وكانت هذه السيرة العامة للمسلمين على مرأى ومسمع من المعصوم، ولم يبدِ المعصوم أي موقف سلبي منها، بل سكت عنها،

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ج١، ص٨٦.

وسكوته عنها إمضاء لها وإقرار على ما هي عليه، إذ لو لم يكن سكوته رضاه، لنهى عنها لكونه منكراً، أو لأرشد الناس إليها.

وقد استدل الفقهاء على ذلك بالعديد من الشواهد، نذكر منها:

١- حكم القرآن بإسلام الأعراب رغم عدم دخول الإيمان في قلوبهم، ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾(١).

٢- تعامل رسول اللّه مع المنافقين على أنهم من جماعة المسلمين رغم معرفته وعلمه اليقيني بعدم انعقاد قلوبهم على الإيمان بنبوته ﷺ وسلم، كما صرح القرآن بذلك أيضاً، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾(٢).

ومما تنبغي الإشارة إليه، أن اللّه تعالى لم يزوِّد الإنسان بأداة معرفية يستطيع من خلالها الاطلاع على قلوب البشر. لذا علينا التعامل بالظاهر، وهذا ما نجده واضحاً في حديث النبي ﷺ مع أسامة بن زيد.

روى مسلم في صحيحه، بسنده عن أسامة بن زيد، قال: «بعثنا رسول اللّه في سرية، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا اللّه، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ وسلم.

فقال رسول اللّه: أقال لا إله إلا اللّه وقتلته؟!

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) المنافقون: ١.

قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح.

قال ﷺ: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها أم لا.

فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»[١].

قال محيي الدين النووي تعليقاً على عبارة: «أفلا شققت عن قلبه»: «ومعناه أنك إنما كلّفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه»[٢].

وكذلك نجد في السيرة النبوية أن النبي تعامل على أساس تطبيق ضابطة الإقرار اللساني بالشهادتين في قبول إسلام الأشخاص، فقد قبل بذلك إسلام أسيد بن أبي أناس[٣]، وعبد الله بن سلام[٤]، ونوفل بن حارث، وأبي العاص ابن الربيع، وعمير بن وهب،[٥] ولم يكفر حاطب بن أبي بلتعة رغم خيانته للمسلمين ولم يكفر عبد الله بن أُبي...

وفي هذا السياق صرّح ابن قدامة الحنبلي أن أحكام الإسلام إنما تترتب على من نطق بالشهادتين، وأقر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان، وإن لم يعمل بها، أما من أنكر وجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج فهو كافر.

---

(١) صحيح مسلم، ج١، ص٦٧.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٧م، ج٢، ص١٠٤.

(٣) يراجع: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص٢٠-٢١.

(٤) يراجع: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٢، ص٣٢-٣٣.

(٥) يراجع: ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ضبط مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ص٣٠٨.

نعم، تبنى بعض فقهاء المذهب الحنفي أن المراد بالشهادتين هو اجتماع الإقرار اللساني مع التصديق القلبي بمضمونيهما، فإن علم عدم وجود التصديق القلبي لا يحكم بإسلام الشخص حتى لو نطق ظاهراً بالشهادتين.

انطباق الضوابط والمعايير على الشيعة

وعلى كل حال، بناء على جميع الآراء الفقهية السابقة، يعتبر أتباع مذهب الإمامية الاثني عشرية مسلمين، لأنهم ينطقون ويقرون بالشهادتين قلباً وقالباً، لفظاً واعتقاداً، ويعتقدون بوجوب الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها من الفرائض، ويلتزمون بها ويؤدون حق اللّه تعالى فيها.

فهم بناء على معايير تحقق الهوية الإسلامية للفرد مسلمون بالأصالة، وعليه: يصبح إخراجهم عن الإسلام يحتاج إلى دليل، والبحث مع السلفية يكون في الأسباب التي تمسكوا بها لإثبات ارتداد الشيعة وخروجهم عن دائرة الإسلام.

التكفير حكم شرعي من حقوق اللّه تعالى

إن التكفير حقّ من حقوق اللّه تعالى، وحكم شرعي كأي حكم شرعي آخر، له مقتضياته وشروطه وموانعه، ولا مكان لردة الفعل فيه أو البغض أو الحقد أو الأهواء والعصبيات أو الانفعالات النفسية أو غيرها من الأسباب غير المستندة إلى الشريعة، لذا ينبغي أن تخضع عملية التكفير لشروط دقيقة، كما هناك العديد من الموانع التي تحول دون التكفير، وسنحاول في هذه الفقرات أن نبين بشكل مختصر أهم شروطه وموانع التكفير.

يقول ابن تيمية: «الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة»[١].

ويقول ابن تيمية: «أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، فمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه ولا تزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق اللّه تعالى، وكذلك التكفير حق اللّه، فلا يكفّر إلا من كفره اللّه ورسوله»[٢].

التشدّد في مسألة التكفير

ولمّا كان التكفير حق اللّه تعالى، وحكماً شرعياً له ضوابطه وشروطه، تشدّد فقهاء المسلمين في مسألة التكفير واستصعبوها، وحددوا موقفهم منها بالتالي:

أولاً: اعتبروا أن الأصل حرمة الحكم بالكفر على المسلم.

ثانياً: الاحتياط الشديد في التكفير.

ينقل الشوكاني عن كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة للإمام الغزالي الشافعي قوله: «ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة المسلمين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد»[٣].

وقال الدمياطي الشافعي: «ينبغي للمفتي أي يتعين عليه أن يسلك

---

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ج١، ص٢٤٢.

(٢) منهاج السنة، ج٥، ص٢٤٤.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ج٧، ص٣٥٣.

طريق الاحتياط في الإفتاء بتكفير أحد، فلا يفتي بذلك إلا بعد الفحص الشديد واليقين السديد لعظم خطره، أي التكفير»[١].

وثالثاً: أنّ من يكفر الآخرين من المسلمين ترجع كلمة الكفر عليه دونهم. استناداً إلى ما رواه البخاري عن رسول اللّه ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما»[٢].

وعن أبي ذر أنه سمع رسول اللّه يقول: «من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو اللّه، وليس كذلك إلا حار عليه»[٣].

ضوابط التكفير

هناك ضوابط عديدة لتكفير المسلم، سنعرضها ثم نقايس لاحقاً بعد عرض عقائد الشيعة، هل تنطبق هذه الضوابط على الشيعة حتى يقال بتكفيرهم؟!

١ ـ الضابطة الأولى: هي إنكار إحدى الشهادتين: أي من لم يشهد أن لا إله إلا اللّه، أو أنكر أن محمداً رسول اللّه فقد خرج من دائرة الإسلام إلى الكفر.

٢ ـ الضابطة الثانية: جحود الفرائض والأحكام، والمقصود بالجحود هنا، ليس ترك الفرائض أي الصلاة أو الصوم أو الحج وغيرها في مقام العمل، بل الاعتقاد بأن هذه الفرائض لم يوجبها اللّه

---

(١) البكري الدمياطي، محمد شطا، إعانة الطالبين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج٤، ص١٥٦.

(٢) صحيح البخاري، ج٧، ص٩٧.

(٣) مسند أحمد، ج٥، ص١٦٦. حار عليه: رجع عليه.

تعالى على العباد، فمن يؤمن بأن الصلاة واجبة ولكن يتركها تقصيراً لا يعتبر كافراً، بل هو مسلم فاسق.

وبعض الفقهاء لم يعتبر جحود الفرائض ضابطة مستقلة عن الأولى، لأن إنكار وجوب الفريضة يكون موجِباً للكفر فيما لو أدى إلى تكذيب النبي مع التفات المنكر إلى هذه الملازمة، وبعبارة أخرى لا بد للحكم على كفر منكر الفريضة من تحقق ثلاثة أركان:

أ- إنكار وجوب الفريضة اعتقاداً.

ب- استلزام إنكار وجوب الفريضة تكذيب النبي.

ج- الالتفات إلى كون جحود الفريضة يؤدي إلى تكذيب النبي ومع ذلك - أي التفاته إلى الملازمة- يصرّ على الإنكار.

وبعد تحقق هذه الأركان الثلاثة يعتبر جاحد الفريضة منكراً لرسالة النبي فيخرج بذلك عن الإسلام لإنكاره الجزء الثاني من الشهادة.

٣- والثالثة: إنكار الضرورة الدينية، والمقصود بالضرورة الدينية: ما علم ثبوته من الدين ضرورة من دون حاجة إلى نظر واستدلال عند المطلّع على الدين. وبعبارة أخرى: هي المسائل التي أصبحت بسبب تواترها واشتهارها وشياعها بين أهل الإسلام من الخاصة والعامة والعلماء والعوام ومعرفتهم بها بمنزلة الضرورة العقلية التي تنقدح في الذهن من غير حاجة إلى إقامة الدليل والبرهان ولا تتوقف على فكر ونظر على أنها مما جاء به الرسول، ويكون دليل ثبوتها وإثباتها ودلالتها قطعياً ومجمعاً عليه بين العلماء أنها كذلك، كوجوب الصلاة والحج والصوم والزكاة، وحرمة شرب الخمر وحرمة القتل والزنا

واللواط... فمن أنكر شيئاً من هذه القضايا الثابتة بهذا النحو فقد كذّب الرسول حقيقة مما يؤدي إلى إنكار رسوليته[١].

عدم الكفر بسبب ترك العمل بالفرائض

قد يكون الإنسان مسلماً، يتشهد الشهادتين، ولكنه مع ذلك يكون عاصياً، تاركاً للواجبات، وفاعلاً للمحرمات، وهذا لا يعني أن تركه للواجب وفعله للمحرّم يجعل منه كافراً، بل يبقى على الإسلام، لأن المسلم لا يخرج عن الإسلام بعمل.

قال ابن تيمية: «قد تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة وما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ولا يخرجون عن الإسلام بعمل»[٢].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل: «والكفّ عن أهل القبلة، ولا تكفِّر أحداً منهم بذنب ولا تخرجه عن الإسلام بعمل»[٣].

وذلك استناداً إلى ما رواه أنس بن مالك عن رسول اللّه ﷺ، قال: «ثلاث من أصل الإيمان: الكفّ عمن قال: لا إله إلا اللّه، لا يكفّره بذنب، ولا يخرجه عن الإسلام بعمل»[٤].

---

(١) يراجع: حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، ص١٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢٠، ص٩٠.

(٣) محمد بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٢٧.

(٤) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، ج٩، ص١٥٦. والتميمي، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم اسد، دار المأمون للتراث، دمشق، (لا.ط).

شروط التكفير

هناك عدة شروط لا بد من أن تتوفر حتى يُحكَم بالكفر، أهمها:

١- البلوغ.

٢- العقل.

عدم صحة التكفير إلا بعد قيام الحجة

٣- ومن شروط التكفير: العلم وقيام الحجة.

يتضح من نص كلام ابن تيمية السابق، أن من شروط التكفير: قيام الحجة على الإنسان ببلوغ الحق إليه، بمعنى أن يكون عالماً بأن هذا الفعل أو القول مما جاء به الرسول، ومع ذلك ينكره، أما من كان جاهلاً فإنه يعذر بسبب جهله، لأن الجهل من موانع التكفير.

يقول ابن تيمية: «إن المقالة تكون كفراً كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات الأرحام، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب، وكذا لا يكفر به جاحده كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بجحده شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول»[1].

فلو كانت المسألة ثابتة بالتواتر والإجماع، لكن أنكرها منكر فلا يعتبر كافراً إلا بعد قيام الحجة الواضحة عليه، يقول ابن تيمية: «وأما من أنكر ما ثبت بالتواتر والإجماع فهو كافر بعد قيام الحجة»[2].

(١) يراجع: مجموعة الفتاوى، ج٣، ص٣٥٤.

(٢) الفتاوى، ج١، ص١٠٩.

الكفر الصريح من غير احتمال تأويل

٤- ومن شروط التكفير أيضاً: النص وصريح القول من غير احتمال التأويل. أي أن يكون الكفر بصريح من القول أو الفعل، من غير احتمال التأويل فيه.

قال ابن حجر العسقلاني: «قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب وكان له وجه في العلم»[1].

- وكذلك، أن يكون الكفر بالدلالة المطابقية دون الالتزامية، فلا يصح التكفير بالمآل، ومعنى التكفير بالمآل كما قال ابن رشد هو أن يصرح الإنسان بقول ليس هو كفر في ذاته بل يلزم عنه الكفر، مع عدم الاعتقاد بذلك اللزوم.

قال ابن رشد: «أما من كفر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ، لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به، وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط، والتناقض ليس كفراً بل قد أحسن إذ قد فرّ من الكفر»[2]. «فصح أنه لا يكفر أحد إلا بنفس قوله ونص معتقده»[3]، دون اللازم من القول.

أن لا تكون المسألة خلافية

٥- من شروط التكفير أيضاً: الاتفاق والإجماع على المسألة موضع التكفير. أي أن يكون القول أو الفعل من المتفق على كونه

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج١٢، ص٣.

(٢) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار صادر، بيروت، ط١، ج٣، ص٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه.

كفراً وليس مختلفاً فيه. لأن اختلافهم في دلالته على الكفر يعني أنها غير صريحة فيه وأنها قد تقبل المحمل الحسن.

قال الشريف الجرجاني الحنفي: «... بخلاف المسائل التي اختلف فيها... فلا يمكن جعلها مما يتوقف عليه صحة الإسلام، فلا يجوز الإقدام على التكفير، إذ فيه خطر عظيم»[١].

موانع التكفير

ما تقدّم هي شروط التكفير، أما موانعه فهي عديدة، منها:

١ - وجود الشبهة.

٢ - التمكّن من الفهم والاستيعاب.

٣ - عدم ثبات النصوص عند المنكر.

٤ - الاجتهاد في طلب الحق.

فوجود الشبهة عن المنكر يعتبر من موانع التكفير، فلا يحكم بالكفر إلا بعد إزالة الشبهة.

ومن الموانع أن يكون الشخص قادراً على فهم النصوص وإلا فإن غير المتمكن معذور ويعتبر هذا مانعاً عن تكفيره[٢].

ومن الموانع عدم ثبات النصوص عند الشخص المنكر[٣].

ومن الموانع أن يكون من المجتهدين في طلب الحق[٤].

---

(١) شرح المواقف، ج٨، ص٣٤٠.

(٢) مجموع الفتاوى، مصدر سابق.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٢٣، ص٣٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٩.

عدم كفاية مجرد الشك في الحكم بالكفر

وأخيراً، لا بد من الالتفات إلى أنه من الضوابط التي توضح مدى تشدد فقهاء المسلمين في مسألة التكفير، هي أنّ الذي يخرج من الإسلام لا بد من أن يكون شيئاً واضحاً وضوح الشمس يرجع إلى إنكار الشهادتين كما مضى.

يقول ابن تيمية: «ليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين إن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه بشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[١].

قال الشوكاني الشافعي: «اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يقوم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار»[٢].

لذا لا يكفي عنصر الشك بل لا بد من توفر عنصر اليقين. فإن مجرد الشك في إسلام إنسان ليس مبرراً فقهياً وشرعياً للتكفير.

قال ابن نجيم المصري الحنفي: «روى الطحاوي عن أصحابنا: لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه، ثم ما تيقن أنه ردة يحكم بها، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها، إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك»[٣].

---

(١) الفتاوى، ج١٢، ص٤٦٦.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ج٤، ص٥٧٨.

(٣) المصري، ابن نجيم، البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، ضبط زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج٥، ص٢١٠.

ابن تيمية: تكفير المعيَّن لا تكفير العموم

ومن النقاط الجديرة بتسليط الضوء عليها فيما يتعلق بالتكفير هو ما عرضه ابن تيمية من التمييز بين نوعين من التكفير:

١- تكفير العموم.

٢- وتكفير المُعَيَّن.

والمقصود بتكفير العموم، مثلاً: كل من قال إن اللّه لم يوجِب الصلاة اليومية أو صوم شهر رمضان فهو كافر، بغض النظر عن من هو قائل هذا القول.

أما تكفير المعين، فهو تطبيق تلك الضابطة الكلية على شخص معين محدد في الخارج اسمه زيد أو بكر، وهو الفرد الذي يقول بمقالة الكفر.

والمهم في مسألة التكفير هو تكفير المُعيّن، لأنه هو في المحصلة الذي تترتب عليه الآثار العملية للكفر من إباحة الدم والمال والعرض، لأن التكفير بالعموم هو مبهم غير متشخص ولا يترتب عليه إلا أثر معرفي لا عملي.

فما هو موقف ابن تيمية من تكفير المعين؟

يقول ابن تيمية: «فقد يكون الفعل أو المقالة كفراً، ويطلق القول بتكفير من قال تلك المقالة، أو فعل ذلك الفعل، ويقال: من قال كذا، فهو كافر، أو من فعل كذا، فهو كافر. لكن الشخص المعيّن الذي قال ذلك القول، أو فعل ذلك الفعل **لا يحكم بكفره حتى يقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها**»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٣٥، ص١٦٥.

وفي نفس السياق يقول ابن أبي العز: «ثم إذا كان القول نفسه كفراً، قيل إنه كفر، والقائل به لا يكفّر إلا بشروط وانتفاء موانع»[١].

كيف يتم تكفير الشيعة بناء على هذه الضوابط؟!

ومع ما تقدم من التشدد والاحتياط في ضوابط وشروط وموانع مسألة التكفير نلاحظ استسهال التكفير والاستخفاف به عند السلفيين الوهابيين لأدنى مسألة، إلى درجة أنه قد أفتى بعض كبار فقهاء السلفية الوهابية بتكفير منكر جريان الشمس أي القول إنّ الشمس واقفة ثابتة كفر وضلال وردة عن الإسلام[٢].

فلا نعجب، ومع ذلك نسأل: أليس الشيعة مسلمين بالأصالة، والحكم عليهم بالارتداد والخروج عن الإسلام يحتاج إلى دليل وتوفر شروط وارتفاع موانع؟ فهل هي متحققة في الأفراد المعيّنين؟ كيف تمّ لهم التثبّت والتحقق من ذلك؟ وكيف يصح للسلفيين الوهابيين بتكفير كل فرد فرد من الشيعة على نحو التعيين؟! أليس من الممكن أن يكون هذا الشيعي أو ذاك، جاهلاً، مشتبهاً، مخطئاً..؟ فكيف حكموا على المعيّن والمحدد من الشيعة بالارتداد، فهل سمعوا قوله ودرسوا حالته ليعرفوا مدى تحقق الشروط فيه وارتفاع الموانع عنه؟؟! أليس من الضروري حينها أن تبين له الحجة وتقام عليه، وبعدها يحكم بعدم إسلامه؟؟ ألا ينبغي أن يكون الحكم بخروج إنسان ما من دين

---

(١) نقلًا عن: حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، ص١٥٩.

(٢) يراجع: ابن باز، عبد العزيز، الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٢، ١٩٨٢م، ص٢٤، و٤٤. وأنظر: الرابط التالي:http://www.alifta.net/fatawa/fatawaDetails.aspx?

الإسلام ودخوله دائرة الكفر ببرهان أوضح من شمس النهار؟! وهل يحق لأحد أن يفتي بذلك إلا بعد الفحص الشديد واليقين السديد لعظم خطر التكفير؟؟! أليس الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ بالحكم بسفك دم مسلم؟؟! ألا يشكّل هذا تناقضاً بين منهجهم الفكري وسلوكهم العملي؟ وحينها ألا يصبحون هم أحق بالتكفير لأن من كفّر مسلماً رجعت كلمة التكفير عليه؟

فعن رسول اللّه ﷺ، أنه قال: **«كفّوا عن أهل لا إله إلا اللّه، لا تكفّروهم بذنب، فمن أكفر أهل لا إله إلا اللّه فهو إلى الكفر أقرب»**[1].

(١) المعجم الكبير، الحافظ الطبراني، ج١٢، ص٢١١.

الفصل السادس

عقيدة الشيعة الإمامية بالقرآن الكريم
والردّ على افتراءات السلفية الوهابية

المبحث الأول

ماهية القرآن ومعاني التحريف

ذكرنا سابقاً أنّ أحد الأسباب الموجِبة لتكفير الشيعة من وجهة نظر تيار السلفية الوهابية هو اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن، وقد عرضنا بعض النماذج من كلمات أعلامهم في هذا المجال، كرأي الشيخ أيمن الظواهري، والشيخ ابن جبرين حيث قال الأخير: «الرافضة بلا شكّ كفّار لأربعة أدلة: الأول: طعنهم في القرآن... ومن طعن في القرآن فهو كافر مكذِّب».

وفي هذا المبحث سنجيب عن عدة أسئلة:

١ ـ ما هو القرآن؟

٢ ـ ما معنى تحريف القرآن؟ وأين هو يتمحور موضع تهمة التحريف؟

٣ ـ ما هي الأدلة التي عرضها السلفيون الوهابيون على قول الشيعة بالتحريف؟

٤ ـ ما هي حقيقة عقيدة الشيعة في القرآن الكريم؟

٥ ـ ما هو الردّ على وجهة نظر السلفية الوهابية في اتهام الشيعة بتحريف القرآن؟

٦- هل الاعتقاد بتحريف القرآن سبب موجِب للحكم بالكفر على الفرد أو الجماعة؟

ما هو القرآن الكريم؟

لقد بعث اللّه تعالى محمداً بن عبد اللّه نبياً ورسولاً إلى كافة الناس والبشر أجمعين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾، ليكون رحمة للعالمين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويوصلهم إلى كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[2].

وأنزل معه القرآن الكريم ليقوم بهذه الوظائف من الهداية والتبشير والإنذار والتعليم والتزكية والتطهير...، قال تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ * يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[4]. وقال عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[5].

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٣) المائدة: ١٥-١٦.

(٤) إبراهيم: ١.

(٥) الحديد: ٩.

وقد قام النبي الأكرم بتلاوة آيات كتاب اللّه وتبليغ الكتاب إلى الناس كما أنزل إليه ﷺ، وعلّمهم ما يحتوي عليه الكتاب من عقائد وأحكام وسنن وقيم و...، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

وقد كان العرب يعرفون أسلوبين من نظم الكلام: الشعر والنثر، لكن كان القرآن أمامهم أسلوباً جديداً في التعبير اللغوي عن المراد، فضلاً عمّا احتوى عليه من معانٍ سامية، ومضامين عالية، فانطربوا له، حتى قال الوليد بن المغيرة من كبار المشركين وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة: «واللّهِ إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، وإنه ليعلو، ولا يعلى عليه»(٢).

وقد تحداهم اللّه تعالى بأن يأتوا بمثل القرآن، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٥).

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ ج٣، ص٣٤٤.

(٣) هود: ١٣-١٤.

(٤) البقرة: ٢٣.

(٥) يونس: ٣٨.

وقد عجزت العرب ببلاغتهم وفصاحتهم ومهاراتهم في نظم النثر والشعر والخطابة عن أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، فكان القرآن معجزة الرسول الأكرم ﷺ في بلاغته وفصاحته وأسلوبه ونظمه، وأهم من ذلك معجزة في معارفه وعقائده وتشريعاته وقيمه وقصصه وسننه وتعاليمه... الدالة على صدق نبوته في دعواه أنه مبعوث ومرسل من قبل اللّه تعالى.

يقول المحقق جعفر بن الحسن الحلي: «والدلالة على نبوته عليه السلام أنه ادعى النبوة وظهر المعجز على يده مطابقاً لدعواه، وكل من كان كذلك فهو نبي.

أما أنه ادعى النبوة، فمعلوم بالنقل المتواتر الذي لا يدفعه إلا مكابر، قد عرفت أن الخبر المتواتر يفيد اليقين، ولو ساغ إنكار مثل ذلك لساغ إنكار وجود البلاد المشهورة والوقائع المأثورة المروية، لكن ذلك عين السفسطة.

وأما ظهور المعجز على يده فنقول: إن معجزاته تنقسم إلى قسمين: فمنها ما هو الآن موجود، وهو القرآن، ومنها ما هو منقول بالتواتر، أو النقل المشتهر. ونحن نذكر طرفاً منها، ونبدأ ببيان كون القرآن معجزاً، وقد عرفت أن المعجز هو الخارق للعادة المطابق لدعوى المدعي، والأمران موجودان في القرآن العزيز، أما خرق العادة فلأن المألوف من كلام العرب إنما هو الخطب والرسائل والشعر، ومن المعلوم أن القرآن خارج عن هذه الأمور، ومجانب لها، ولهذا تعذر - على فصاحتهم - المعارضة له، مع التحدي الظاهر، فلو قدروا على الإتيان بمثله، لما عدلوا

إلى المحاربة وتحمل المشاق المفضية إلى احتياج الأنفس والأموال»[١].

عصمة الوحي في مقام الثبوت

وعلى كل حال، لا ريب في أنّ الوحي السماوي كمشكِّل أساس للنص الديني القرآني معصوم عند نزوله من اللّه تعالى مباشرة أو بواسطة جبريل إلى قلب النبي المُبعوث من قبله تعالى؛ لتنزّه الحضرات والمراتب التي يتنزّل فيها الوحي من خزائن علم اللّه تعالى عن أي لون من ألوان الخطأ والاشتباه والنسيان والغفلة والتحريف والتزوير...

كما أن النبي ﷺ قام بتبليغ الوحي الإلهي إلى الناس كما أنزل إليه من اللّه تعالى وجبرئيل بدون زيادة أو نقصان؛ لأنه معصوم في مقام التبليغ باتفاق جميع علماء المسلمين.

دخول الوحي إلى الدائرة البشرية

وعندما يصل الوحي الإلهي إلى مسامع الناس، ويتلقونه عن النبي، يدخل إلى حيّز الدائرة البشرية غير المعصومة، فيقع الناس في الاشتباه والغفلة والسهو في سماع كلمات الوحي، ويعيشون في نطاق الخطأ والنسيان في نقلهم الألسني المشافهي أو الكتبي التدويني لما صدر عن النبي من شخص إلى آخر ومن جيل إلى آخر.

ولا ريب في أن معطيات الوحي غير القرآن قد تعرّضت عمداً إلى الوضع والتحريف والتزوير والكذب... وهذا ما كشفت عنه الروايات بشكل واضح، منها:

---

(١) الحلي، جعفر بن الحسن، المسلك في أصول الدين، تحقيق رضا الأستادي، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط٢، ١٤٢١هـ ص١٧٣.

عن الإمام علي عليه السلام، قال: «إنّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً... وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول اللّه على عهده، حتى قام خطيباً، فقال: أيها الناس، قد كثرت علي الكذابة، فمن كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار. ثم كذب عليه من بعده...»[1].

ومجموع هذه العناصر الذهنية والنفسية والعملية التي يعيشها البشر عن قصور أو تقصير؛ دعت النبي إلى الاهتمام والمبالغة في حفظ القرآن وتدوينه كما أنزل كي لا يتعرض القرآن إلى ما تعرّض له الحديث النبوي من التحريف.

وقد اعتنى النبي ﷺ بهذه المعجزة، حيث أشرف في حياته مباشرة على تدوين الآيات، والسور، بنحو لم يُزَد عليها حرف، ولم يُنقص منها حرف، فدوِّنت كما أنزلت.

وبذلك يكون الوحي القرآني معصوم عن الخطأ والاشتباه والغفلة والنسيان ثبوتاً وإثباتاً، أي في مقام الوصول إلى قلب النبي، وفي مقام تبليغ النبي له، وفي مقام تدوينه وكتابته بإشراف النبي وعنايته.

وبهذا يكون معنى القرآن الكريم: هو كلام اللّه تعالى المُنزل على قلب النبي محمد ﷺ لفظاً ومعنى؛ وقد بلّغه النبيُّ ﷺ الناسَ بالتدريج خلال ثلاث وعشرين سنة، للإعجاز، وبهدف هداية الناس وإيصالهم إلى كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد كُتِب في المصاحف باللغة العربية.

---

(١) الكافي، ج١، ص٦٣.

وإذا كان القرآن الكريم في عصر النبي وحياته لم يتعرض للتحريف، فمتى يمكن أن يكون القرآن قد تعرّض للتحريف؟

لا ريب في أنّ دعوى التحريف إنّما تصح بعد وفاة رسول اللّه ﷺ باتفاق جميع المسلمين، حيث لم يدّعِ أحد من المسلمين أن القرآن تعرّض للتحريف في زمن النبي الأكرم ﷺ، وكي نصل إلى النتيجة المطلوبة، من أن القرآن الذي بين أيدي المسلمين اليوم هل هو عينه القرآن الذي اهتم النبي بحفظه وتدوينه وبالغ في العناية به كي لا تناله يد التحريف والتزوير؟ أم أن القرآن الذي بين أيدينا اليوم فيه تحريف؟ نحتاج إلى فهم معنى التحريف، وأين وقع الخلاف حول التحريف؟ وأين تتموضع تهمة الشيعة بالتحريف؟

ما معنى تحريف القرآن؟

يطلق لفظ تحريف القرآن ويراد به عدة معان، وهذه المعاني على ثلاثة أقسام:

- تحريف أجمع المسلمون واتفقوا على وقوعه.
- تحريف اتفق المسلمون جميعاً على عدم وجوده في القرآن.
- تحريف بقي موضع نزاع وخلاف بينهم، وهو موضع التهمة للشيعة.

الاجماع على بطلان التحريف بالزيادة

أما التحريف الذي هو موضع وفاق بين المسلمين على عدم وقوعه في القرآن الكريم، فهو التحريف بالزيادة، بمعنى أن جميع

المسلمين يعتقدون بعدم وجود زيادة من كلام البشر على المصحف الذي بأيدي المسلمين اليوم، فكل ما في القرآن هو من الكلام المنزل على قلب رسول اللّه ﷺ، ولم يضف إليه شيء من كلام البشر.

فالتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين، بل هو مما علم بطلانه بالضرورة، فلا يوجد أحد من علماء المسلمين -سنة وشيعة- على الإطلاق يقول بأن القرآن الذي بين أيدي المسلمين اليوم فيه إضافة وزيادة ليست هي من كلام اللّه عزّ وجلّ، إلا بالنسبة للبسملة كما سيأتي.

الإجماع على وجود التحريف في تفسير القرآن

المعنى الثاني للتحريف، هو التحريف المعنوي، بمعنى تفسير كتاب اللّه تعالى بغير حقيقته، وحمله على مدلولات لم يردها اللّه تعالى من كلامه، وسوء فهم القرآن عن قصد وعمد، كما فعل اليهود، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1]. وهذا اللون من التحريف المعنوي للقرآن الكريم يمارسه بعض المسلمين من خلال تفسير الآيات بوجوه ومعانٍ غير مرادة ومقصودة للمتكلِّم الحقيقي أي اللّه تعالى. ولا خلاف بين أحد من المسلمين في وقوع التحريف بهذا المعنى.

وقوع التحريف بالأحرف والحركات

من أنواع التحريف الذي يظهر أنه موضع وفاق بين المسلمين في وقوعه في القرآن الكريم، هو التحريف بوجود اختلاف نقصاً وزيادة في بعض الحروف أو الحركات الإعرابية في القرآن، والدليل على ذلك:

(١) النساء: ٤٦.

تعدد القراءات، حيث وصلت إلى عشر قراءات، مع عدم كون جميع تلك القراءات متواتراً، وهذا معناه أن القرآن المنزل على قلب رسول اللّه والذي بلّغه إلى الناس هو مطابق لإحدى تلك القراءات، ويكون غيرها إما من باب الزيادة أو النقيصة في القرآن، وهذا أحد معاني التحريف.

التحريف في البسملة

وهناك التحريف بالزيادة والنقيصة بالنسبة للبسملة، أي آية (بسم اللّه الرحمن الرحيم)، فقد وقع الخلاف بين فقهاء المسلمين في كونها من القرآن وجزءاً من السورة التي تقرأ في بدايتها، أو ليست جزءاً من السورة. وبناء عليه، فإنّ القول الفقهي الذي يعتبرها ليست جزءاً من السورة هو بالنسبة للقول الفقهي الآخر قد أنقص من القرآن آية، وكذا العكس، فالقول الأول يعتبر أن القول الثاني قد زاد في القرآن آية.

وعلى كل حال، هذه المعاني التي تفيد وقوع التحريف قطعاً في القرآن كتعدد القراءات والبسملة...، رغم وجودها بين المسلمين وانتشارها بين علمائهم وفقهائهم لم تستلزم أن يكفر أحدٌ من المسلمين الآخر بسبب هذه الأقوال؟!

ويبقى أن الخلاف كل الخلاف، وقع في المعنى الأخير لتحريف القرآن.

تحرير محل النزاع، تحريف القرآن بالنقصان منه

المعنى الأخير لتحريف القرآن، هو القول بأن القرآن الموجود بين أيدي المسلمين اليوم، وقع التحريف فيه بالنقيصة، بمعنى أن القرآن غير جامع لكل ما نزل على قلب الرسول الأكرم ﷺ، بل هو

قرآن ناقص، إما نقص منه كلمات، أو سور. وهذا المعنى هو موضع التهمة، بمعنى أن الأدلة التي عرضها أنصار الوهابية -وسنأتي على ذكرها- تفيد بأن الشيعة يقولون بتحريف القرآن بالنقيصة، أي أن القرآن نقص منه كلمات أو آيات أو سور.

فالسؤال الذي يطرح نفسه: هل يعتقد الشيعة بتحريف القرآن بمعنى نقصان بعض الكلمات أو الآيات أو السور؟

تصريح علماء الشيعة بعدم وقوع التحريف في القرآن

سنعرض في الفقرات اللاحقة الأدلة التي استند إليها أنصار الوهابية لتوجيه التهمة إلى الشيعة بالقول بتحريف القرآن، وسنرد على ما اعتبروه أدلة لمناصرة رأيهم، ولكن قبل ذلك، ننقل نموذجاً من كلمات بعض علماء الشيعة القدماء الصريحة والواضحة في بيان عقيدة الشيعة بعدم تحريف القرآن:

يقول الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (توفي سنة ٣٨١ هـ)، وهو من كبار علماء مذهب الشيعة، وعمالقة رجال الرواية والحديث: «واعتقادنا في القرآن: أنه كلام اللّه ووحيه وتنزيله وكتابه، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن القرآن الذي أنزله اللّه تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنّا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب»[١].

وستأتي بعض كلمات كبار علماء الشيعة خلال الفقرات اللاحقة بالتفصيل.

---

(١) الاعتقادات في دين الإمامية، ص٨٤.

المبحث الثاني

أدلة السلفية على عقيدة الشيعة بتحريف القرآن

هناك عدة أدلة عرضتها السلفية الوهابية على كون الشيعة تعتقد بأن القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين ليس هو عينه القرآن الذي نزل على قلب رسول اللّه ﷺ وقام بتبليغ آياته إلى الناس، وهي:

الدليل الأول: روايات تحريف القرآن

الدليل الأول الذي يستدلون به على أن الشيعة قائلون بتحريف القرآن هو الروايات الموجودة في كتب أحاديث الشيعة، فقد استشهد مثلاً أبو أنس الشامي، وناصر بن علي القفاري وغيرهما ببعض الروايات الواردة في كتاب الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ليستفيدوا منها أنها دالة على تحريف كتاب اللّه عزّ وجلّ.

منها: عن أبي عبد اللّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: «إنّ القرآن الذي جاء به جبرئيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية»[1].

(١) الكافي، ج٢، ص٦٣٤.

وقد علّق أبو أنس الشامي على هذه الرواية بقوله: «آيات القرآن كما هو معلوم لا تتجاوز ستة آلاف إلا قليلاً»[١].

ومنها: ما رواه جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «ما ادّعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزله اللّه تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»[٢].

ومنها: عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام، قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآية هكذا: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا (في علي)...)[٣]»[٤].

... إلخ من الروايات في الواردة في نفس المعنى والسياق.

الدليل الثاني: اختلاف مصحف علي عليه السلام مع المصحف الموجود، حيث تفيد بعض كتب الشيعة وأحاديثهم عن سلمان الفارسي: أنّ علياً لما رأى غدر بعض الصحابة به وقلة وفائهم، اعتزل الناس بعد وفاة رسول اللّه، ولزم بيته، وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه...[٥] (وانظر النص الوارد عن الطبرسي في الفقرة التالية).

---

(١) الشيعة، مصدر سابق.

(٢) الكافي، ج١، ص٤١٧.

(٣) النساء: ٤٧. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾.

(٤) الكافي، ج١، ص٤١٧.

(٥) يراجع: كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري، ط١، ١٤٢٢هـ ص١٤٦. والاحتجاج، ص١٠٧.

الدليل الثالث: اختلاف القرآن في زمن المهدي عن القرآن الموجود اليوم

يقول أحمد الطبرسي في الاحتجاج: وفي رواية أبي ذر الغفاري أنه قال: «لما توفي رسول اللّه، جمع علي القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار، وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول اللّه.

فلما فتحه أبو بكر، خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر، وقال: يا علي! اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه وانصرف.

ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن، فقال له عمر: إن علياً جاء بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن، ونسقط ما كان فيه فضيحة، وهتك للمهاجرين والأنصار.

فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه، أليس قد بطل كل ما عملتم؟

قال عمر: فما الحيلة؟

قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة.

فقال عمر: ما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه. فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك.

فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن! إن جئتنا بالقرآن الذي قد كنت جئتنا به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه.

فقال علي: هيهات ليس إلى ذلك سبيل! هيهات ليس إلى ذلك سبيل! إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم

القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي.

قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم؟

فقال علي: نعم! إذا قام القائم من ولدي يظهره، ويحمل الناس عليه فتجري السنة به»[١].

الدليل الرابع: إقرار واعتراف كبار علماء الشيعة بتحريف القرآن

من أدلتهم على اعتقاد الشيعة بالتحريف هو إقرار واعتراف كبار علماء الشيعة بوقوع التحريف في القرآن، منها:

- يقول العلامة محمد باقر المجلسي تعليقاً على الرواية الأولى التي ذكرناها عن الإمام الصادق في أن القرآن سبعة عشر ألف آية: «فالخبر صحيح، ولا يخفى أنّ هذا الخبر، وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندي أنّ الأخبار في هذا الباب متواترة معنىً، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً»[٢].
- ويقول السيد نعمة اللّه الجزائري: «... إنّ تسليم تواترها -القراءات- عن الوحي الإلهي، وكون الكلّ قد نزل به الروح الأمين، يُفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة

---

(١) الاحتجاج، ج١، ص٢٢٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٤٠٤هـ ج١٢، ص٥٢٥.

الدالّة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن، كلاماً ومادة وإعراباً»[1].

- ويقول الحرّ العاملي: «... هذه الأحاديث وأمثالها دالّة على النصّ على الأئمة عليهم السّلام وكذا التصريح بأسمائهم، وقد تواترت الأخبار بأنّ القرآن نقص منه كثير وسقط منه آيات لمّا تكتب»[2].

الدليل الخامس: كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»

من أدلتهم أيضاً، أن بعض علماء الشيعة قام بالمجاهرة والإعلان بتأليف كتاب يثبت فيه وقوع التحريف في القرآن الكريم، وهو من تأليف صاحب مستدرك الوسائل الشيخ حسين الطبرسي المعروف بالميرزا النوري، وهو من كبار علماء الشيعة، وقال في مقدمته: «هذا كتاب لطيف، وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل الجور والعدوان، وسميّته فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب».

هذه هي الأدلة التي استند إليها أنصار الوهابية لإثبات كون الشيعة يعتقدون بتحريف القرآن.

---

(١) الجزائري، نعمة الله، الأنوار النعمانية، مطبعة شركت جاب، تبريز، ج٢، ص٣٥٧.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، دار الكتب الإسلامية، ط٣، ج٣، ص٤٣.

المبحث الثالث

مناقشة أدلة السلفية في قول الشيعة بتحريف القرآن

سنناقش أدلة السلفية في اتهام الشيعة بتحريف القرآن من ثلاث زوايا:

الأولى: النقض عليهم بالمثل.

والثانية: تأسيس الأصل القطعي حول عقيدتنا في القرآن.

والثالثة: الردّ عليهم وحلّ إشكالاتهم والجواب عمّا اعتبروه أدلة لإثبات مطلوبهم.

وفي البداية نشير إلى أن أنصار الوهابية لم يأتوا بجديد فيما يتعلق بما عرضوه من أدلة وشواهد تفيد اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن، بمعنى أنّ هذه الأدلة التي عرضوها، قد أخذوها من كتب علماء الشيعة أنفسهم كإشكالات أو آراء، وجرّدوها من الردّ عليها ونقضها ورفضها، وهذا دليل على عدم النزاهة العلمية وتعمد التزوير للحقائق وقصد التشويه للوقائع عن سوء نية، لأن ما ذكره أبو أنس الشامي والقفاري وإحسان إلهي ظهير وغيرهم حول قول الشيعة بتحريف القرآن، قد

عرضها علماء الشيعة وبصياغة أمتن من الناحية العلمية، ثم قاموا بالردّ عليها والجواب عنها، لكن حيث عَظُمَ الحقدُ والحسد والبغض في قلوبهم عميت أعينهم عيونهم عن رؤية الحقيقة وألسنتهم عن النطق بها، فقاموا بتزوير الوثائق وتحريف المعطيات، ويصدق بحقهم قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[1].

تحريف القرآن في أقوال الصحابة

أما النقض عليهم بالمثل، فنقول إنّ الروايات الصريحة في التحريف في مصادر أهل السنة أكثر منها في مصادر الشيعة -على فرض دلالتها على التحريف-، ونفس المحمل الذي يفسرون فيه الروايات المنقولة في كتبهم، فليكن كذلك في روايات الشيعة عيناً بعين، ونعرض بعض تلك الروايات الواردة في كتب السنة وصحاحها:

- روى البخاري عن عمر بن الخطاب وهو على المنبر قال: «... إن اللّه بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل اللّه آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. فلذا رجم رسول اللّه، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: واللّه ما نجد آية الرجم في كتاب اللّه، فيضلوا بترك فريضة أنزلها اللّه...»[2].

- وعن عمر بن الخطاب: «القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف»[3].

---

(١) الحج: ٤٦.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص٢٦.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٧، ص١٦٣. والطبراني، المعجم الأوسط، ج٦، ص٣٦١.

- وروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: «كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي ﷺ مئتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن»[١].

- وعن عبد الله بن عمر: «لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، ما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر منه»[٢].

- وعن أبي بن كعب: «كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة...»[٣].

- وعن أبي موسى الأشعري: «... إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة، فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من المال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا تراب)»[٤].

هذا غيض من فيض الروايات الواردة في صحاح ومصادر أهل السنة. فلو كان مطلق القول بتحريف القرآن موجِباً لكفر القائل به، للزم بناء على هذه النظرية أيضاً تكفير كبار الصحابة والتابعين والفقهاء من أهل السنة، فهل يلتزم السلفيون الوهابيون بتكفير الصحابة؟!

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٢، ص٦٦.

(٢) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ج١، ص١٠٦.

(٣) الفارسي، علي بن بلبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ج١٠، ص٢٧٣.

(٤) صحيح مسلم، ج٣، ص١٠٠.

تأسيس الأصل القطعي حول عدم تحريف القرآن

لم يختلف المسلمون سنة وشيعة في أن طريق ثبوت القرآن الكريم والحكم عليه بالصحة وأنه كلام اللّه تعالى هو النقل المتواتر، والمقصود بالتواتر إخبار جماعة كثيرة يمتنع تواطؤهم واتفاقهم على الكذب بنحو يفيد اليقن والعلم بصدور الخبر، وقد أثبت علماء الشيعة عن طريق التواتر أن الواصل إلينا من القرآن هو عينه الصادر عن النبي الأكرم ﷺ، ولذا قالوا إنّ القرآن قطعي السند والصدور، وقد حفلت كتبهم بهذا اللفظ بنحو لا تخفى على من راجعها، حيث يعتقدون أنه فعلاً قد نَقل القرآنَ جماعةٌ كثيرة من المسلمين جيل بعد جيل، بنحو يمتنع اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب؛ لاختلاف اتجاهاتهم وميولهم وانتماءاتهم العقائدية والمذهبية، وبالغوا في الاهتمام به حفظاً وضبطاً وكتابةً، فدوّنوه في المصاحف، بنحو يفيد نقلهم اليقين بأن القرآن الموجود بين أيدي المسلمين اليوم هو عينه الذي بلّغه النبي الأعظم للناس.

يقول السيد أبو القاسم الخوئي: «قد أطبق المسلمون بجميع نحلهم ومذاهبهم على أن ثبوت القرآن ينحصر طريقه بالتواتر. واستدل كثير من علماء السنة والشيعة على ذلك: بأن القرآن تتوافر الدواعي لنقله، لأنه الأساس للدين الإسلامي، والمعجز الإلهي لدعوة نبي المسلمين، وكل شيء تتوفر الدواعي لنقله لا بد وأن يكون متواتراً.

وعلى ذلك فما كان نقله بطريق الآحاد لا يكون من القرآن قطعاً.

... فإذا نقل القرآن بخبر الواحد، كان ذلك دليلاً قطعياً على عدم كون هذا المنقول كلاماً إلهياً»[١].

وبالتالي، يصبح هذا الأصل الذي يفيد اليقين بأن القرآن قطعي الصدور، حاكماً على كل الروايات الظنية، وينبغي أن يتم العمل في ضوء هذا الأصل القطعي، ورفض كل ما يخالفه، لأن الظن لا يقاوم القطع واليقين، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[٢]، وقد أمرنا أن لا نتبع غير العلم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٣].

وهذا ظاهر من كلام السيد الخوئي بأن كل ما يكون منقولاً بخبر واحد هو ليس قرآناً، وبالتالي كل ما يوجد في روايات الآحاد لا يكون قرآناً.

قال العلامة الحلّي: «الحق أنّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه وأنه لم يزد ولم ينقص. ونعوذ باللّه تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنه يوجب التطرق إلى معجزة الرسول عليه السلام المنقولة بالتواتر»[٤].

ويقول الشيخ الطبرسي: «فأما الزيادة فيه -أي القرآن-: فمجمع على بطلانه. وأما النقصان منه: فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشوية العامة، أن في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء، بيروت، ط٤، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) يونس: ٣٦.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) الحلي، الحسن بن يوسف، أجوبة المسائل المهنائية، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ ص١٢١.

مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى، قدس اللّه روحه، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع أن العلم بصحة نقل القرآن، كالعلم بالبلدان. والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه، وقراءته، وحروفه، وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً، مع العناية الصادقة، والضبط الشديد.

وذكر أيضاً رضوان اللّه عليه:... إن القرآن كان على عهد رسول اللّه ﷺ وسلم مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وإنه كان يعرض على النبي ﷺ وسلم، ويتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة مثل عبد اللّه بن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهما، ختموا القرآن على النبي ﷺ وسلم عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث. وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته»[1].

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تصحيح وتعليق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل اللّه اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-

أدلة علماء الشيعة على عدم وقوع التحريف في القرآن

ويدعم -بالإضافة إلى ما تقدّم- القول بأن الشيعة تؤمن بأن القرآن الموجود اليوم هو عينه القرآن الذي نزل على قلب النبي الأكرم وقام بتبليغه للناس، أن علماء الشيعة اعتمدوا على عدة أدلة لإثبات أن القرآن محفوظ من التحريف:

- **الدليل الأول**: أن اللّه تعالى قد وعد بحفظ القرآن عن أي تغيير وتبديل، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿... وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]. ووعد اللّه تعالى وعهده صدق واللّه تعالى لا يخلف وعده وعهده ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]، ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[4].

الدليل الثاني: حديث الثقلين

ومن الأدلة على عدم تحريف القرآن حديث الثقلين الثابت بالتواتر عند المسلمين. فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «إنّي أوشك ان أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه عزّ وجلّ وعترتي، كتاب اللّه حبل

١٩٨٦م، ج١، ص٤٣.

(١) الحجر: ٩.

(٢) فصلت: ٤١-٤٢.

(٣) البقرة: ٨٠.

(٤) الحج: ٤٧.

ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما»[١].

ووجه الاستدلال بالحديث: أن النبي ﷺ أخبر أمته بأن العترة والقرآن لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، والعترة معصومة بإجماع علماء الشيعة، فيكون القرآن معصوماً، كما أن أمر الأمة بالتمسك بهما، يتنافى مع القول بتحريفه، لأن وجوب التمسك بالكتاب باق إلى يوم القيامة فيكون القول بالتحريف باطلاً جزماً.

الدليل الثالث: عرض متن الرواية على القرآن الكريم

من الأصول التي يعتمد عليها علماء الشيعة في فهم الأحاديث والروايات هي أن القرآن الكريم هو معيار وميزان التثبت من صحة متن الرواية، وهذا موضع اتفاق جميع العلماء، يقول الشيخ الصدوق: «من قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وُصِف في التوحيد فهو كاذب، وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وُجِد في كتب علمائنا فهو مدلّس»[٢].

والمعصوم نفسه عليه السلام قد أرشد الناس إلى التمسك بالقرآن

(١) مسند أحمد، ج٣، ص١٧.

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية، الصدوق، محمد بن علي، مصنفات الشيخ الصدوق، تحقيق اللجنة العلمية في مكتبة بارسا - قم، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص٣٠.

واعتبره مرجعية فوقانية تُعرض عليها النصوص الدينية الروائية للتثبت من صحتها بموافقتها للقرآن[١]. منها:

عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: «خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب اللّه فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب اللّه فلم أقله»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «... وكل حديث لا يوافق كتاب اللّه تعالى فهو زخرف»[٣].

وبالتالي إذا كان القرآن محرّفاً كيف يصح أن يكون ميزاناً لكشف التحريف والدس والتزوير مع أن فاقد الشيء لا يعطيه؟!

يقول الشيخ الطوسي: «أما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها وأما النقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا... ورواياتنا مناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما ورد فيه ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عمل به وما خالفه تجنب ولم يلتفت إليه»[٤].

ومن الأدلة طبيعة الروايات المتواترة الواردة عن أئمة أهل البيت في تحديد النظرة إلى طبيعة القرآن، والدالة على حفظ القرآن والاهتمام

---

(١) يراجع: الهاشمي، محمود، بحوث في علم الأصول، تقريرات أبحاث السيد محمد باقر الصدر، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٨٤.

(٢) الكافي، ج١، ص٦٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، د١، ص٣-٤.

به والحث على تعلّمه وتعليمه والتبرك به، وأنه نور ومصباح وهدى و...

نذكر منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله اللّه رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملا لمن حمله ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلام، وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»[1].

ومن الأدلة أيضاً: وقوع الاحتجاج بالقرآن الكريم في كلام الرواة وإقرار الأئمة عليهم السلام لهم على ذلك.

ومن الأدلة أيضاً: تعليم أئمة أهل البيت عليهم السلام أصحابهم كيفية

---

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص١٧٧.

الاستدلال بالقرآن الكريم واستخراج المطالب العلمية والمعرفية منه.

وهذه كتب علماء الشيعة من المتكلمين والفقهاء والمفسرين وغيرهم مملوءة بالاستدلالات القرآنية، لأنهم يعتبرون القرآن المصدر الرئيس والأساس في عملية الاستدلال، فلو كان القرآن محرّفاً كما يزعم أنصار الوهابية كيف يصح لعلماء الشيعة الاستدلال به على المعارف والعقائد والأحكام والأخلاق والقصص و...؟ فإن من اللوازم المترتبة على القول بتحريف القرآن عدم صحة الاعتماد عليه في عملية الاستدلال، مع أن واقع الحياة العلمية والعملية لعلماء الشيعة ليس كذلك؟!!

مناقشة الدليل الأول: روايات التحريف

هذا هو الرأي الرسمي لمذهب الشيعة وعلماء مدرسة أهل البيت، أما فيما يتعلق بالأدلة التي ذكرها السلفيون، فسنناقشها باختصار، ففيما يتعلق الدليل الأول وهو الروايات التي استدلوا بها على التحريف فإن المناقشة فيها تتم من ناحيتين:

- الأولى: من حيث السند.
- والثانية: من حيث المتن.

أما من حيث سند هذه الروايات، فإن أكثر هذه الروايات هي ضعيفة السند باعتراف علماء الشيعة، كما صرّح سابقاً السيد المرتضى حين قال: «إن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته»[1].

(١) مجمع البيان، ج١، ص٤٣.

ويقول الإمام روح اللّه الخميني ﷺ في نفي تحريف القرآن: «إنّ الواقف على عناية المسلمين على جمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة، يقف علي بطلان تلك المزعمة، وأنه لا ينبغي أن يركن إليه ذو مسكة، وما وردت فيه من الأخبار، بين ضعيف لا يستدل به، إلى مجعول يلوح منها أمارات الجعل، إلى غريب يقضى منه العجب. إلى صحيح يدل على أن مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره، إلى غير ذلك من الأقسام التي يحتاج بيان المراد منها إلى تأليف كتاب حافل، ولولا خوف الخروج عن طور الكتاب لأرخينا عنان البيان إلى بيان تاريخ القرآن، وما جرى عليه طيلة تلك القرون، وأوضحنا عليك أن الكتاب هو عين ما بين الدفتين»[1].

أما دعوى تواتر روايات التحريف من قبل المجلسي والحر العاملي ليست في محلّها، وذلك لأن التواتر معناه إخبار جماعة كثيرة بنحو يفيد العلم، وكيف يمكن استفادة العلم من تلك الروايات مع وجود المعارض من الروايات الكثيرة أيضاً والتي تفوق تلك الروايات كثرة ووثاقة وصحة، ولا أقل تتعارض الروايات وتكون الموافقة لكتاب اللّه تعالى هي الحقّ وغيرها يضرب به عرض الجدار.

أما من حيث المتن، فيناقش فيها من جهتين:

الأولى: إمكانية حمل الروايات على محمل صحيح وتأويلها.

والثانية: مع عدم إمكانية حملها على محمل صحيح، يتمّ رفضها وإنكارها والضرب بها بعرض الحائط.

---

(١) السبحاني، جعفر، تهذيب الأصول، تقريراً لأبحاث السيد روح اللّه الخميني، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، إيران، ط١، ١٤٢٣هـ ج٢، ص١٦٥.

أما في حملها على المحمل الصحيح، فقد أجاب العلماء بعدة أجوبة، أما عن الحديث الأول، أي كون القرآن «سبعة عشر ألف آية» فمنها:

- الوجه الذي ذكره الميرزا أبو الحسن الشعراني، حيث قال: «أما كلمة سبعة عشر ألف آية في هذا الخبر فكلمة «عشر» زيدت قطعاً من بعض النساخ أو الرواة، وسبعة آلاف تقريب كما هو معروف في إحصاء الأمور لغرض آخر غير بيان العدد كما يُقال أحاديث الكافي ستة عشر ألف والمقصود بيان الكثرة والتقريب لا تحقيق العدد فإن عدد آي القرآن بين الستة والسبعة آلاف»[1].

- الوجه الذي ذكره الشيخ الصدوق، حيث قال: «... بل نقول: إنه قد نزل الوحي الذي ليس بقرآن، ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعة عشر ألف آية »[2].

ونشير، إلى أن مجرّد قيام علماء الشيعة بإيجاد تأويل ومحمل لهذه الروايات دليل على عدم قولهم بالتحريف وإلا لأقروها على ما هي عليه واستدلوا بها، لا أنهم حاولوا تأويلها.

جمع القرآن بمعنى الإحاطة العلمية به

أما الروايات الأخرى، فهي غير صريحة في القول بتحريف القرآن، بل الأولى منها ما يدل على أن من ادعى أنه جمع القرآن كله

---

(١) المازندراني، محمد صالح، شرح الكافي الجامع (المعروف بشرح أصول الكافي)، مع تعليق أبو الحسن الشعراني، تصحيح علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج١١، ص٨٧.

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية، ص٨٥.

فهو كذاب، فيقصد بها أنه جمع القرآن من حيث المعرفة بظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده وعامه وخاصه وأسباب نزول الآيات... إلخ، هذه العلوم التي كانت خاصة بالنبي ﷺ، فعن الإمام علي عليه السلام، قال: «... ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه... وخلّف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملاً، بغير طريق واضح، ولا علم قائم: كتابَ رَبِّكم، مبيّناً حلالَه وحرامَه، وفرائضَه، وفضائلَه وناسخَه ومنسوخَه، ورُخَصَه وَعَزَائمَه، وخاصَّه وعامَّه، وعِبَره وأمثالَه، ومُرسَلَه وَمَحْدوده، ومُحْكَمه ومتشابهه، مفسِّراً مجمله، ومبيِّناً غوامضه...»[1]، وهذه المعارف والعلوم المتعلقة بالقرآن التي لا يعلم حقيقتها ووجوهها إلا النبي قد أورثها لعترته والأئمة من أهل بيته بنفس دليل حديث الثقلين المتقدّم، فهم عليهم السلام عندهم علم الكتاب، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّا أهل البيت لم يزل اللّه يبعث منّا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره»[2]، ولذا يكون العلم بالقرآن من جميع الوجوه والجوانب محصوراً بهم عليهم السلام، وأين هذا من القول بالتحريف؟؟!! ويكون مفاد هذه الروايات في معنى قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام: «ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[3].

وهذا هو المعنى المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٢٥.

(٢) الكافي، ج١، ص٢٢٢.

(٣) الكافي، ج١، ص٢٢٨.

كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]، وليس المقصود بالمسّ هنا اللمس الظاهري ببشرة الجسم فقط، بل أن علم الكتاب بكل تفاصيله صغيرها وكبيرها موجود عند المطهرين، وقدّ بين تعالى المصداق الذي ينطبق عليه المطهّرون في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٢].

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الأسبق: «والمطهرون ـ اسم مفعول من التطهير ـ هم الذين طهر اللّه تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلك وأدق وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره تعالى، وهذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذي هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر»[٣].

وهذا المعنى السابق نفسه هو المقصود بجمع علي للقرآن، وهو معنى ما سيظهره الإمام الحجة من القرآن يوم ظهوره، والشاهد عليه قول الإمام علي عليه السلام في حديث الاحتجاج السابق: «إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي».

يقول الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد: «إنّ القرآن كلام اللّه ووحيه،... لم ينقص منه آية ولا من كلمة ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف علي من تأويله، وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً وإن لم يكن من كلام اللّه

(١) الواقعة: ٧٧-٨٠.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص١٣٧.

تعالى وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف»[١].

ففي هذا الكلام للشيخ المفيد توضيح لمعنى قرآن علي عليه السلام، فإنه القرآن الذي جمعه وشرحه وفسّره وأوّله الإمام علي عليه السلام، مبيّناً ناسخه من منسوخه وخاصه من عمومه ومقيده من مطلقه وأسباب نزول كل آية ومتى نزلت وفي من نزلت... فالمقصود بالقرآن الذي جمعه الإمام علي ليس قرآناً مستقلاً عن القرآن الموجود بين أيدي المسلمين اليوم، بل هو قرآن يشمل التفسير والتأويل وبيان أسباب النزول... إلخ.

وبهذا يظهر أن القرآن الذي سيأتي به الإمام المهدي هو هذا القرآن الذي فيه علم النبي وأهل البيت عليهم السلام، وليس القرآن بمعنى قرآن مغاير زيادة ونقصاناً على ما أنزل على قلب النبي وبلّغه للناس وموجود بين أيديهم، بل القرآن بتفسيره وتأويله وعلمه ومعارف و...

وفي ذات السياق تفهم الروايات التي أضافت كلمات إلى الآيات، كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا (في علي)...)، أنها من باب التفسير والتطبيق وليست من باب إفادة وبيان أن القرآن ناقص معاذ اللّه.

رفض أخبار الآحاد المعارضة للأصل القطعي

أما إذا لم يمكن حمل هذه الروايات على محمل صحيح،

(١) أوائل المقالات، ص٨١.

فالجواب: أنه يتم رفضها وإنكارها، وذلك لأنها أخبار آحاد أقصى ما تفيده الظن، وقلنا سابقاً إن الظن لا يقاوم اليقين، لأنه هناك قطع ويقين نتيجة الأدلة الكثيرة على كون القرآن غير محرّف.

قال الشيخ المفيد في سياق ما جاء من بعض الروايات أنهم عليهم السلام قرأوا: (كنتم خير أئمة أخرجت للناس)[١]: «إنّ الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد يقطع على اللّه تعالى بعدم صحتها»[٢].

وقال الشيخ الطوسي: «... أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها»[٣].

... إلخ، من الأدلة التي ملئت بها كتب الشيعة، وعميت عنها العين الحولاء لأنصار السلفية الوهابية.

فإذا أقدم أحد علماء الإمامية أو بعضهم مما لا يتجاوز عدد أصابع اليد على القول بتحريف القرآن بإسقاط بعض الآيات منه، أو كتابة كتاب حول تحريف القرآن، يجب اعتبار ذلك رأيهم الشخصي وليس رأي الأكثرية الساحقة من علماء الإمامية، فضلاً عن عامة الشيعة.

والحد الأقصى الذي يمكن أن يتعامل في ضوئه أنصار الوهابية هو تكفير القائل المعيّن الفلاني بهذا القول، دون تكفير عامة الشيعة

---

(١) يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: ١١٠.

(٢) المسائل السروية، ص٨٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص٣.

ونسبة الكفر إليهم، هذا مع أن هذا القائل من علماء الشيعة لم تتحقق بحقه الشروط ولم ترتفع الموانع التي توجب التكفير، وذلك لأنه قد يكون لديه شبهة مقابل بديهة فلا يُكفّر حتى تقام عليه الحجة ويبقى مصرّاً على عناده، وقد يكون لديه نصوصٌ بين يديه يجتهد فيها فتعطيه هذه النتيجة، وقد وقد... وكل هذه الاحتمالات تستلزم عدم القول بتكفير المعيّن حتى يستمع إليه.

تزوير الحقائق بتعميم الشاذ النادر

والنقطة المهمة في هذا المجال، أن السلفية الوهابية أخذوا قول بعض علماء الشيعة على أنه هو رأي أغلب علماء الشيعة، وبنوا عليه كفر جميع أبناء الطائفة، وهذا مردود عليه من جهتين: الأولى: أنّ الأعم الأغلب من علماء الشيعة يقول بعدم وقوع التحريف في القرآن كما اتضح، ويعتقدون أن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم، وقد صرح بذلك كثير من الأعلام، كالشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، والشيخ الطبرسي، والعلامة الحلي...

والثانية: أن الأعم الأغلب من أبناء الطائفة الشيعية غير العلماء إن لم نقل جميع أبناء الطائفة يعتقدون بعدم تحريف القرآن، فعلى فرض قول بعض العلماء بالتحريف كيف يؤخذ العوام بجريرة العلماء إن لم يكونوا يعتقدون بمثل قولهم؟؟ وأليس من شرائط التكفير هو الاعتقاد بالقضية التي توجِب التكفير والقول بها؟! وشيعة أهل البيت موجودون في كل مكان يقدّسون القرآن ويقرأونه ويحفظونه ولا يتبادر إلى ذهن أحدهم أنه قد وقع فيه التحريف؟!!

نطاق التحريف عند الميرزا النوري

أما بالنسبة لكتاب الميرزا النوري، فينقل الآغا بزرك الطهراني وهو من تلامذة الميرزا النوري في الذريعة: «(الفصل الخطاب في تحريف الكتاب) لشيخنا الحاج ميرزا حسين النوري الطبرستاني. أثبت فيه عدم التحريف بالزيادة والتغيير والتبديل وغيرها، مما تحقق ووقع في غير القرآن، ولو بكلمة واحدة، لا نعلم مكانها، واختار في خصوص ما عدا آيات الأحكام وقوع تنقيص عن الجامعين، بحيث لا نعلم عين المنقوص المذخور عند أهله، بل يعلم إجمالاً من الأخبار التي ذكرها في الكتاب مفصلاً، ثبوت النقص فقط.

ورد عليه الشيخ محمود الطهراني الشهير بالمعرب، برسالة سماها (كشف الارتياب عن تحريف الكتاب) فلما بلغ ذلك الشيخ النوري كتب رسالة فارسية مفردة في الجواب عن شبهات (كشف الارتياب) كما مرّ في ١٠: ٢٢٠ وكان ذلك بعد طبع (فصل الخطاب) ونشره فكان شيخنا يقول: لا أرضى عمن يطالع (فصل الخطاب) ويترك النظر إلى تلك الرسالة. ذكر في أول الرسالة الجوابية ما معناه: إن الاعتراض مبني عل المغالطة في لفظ التحريف، ليس مرادي من التحريف التغيير والتبديل، بل خصوص الإسقاط لبعض المنزل المحفوظ عند أهله، وليس مرادي من الكتاب القرآن الموجود بين الدفتين، فإنه باق على الحالة التي وضع بين الدفتين في عصر عثمان، لم يلحقه زيادة ولا نقصان، بل المراد الكتاب الإلهي المنزل... بل مرادي إسقاط بعض الوحي المنزل الإلهي، وإن شئت قلت اسمه (القول الفاصل في إسقاط بعض الوحي النازل)»[1].

---

(١) آقا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ج١٦، ص٢٣١

فالميرزا النوري قد اعترف بأن المقصود بوقوع التحريف في القرآن ليس القرآن الذي بين أيدينا اليوم، لأن القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين هو الذي جمعه الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وهو القرآن المعروف بين المسلمين. فالتحريف بالنقيصة من وجهة نظر الميرزا النوري والتي يخالف فيها وجهة النظر الرسمية لمذهب الشيعة إنما وقع في إسقاط بعض الكلمات والآيات من القرآن الذي نزل على قلب النبي عند جمعه.

القول بتحريف القرآن لا يوجب تكفير قائله

والنقطة الأخيرة، أنه على فرض القول بتحريف القرآن بهذا المعنى، فإن القول به لا يوجب تكفير قائله، وذلك لأنه ليس ثمة موجِب لذلك، إذ قد يقال: إن هذا اللون من التحريف وقع في زمن الصحابة، والدليل على ذلك: إجماع المسلمين على أن عثمان بن عفان أحرق جملة من المصاحف، وأمر ولاته بحرق كل مصحف غير ما جمعه، وهذا يدل على أن تلك المصاحف كانت مخالفة لما جمعه، وإلا لم يكن هناك سبب موجِب لإحراقها. وبناء عليه: التحريف واقع في زمن الصحابة، في تلك المصاحف التي تم إحراقها، وعليه: هل تمّ تكفير الصحابة؟؟

مع الإشارة إلى أنّ مرجعية التكفير تعود إما إلى إنكار شهادة أن لا إله إلا اللّه، أو إنكار شهادة أنّ محمداً رسول اللّه، أو إنكار ما علم ثبوته من الدين ضرورة كوجوب الصلاة وحرمة القتل، ولا ينطبق أي معيار منها على القول بتحريف القرآن بالنقيصة، ولذا يقول السيد محمد تقي الحكيم رداً على الشيخ أبو زهرة في توجيه تهمة الكفر لمن يقول

بتحريف القرآن بالنقيصة: «يبدو أن الأخ أبا زهرة ممن يستسيغ التكفير بسهولة مع أنه لا يميز - فيما يبدو - بين نوعين من إنكار الضروري أحدهما يوجب التكفير والآخر لا يوجبه، فالذي يوجب التكفير إنكار ضروري من ضروريات الدين، أي ما ثبت أنه دين بالضرورة مما يعود إنكاره إلى تكذيب النبي ﷺ وشبهه، والقول بعدم التحريف لم يثبت أنه دين بالضرورة وإلا لما احتاج إلى الاستدلال عليه بآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]. وما يحتاج إلى الاستدلال لا يكون من الضروريات... نعم، هو ضروري الثبوت لثبوت تواتره عندنا وإنكار الضروريات التي لا تستند في بداهة ثبوتها إلى الدين وإن استندت إليه بالنظر، لا تستوجب تكفيراً كما هو واضح لدى الفقهاء»[2].

فهذا النوع من الضرورات التي يقع الإنسان في مقابلها بالشبهات، تكون الشبهة مانعة من التكفير، كما صرّح ابن تيمية بقوله: «ليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين إن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه بشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[3].

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) الحكيم، محمد تقي، الأصول العامة للفقه المقارن، مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٩م، ص١٠٩.

(٣) الفتاوى، ج١٢، ص٤٦٦.



الفصل السابع

عقيدة الشيعة بأئمة أهل البيت

المبحث الأول

أدلة السلفية على غلو الشيعة، والرد عليها ومناقشتها

تمهيد

قلنا إنّ السبب الثاني من الأسباب الموجِبة لتكفير الشيعة من وجهة نظر السلفية الوهابية هو عقيدة الشيعة في الأئمة عليهم السلام، وفي هذا المبحث سنتوقف عند كيفية فهم السلفية لعقيدة الشيعة في الأئمة، وما هو وجه التكفير للشيعة بسبب هذه العقيدة، ثم نعرض نظرية علماء الشيعة في الأئمة، وندخل في مناقشة الدليل الذي عرضه السلفيون في هذا المجال.

تأليه الأئمة

أشرنا سابقاً إلى أنه من جملة الأدلة التي يتمسك بها السلفيون الوهابيون لتكفير الشيعة هي أن الشيعة من الغلاة. فما هو الغلو؟

الغلو لغة عبارة عن تجاوز الحد إلى طرف الزيادة[1]، وفي مقابله التقصير، وهو عبارة عن طرف النقصان، أما الغلو الذي يقصده

(١) كتاب العين، ج٤، ص٤٤٦.

السلفيون، فهو أن الشيعة قد تجاوزا الحد في أئمتهم ورفعوهم فوق البشرية إلى منزلة الألوهية، حيث إن الشيعة يعتقدون بتأليه الأئمة، بمعنى أن أئمتهم يخلقون ويرزقون ويحييون ويميتون... إلخ، وبذلك يشبه الشيعة النصارى، الذين يعتقدون بإلهية عيسى بن مريم. ولذا يقول ابن تيمية بحق الشيعة الرافضة: «وَيُشْبِهُونَ النَّصَارَى فِي الْغُلُوِّ فِي الْبَشَرِ وَالْعِبَادَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ وَفِي الشِّرْكِ وَغَيْرِ ذَلِك»[1].

وقد نهى اللّه تعالى أهل الكتاب من يهود ونصارى عن الغلو في الدين، وحكم عليهم بالكفر بسبب عقيدتهم في أنبيائهم.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ * ... مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ * قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3].

---

(١) مجموعة الفتاوى، ج٢٨، ص٤٨٠.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) المائدة: ٧٢-٧٦.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)].

فالقرآن الكريم حكم على النصارى بالكفر بسبب الغلو في الدين، وغلوهم في الدين هو رفعهم للمسيح فوق منزلة البشرية إلى مرتبة الألوهية، وهكذا هو أمر الشيعة الغلاة، فيكون الغلو سبباً يوجِب الحكم بالكفر على الشيعة.

أما أدلة السلفيين على تأليه الشيعة للإمام، فيمكن تلخيصها في الأمور التالية:

أولاً: وصف الإمام بأوصاف اللّه تعالى

استدل أبو أنس الشامي وناصر بن عبد اللّه القفاري وغيرهما بعض النصوص الروائية الواردة في كتب الشيعة التي تصف الإمام بأوصاف اللّه تعالى، كقول الشمس لعلي عليه السلام جينما كلّمها: «يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم»[(٢)].

والجواب على هذا الدليل: أن هذه القراءة السلفية للنصوص الروائية هي قراءة مجتزأة، تأخذ بعض الرواية وتتعمد ترك البعض الآخر، كمن يأخذ جزء شهادة التوحيد: «لا إله»، ويترك «إلا اللّه»، أو

---

(١) المائدة: ١٧.

(٢) الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي، ص٦٩. والخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط٤، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص١١٨.

يستشهد بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[1] ولا ينظر إلى تتمة الآية ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

فقد ورد في تتمة الرواية السابقة ما يشرح المقصود بوصف علي بن أبي طالب بهذه الأوصاف: «... قال النبي ﷺ: فما سمعتموه، قالوا: سمعنا الشمس تقول: السلام عليك يا أول.

قال - النبي -: قالت الصِّدق، هو أول من آمن بي.

فقالوا: سمعناها تقول: يا آخر.

فقال -النبي-: قالت صدق، هو آخر الناس عهداً بي، يغسلني ويكفنني ويدخلني قبري.

فقالوا: سمعناها تقول: يا ظاهر.

فقال: قالت الصدق، هو الذي أظهر علمي.

فقالوا: سمعناها تقول: يا باطن.

فقال: قالت الصدق، هو الذي بطن سري كله.

فقالوا: سمعناها تقول: يا من هو بكل شيء عليم.

فقال: قالت الصدق، هو أعلم بالحلال والحرام والسنن والفرائض»[2].

ثانياً: عقيدة الشيعة في تفويض شؤون الخلق إلى الإمام

ومن شواهدهم أيضاً على غلو الشيعة، هو ما تنسبه الشيعة إلى الأئمة من عقيدة التفويض، أي أن الشيعة من وجهة نظر السلفيين

(١) الماعون: ٤-٥.

(٢) المصدر السابق.

تعتقد بأن اللّه تعالى فوّض أمور الخلق وشؤون العباد وتدبير عالم التكوين إلى الأئمة، فهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون ويعطون ويمنعون... إلخ، إلى درجة لم يعد لله تعالى فيها أي عمل في التدبير والتكوين والخلق والإحياء والإماتة... إلخ.

وينقلون بعض النماذج من كتب الحديث الشيعية التي يعتبرونها دالة على ذلك، منها: ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «نحن السبب بينكم وبين اللّه عزّ وجلّ»[1].

وكذلك في كلمات علماء الشيعة ما يدل على ذلك:

يقول العلامة المجلسي عن أئمة أهل البيت: «إنهم حجب الرب، والوسائط بينه وبين الخلق»[2].

ويقول السيد أبو القاسم الخوئي: «لا شبهة في ولايتهم على المخلوق بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار، لكونهم واسطة في الإيجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق، إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم، وإنما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق. فهذه الولاية نحو ولاية اللّه تعالى على الخلق ولاية إيجادية...»[3].

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٤هـ ص١٥٧، ٢٦٠/ ١٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق ابراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ج٢٣، ص٩٧.

(٣) التوحيدي، محمد علي، مصباح الفقاهة (تقرير أبحاث السيد أبو القاسم الخوئي)، المطبعة العلمية، قم، ج٣، ص٢٧٩-٢٨٠.

والجواب عن عقيدة التفويض

يتضح الجواب عن عقيدة التفويض في عدة نقاط ومقدمات:

- أولاً: أن من جملة العقائد الرئيسة عند الشيعة الإمامية هو التوحيد الأفعالي، والمقصود به هو العقيدة القرآنية في أنه لا مؤثر في الكون ولا فاعل حقيقة في الوجود إلا اللّه تعالى، فكل ما في الكون هو فعل اللّه عزّ وجلّ ولا شريك له تعالى في أفعاله فضلاً عن ذاته وصفاته، فاللّه تعالى هو الخالق حقيقة لا يخلق أحد إلا بإذنه[1]، وهو الرزّاق حقيقة[2]، وهو الشافي حقيقة[3]، وهو عالم الغيب لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول[4]، وهو الشافع حقيقة لا يشفع أحد إلا من ارتضى[5]، ولا يضر أحد أحداً أو ينفعه إلا بإذن اللّه[6]، وهو المحيي والمميت والمعطي والمانع والقابض والباسط والمعز والمذل...، فكل ما في الكون يحصل بإذن اللّه تعالى، ولا يملك أحد من دونه أي مؤثرية وفاعلية، ولا استقلال لأي مخلوق دون إذنه وإرادته تعالى.

- ثانياً: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أبى اللَّه أن يجري الأشياء إلا بأسباب فجعل لكل شيء سبباً...»[7]. إنّ اللّه سبحانه وتعالى خلق

---

(١) آل عمران:٤٩.

(٢) الذاريات:٥٨. النمل: ٦٤.

(٣) الشعراء:٨٠.

(٤) الجن: ٢٦-٢٧.

(٥) الأنبياء:٢٨.

(٦) البقرة:١٠٢. المجادلة:١٠.

(٧) الكافي، ج١، ص١٨٣.

العالم على صورة خاصة وكيفية مخصوصة، وهي نظام الأسباب والمسببات، والعلل والمعلولات، فقانون السببية العام هو الحاكم على نظام الوجود، لذا وسّط اللّه تعالى بينه وبين خلقه الأسباب، كالملائكة التي تتوفى الأنفس ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1] ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2]، وكالملائكة المدبرات أمراً[3]، والرياح التي تثير السحاب، والماء الذي ينبت الزرع، والنار التي تحرق، وكل ذلك يحصل بإذن اللّه تعالى، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4].

- ثالثاً: أن اللّه تعالى إذا منح الإذن لأحد عباده المقربين بأن يقوم ببعض الأفعال التي تعتبر من الصفات الفعلية لله تعالى، لا يعتبر حينها الاعتقاد بصدور ذلك الفعل عن العبد بإذن اللّه شركاً باللّه تعالى، فقد منح الملائكة كما تقدّم فعل الوفاة، ومنح اللّه تعالى عيسى بن مريم الإذن بإحياء الموتى، وبالخلق. قال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

---

(١) النحل: ٢٨.

(٢) السجدة: ١١.

(٣) النازعات: ٥.

(٤) الأعراف: ٥٧.

(٥) آل عمران: ٤٩.

- رابعاً: يقول اللّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[(١)]، وعن رسول اللّه ﷺ في حديث طويل: «نحن الوسيلة إلى اللّه والوصلة إلى رضوان اللّه، ولنا العصمة والخلافة والهداية، وفينا النبوة والولاية والإمامة...»[(٢)].

النتيجة: بناء على ما تقدم، جعل اللّه تعالى بعض خلقه وسيلة بينه وبين عباده. فالشيعة عندما يعتقدون أن الرحمة والرزق والمطر والشفاء... يحصل بتوسّط النبي أو الإمام إنما ذلك لأن اللّه تعالى هو الذي أعطى النبي أو الإمام هذه المرتبة الرفيعة لقربه من اللّه تعالى، والنبي أو الإمام ليس إلا واسطة في العطاء والفيض الإلهي، أما المعطي والمفيض حقيقة فهو اللّه تعالى، وهذه العقيدة لا تنافي التوحيد، بل هي عين التوحيد، لأن مؤثرية وفاعلية النبي والإمام هي في عين فاعلية ومؤثرية اللّه تعالى، وهذه هي عقيدة الشيعة في الولاية التكوينية أنها تحصيل بإذن اللّه.

يقول الشيخ محمد حسين النائيني: «الولاية التكوينية التي هي عبارة عن تسخير المكونات تحت إرادتهم ومشيتهم بحول اللّه وقوته،... وذلك لكونهم عليهم السلام مظاهر أسمائه وصفاته تعالى فيكون فعلهم فعله وقولهم قوله، وهذه المرتبة من الولاية مختصة بهم...»[(٣)].

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) البرسي، رجب، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، تحقيق علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص٥٨.

(٣) الآملي، محمد تقي، المكاسب والبيع (تقرير بحث الميزرا النائيني)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم، ج٢، ص٣٣٢.

المبحث الثاني

موقف الأئمة من الغلاة والمفوضة

إنّ الشيعي كما تحدثنا في بداية الكتاب، هو المنتسب إلى أئمة أهل البيت والمعتقد بإمامتهم الفكرية والسياسية، وبالتالي هو الذي يستمد عقائده من الأئمة عليهم السلام، ويأخذ دينه عنهم، وخير ردّ على تهمة السلفية الوهابية للشيعة، هو بيان أن موقف الأئمة من الغلو في الدين هو عين موقف القرآن، أي موقف الوسطية والاعتدال دون الغلو والتقصير. وعلماء الشيعة وعامتهم لا يقولون في أئمتهم إلا ما قالوه عليهم السلام في أنفسهم.

يقول الشيخ محمد بن علي الصدوق: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار باللّه تعالى، وأنهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس»[1].

ويقول الشيخ المفيد: «الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين

---

(١) الاعتقادات، ص٩٧.

بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام»[١].

وقد عدّ الشيعة المفوضة من الغلاة، يقول الشيخ المفيد أيضاً: «المفوضة صنف من الغلاة، وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أن اللّه سبحانه وتعالى تفرد بخلقهم خاصة، وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال»[٢].

وهذا الموقف لعلماء الشيعة يستند إلى الأحاديث المتواترة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام التي تكفّر الغلاة والمفوضة وتلعنهم، وتبرأ إلى اللّه تعالى منهم، وتظهر هلاكهم وخسرانهم، نعرض بعض هذه الروايات:

- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «هلك في رجلان محبّ غال ومبغض قالٍ»[٣].

- وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «واللّهِ، ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرٍّ ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، واللّه ما لنا على اللّه من حجة، ولا معنا من اللّه براءة، وإنا لميتون، ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون.

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية، ص١٣١.

(٢) نفس المصدر، ص١٣٤.

(٣) نهج البلاغة، باب المختار من حكمه عليه السلام، ح١١٧. وغيرها من الروايات عنه بنفس المضمون.

ويلهم ما لهم لعنهم اللّه، فلقد آذوا اللّه وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام.

وها أنا ذا بين أظهركم، لحم رسول اللّه وجلد رسول اللّه، أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً، يأمنون وأفزع، وينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبراري... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول اللّه، وما معي براءة من اللّه، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً أو أشدّ عذابه»[1].

- وعن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام في الغلاة: «لا تقاعدوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تورثوهم»[2].

- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإن الغلاة شرّ خلق اللّه، يصغرون عظمة اللّه، ويدعون الربوبية لعباد اللّه، واللّه إنّ الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس، والذين أشركوا»[3].

- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لعن اللّه الغلاة والمفوضة، فإنهم صغروا عصيان اللّه وكفروا به، وأشركوا وضلوا وأضلوا...»[4].

---

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص٤٩١ - ٤٩٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٥٨٩.

(٣) الطوسي، الأمالي، ص٦٥٠.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م، ج١، ص٢٢٧.

- وعن أبي بصير، قال: قال لي أبو عبد اللّه عليه السلام: «يا أبا محمد أبرأ ممن يزعم أنا أرباب، قلت: بريءُ اللّه منه»[١].

- وقد قال الإمام الصادق لمن ذكر أن الإمام هو الذي خلق ورزق: «لعنه اللّه، واللّه ما من خالق إلا اللّه وحده لا شريك له...»[٢].

- وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لعن اللّه الغلاة،... لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم وابرؤوا منهم بريءُ اللّه منهم»[٣].

- وعنه عليه السلام، قال: «الغلاة كفار والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة، خرج من ولاية اللّه عزّ وجلّ وولاية رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وولايتنا أهل البيت»[٤].

- وقد قال المأمون للإمام علي الرضا عليه السلام: «يا أبا الحسن بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ؟ فقال الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:... قال علي عليه السلام: يهلك في اثنان ولا ذنب لي محبٌّ مُفرِط ومبغض مفرط. وأنا أبرء إلى اللّه تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام

(١) اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٥٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٨٩.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢١٨.

(٤) نفس المصدر، ص٢١٩.

من النصارى قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، وقال عزّ وجلّ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]،... فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة»[3].

فهذه الروايات واضحة في أن الغلاة كفّار مشركون خارجون عن دائرة الإسلام وولاية أهل البيت، وكل غالٍ ليس من الشيعة، فلا يجتمع التشيع مع دعوى الغلو والتفويض.

ومن راجع كتب فقهاء الشيعة يجد التشدد في إخراج الغلاة عن دائرة الإسلام، قال الشهيد الثاني ممزوجاً بنص الشهيد الأول: «(والمسلمون من صلى إلى القبلة) أي اعتقد الصلاة وإن لم يصلّ، لا مستحلاً... (إلا الخوارج والغلاة) فلا يدخلون في مفهوم المسلمين وإن صلّوا إليها، للحكم بكفرهم»[4].

وقد «أجمع علماء الإمامية على نجاسة الغلاة، وعدم جواز تغسيل

(١) المائدة: ١١٦-١١٧.

(٢) النساء: ١٧٢.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢١٧.

(٤) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج٣، ص١٨١.

ودفن موتاهم، وعلى تحريم إعطائهم الزكاة، وعلى أنه لا يحل للغالي أن يتزوج المسلمة، ولا للمسلم أن يتزوج الغالية مع أن الإمامية أجازوا الزواج بالكتابية، وأجمعوا أيضاً على أن المسلمين يتوارثون وإن اختلفوا بالمذاهب والأصول والعقائد. قالوا: يرث المحق من المسلمين من مبطلهم، ومبطلهم من محقهم ومبطلهم إلا الغلاة يرث منهم المسلمون وهم لا يرثون من المسلمين»[1].

كما تعتبر تهمة الغلو لأي شخص كافية لعدم الأخذ بقوله عند الشيعة، فمن أوصاف تضعيف الرجال وجرحهم في كتب الرجال الشيعية هي القول بأنه غالٍ.

(١) مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار التعارف، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م، ص٢٩٢.

المبحث الثالث

التوسل وزيارة القبور

اتضح سابقاً أنه من جملة أدلة السلفيين الوهابيين على كفر الشيعة أيضاً أن الشيعة تتوسل بالنبي والأئمة وهذا يوجب الشرك بالله تعالى والكفر، فبما أن الشيعة تعتقد بأن الأئمة هم سبب بينهم وبين الله، ولهم شأن الخلق والرزق والرحمة والفيض و...، فمن الطبيعي أن يدعون الأئمة، ويطلبون منهم حاجاتهم، وهذا هو عين الشرك، فبدل أن ينادي الإنسان: يا الله، ينادي: يا علي، يا فاطمة...

يقول أبو أنس الشامي: «... إن الاثني عشرية يعتقدون أن هذا المعنى موجود في أئمتهم، فهم يتلقون من الله -كما مر-، وتزيد على ذلك فتجعل لهم من خصائص الألوهية ما يخرج من يؤمن به من التوحيد إلى الشرك، حيث تجعل هداية الخلق إليهم، وأن الدعاء لا يقبل إلا بأسمائهم، وأنه يستغاث بهم عند الشدائد والملمات، ويحج إلى مشاهدهم، وهي أفضل من بيت الله، وكربلاء أفضل من الكعبة، وجعلوا لها عبادات وآداب سموها مناسك المشاهد»[1].

والشيعة بسبب ذلك هم أشد شركاً من المشركين أنفسهم: يتابع

---

(١) الشيعة، مصدر سابق.

أبو أنس الشامي قوله: «... هناك فرق وهو: أن المشركين في أوقات الشدائد يخلصون الدعاء إلى اللّه ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...﴾[1] أما هؤلاء (الشيعة الرافضة) فإنهم يشركون في الرخاء والشدة، بل يزعمون أن الشدة لا ترفع إلا بالدعاء بأسماء الأئمة»[2].

أما بالنسبة لزيارة قبور الأئمة، يقول ابن تيمية: «من يأتي إلى قبر نبي أو صالح ويسأل حاجته ويستنجد به مثل أن يسأله أن يزيل مرضه ويقضي دينه ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا اللّه عزّ وجلّ فهذا شرك صريح يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل»[3].

ويكفي في الجواب عن إشكال ابن تيمية وأتباعه ما ورد عن رسول اللّه ﷺ.

فقد روى ابن عساكر بإسناده عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «من صلّى علي عند قبري وكل اللّه به ملكاً يبلغني، وكفي أمر دنياه وآخرته، وكنت له شهيداً له وشفيعاً له يوم القيامة»[4].

روى مسلم بإسناده عن رسول اللّه ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[5].

وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «كان رسول اللّه ﷺ (كلما كان

(١) العنكبوت: ٦٥.

(٢) الشيعة، مصدر سابق.

(٣) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ص١٥٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ج٥٦، ص٣٠٢. ورواه عن البخاري: الشربيني، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٨م، ج١، ص٥١٢.

(٥) صحيح مسلم، ج٣، ص٦٥. ومسند أحمد، ج١، ص١٤٥.

ليلتها من رسول الله ﷺ) يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[(١)].

أما بالنسبة للتوسل والاستشفاع بالنبي، روى البخاري بإسناده عن أنس: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا** ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»[(٢)].

وروى أبو داود السجستاني بإسناده عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: «أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الانعام، **فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله** ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: (ويحك ! أتدري ما تقول)؟ وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: (ويحك ! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك ! أتدري ما الله، إن عرشه على سماواته لهكذا»[(٣)].

فيلاحظ أن رسول الله ﷺ قد رضي عن الشق الأول من قول الأعرابي: «إنا نستشفع بك على الله»، لكنه اعترض على الشق الثاني: «نستشفع بالله عليك».

(١) صحيح مسلم، ج٣، ص٦٣.

(٢) صحيح البخاري، ج٢، ص١٦.

(٣) السجستاني، أبي داود، سنن أبي داود، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ج٢، ص٤١٨.

وقد روى البخاري: عن قتادة، قال: سمعت أنساً -أنس بن مالك- قال: «قالت أم سليم للنبي: أنس خادمك، ادع اللّه له، قال: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»[١].

وروى البخاري عن السائب بن يزيد: «ذهبت بي خالتي إلى رسول اللّه ﷺ فقالت: يا رسول اللّه، إن ابن أختي وجع. فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، وقمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة»[٢].

ولا تختص هذه الحالة بحياة رسول اللّه إذ لا فرق بين حياته وموته، عن أبي هريرة: أن رسول اللّه قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد اللّه علي روحي حتى أرد عليه السلام»[٣].

وقال ﷺ: «صلّوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»[٤].

وعلى كل حال الجواب عنه[٥] وفق مباني مدرسة أهل البيت، أنه بناء على ما تقدّم في عقيدة الشيعة بالتوحيد الأفعالي، أن اللّه تعالى هو الرزّاق حقيقة، وهو الشافي حقيقة، وهو الشافع حقيقة لا يشفع أحد إلا من ارتضى، ولا يضر أحد أحداً أو ينفعه إلا بإذن اللّه، فكل ما في الكون يحصل بإذن اللّه تعالى، ولا يملك أحد من دونه أي مؤثرية

(١) صحيح البخاري، ج٦، ص١٦٢.
(٢) صحيح البخاري، ج٧، ص١٠.
(٣) سنن أبي داود، ج١، ص٤٥٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) لقد قام الشيخ محمد جواد البلاغي في كتابه: الردّ على الوهابية، بجمع الروايات والأحاديث حول زيارة القبور والتبرك بها، وحول التوسل والاستغاثة والاستشفاع، من مصادر أهل السنة، أنظر: ص٥١-٥٥-٦٣-٦٥. (والكتاب من الكتب المهمة في الردّ على مقولات السلفية الوهابية).

وفاعلية، ولا استقلال لأي مخلوق دون إذنه وإرادته تعالى. نعم، وسّط اللّه تعالى بينه وبين خلقه الأسباب.

والشيعة لا يستغيثون ويستعينون ويستشفعون بالنبي وأهل البيت مباشرة وبالأصالة وبالذات والاستقلال، وإنما يجعلونهم وسيلة بينهم وبين اللّه تعالى في قضاء الحوائج، امتثالاً لأمر اللّه تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[١]، وليس من الشرك أن يمتثل الإنسان أمر ربه، لأن حقيقة التوحيد في العبادة أن يأتي الإنسان بالفعل العبادي من الوجه الذي أمره اللّه تعالى به، فلا يقال للملائكة الساجدين لآدم أنهم مشركون باللّه تعالى لكون السجود حصل بإذن اللّه وأمره[٢].

فحقيقة العبادة أن يطيع الإنسان ربه من حيث أراد تعالى، سُئِل الإمام الصادق: ما العبادة؟ فقال عليه السلام: «حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع اللّه منها»[٣]. وفي حديث آخر: «حسن النية بالطاعة من الوجه الذي أمر به»[٤].

فقاضي الحاجات حقيقة هو اللّه تعالى، ولكن النبي وأهل البيت لمنزلتهم الكريمة عند اللّه تعالى وقربهم من اللّه تعالى أحياء وأمواتاً، يجعلهم العبد المذنب البعيد عن اللّه تعالى بينه وبين اللّه ليستجيب له بكرامتهم التي جعلها لهم، لا أن النبي والإمام هو الذي يستجيب،

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٣٤.

(٣) الكافي، ج٢، ص٨٣.

(٤) المحاسن، ص١٧٧.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

وعلى كل حال، مشكلة السلفية في التوسل بالنبي وزيارة قبور الصالحين لا تكمن مع الشيعة، بل مع كل المسلمين بمختلف مدارسهم العقائدية والفقهية

عقيدة الشيعة بنزول الإلهام على الأئمة، وعصمة الأئمة:

من شواهدهم أيضاً على الغلو عند الشيعة هو ما يعتقدونه في أئمتهم من الإلهام والعصمة وغيرهما، وهاتان العقيدتان لا ينكرهما الشيعة، بل هي من أصول عقيدة الشيعة، فإن من لا يعترف بعصمة الإمام وكونه ملهماً من اللّه تعالى هو ليس بشيعي حقيقة. ويكفي مراجعة الجزء الأول من كتاب أصول الكافي للوقوف على الروايات الواردة في ذلك.

واعتقاد العصمة[2] في الإمام فإنها مما لا شك فيه ليست سبباً موجباً للكفر حتى بناء على منهجهم في التكفير، كيف ويتبناها ابن تيمية في الطوائف، حيث قال: «لا يسلّم أهل السنة أن يكون الإمام حافظاً للشرع بعد انقطاع الوحي، لأن ذلك حاصل للمجموع،... فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدثون معصومون في حفظ الأحاديث وتبليغها، والفقهاء معصومون في

---

(١) النساء:٦٤.

(٢) يراجع حول موقف السنة من العصمة: الوائلي، هوية التشيع، ص ١٤٨ وما بعد. والسبحاني، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، ص٣٩٤.

الكلام والاستدلال»[١]. ويتبناها الفخر الرازي لمجموع الأمة. والتفتازاني بمعنى من المعاني لأبي بكر وعمر وعثمان، حيث يقول عنهم: «... وإن كانوا معصومين بمعنى أنهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها»[٢]. وكذلك عبد الرحمن الإيجي بنفس المعنى في كتابه المواقف.

(١) منهاج السنة، ج٦، ص٤٦١.

(٢) التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد في علم الكلام، ج٢، ص٢٧٩.

الفصل الثامن

موقف الشيعة من الصحابة

من التهم التي وجهها تيار السلفية للشيعة أنهم يسبون الصحابة ويبغضونهم ويطعنون فيهم...، وهذا سبب موجِب لسلب الإيمان والكفر، وقد تقدّمت أقوالهم في ذلك.

ويقول ابن كثير: «....فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، لا سيما سيد الصحابة بعد رسول اللّه ﷺ وخيرهم وأفضلهم -أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة-، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً باللّه من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي اللّه عنهم»[1].

ونتحدث في هذا الفصل في عدة نقاط:

أولاً: من هو الصحابي؟

وقد وقع الاختلاف بين العلماء فيه إلى أقوال[2]:

أ - الصحابي هو كل من عاصر النبي وإن لم يره، وهو المنسوب إلى يحيى بن عثمان المصري.

ب - كل من رأى رسول اللّه أو صحبه حتى ولو ساعة واحدة، وهو

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٣٩٨.

(٢) حول معنى الصحابة يراجع: العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، ج١، ص٨٥ وما بعد.

المنسوب إلى ابن حنبل والبخاري وابن حجر العسقلاني وابن حزم الأندلسي وغيرهم.

ج - كل من رأى النبي واختص به ولازمه واتبعه ورافقه مدة يصدق معها عرفاً أنه فلان صاحبه، نسبه البعض إلى جمهور الأصوليين.

د - كل من صحب النبي وطالت صحبته وأخذ عنه العلم، وهو المنسوب إلى الجاحظ.

ثانياً: موقف الشيعة من الصحابة

يتلخص موقف الشيعة من الصحابة في عدة مسائل:

- أولاً: تعتقد الشيعة بأن صحابة رسول اللّه ﷺ في الجملة لهم منزلة عظيمة ومقام رفيع، فهم الذين نصروا الإسلام وأعزوه ودافعوا عنه بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، وذاقوا جميع أنواع العذابات في سبيل نشر الإسلام كياسر وسمية وعمّار، وأخرجوا وهجِّروا من ديارهم كجعفر الطيّار، واستشهدوا في سبيل الدعوة النبوية كحمزة... ويكفي في بيان موقف الشيعة دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين الوارد في الصحيفة السجادية: «اللَّهُمَّ وأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ والَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِه، وكَانَفُوه، وأَسْرَعُوا إلى وِفَادَتِه، وسَابَقُوا إلى دَعْوَتِه، واسْتَجَابُوا لَه حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالاتِه.

وفَارَقُوا الأَزْوَاجَ والأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِه، وقَاتَلُوا الآبَاءَ والأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ نُبُوَّتِه، وانْتَصَرُوا بِه. ومَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِه يَرْجُونَ

تِجارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِه. والَّذِينَ هَجَرَتْهُمْ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِه، وانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِه. فَلَا تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وفِيكَ، وأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِكَ، وبِمَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وكَانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاةً لَكَ إِلَيْكَ.

واشْكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ، وخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إلى ضِيقِه، ومَنْ كَثَّرْتَ فِي إِعْزَازِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ. اللَّهُمَّ وأَوْصِلْ إلى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الَّذِينَ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ خَيْرَ جَزَائِكَ...».

- ثانياً: إن عظم شأن الصحابة وعلو منزلتهم لا يرفعهم إلى مرتبة العصمة، فهم ليسوا فوق أن يخطئوا، فيمكن أن يصدر عنهم الخطأ والخطيئة عمداً وسهواً. ولذا لا يعتبر مذهب الصحابي أو سنة الصحابي أي قوله وفعله وتقريره حجة في مدرسة أهل البيت، بل عند الكثير من علماء أهل السنة أيضاً، فالإمام الغزالي مثلاً يقول في نقد من يرى حجية مذهب الصحابي: « إنّ من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته عنه فلا حجة في قوله، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة، وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف، وكيف يختلف المعصومان، كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة...، فانتفاء الدليل على العصمة، ووقوع الاختلاف بينهم، وتصريحهم بجواز مخالفتهم فيه، ثلاثة أدلة قاطعة»[1].

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تصحيح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٦٨

- ثالثاً: إنّ صحابة رسول اللّه ﷺ يتفاوتون فيما بينهم في الإيمان، لأن الإيمان يزيد وينقص، ويتفاضلون فيما بينهم في الصفات من العلم والعدالة والكرم والشجاعة والحكمة و.....، ويخضعون للمؤثرات الداخلية والخارجية من صوت النفس الأمارة بالسوء، ووسوسات الشيطان، ومغريات الدنيا...، بل بعض الصحابة بناء على بعض التعريفات السابقة هم من المنافقين الذين جاءوا إلى محمد بن عبد اللّه وشهدوا أنه لرسول اللّه، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[1]، وبعض الصحابة قد تغيّر حالهم بعد وفاة رسول اللّه ﷺ وانقلبوا عمّا كانوا عليه في حياة النبي، كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2].

وتدل على ذلك الشواهد التاريخية الكثيرة، يكفي منها خروج العديد من الصحابة على الخليفة الشرعي المفترض الطاعة أي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتالهم له، وقتلهم لبعض الصحابة بغير حق.

ويكفي لإثبات ذلك ما رواه البخاري بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من

(١) المنافقون: ١-٣.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار واللّهِ، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار واللّه، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[1].

وروى البخاري أيضاً بإسناده عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال: «خطب رسول اللّه ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى اللّه حفاة عراة غرلاً، ثم قال: كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين إلى آخر الآية، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»[2].

... إلخ، من الأحاديث النبوية العديدة التي تفيد أن بعض الصحابة قد تغير حاله بعد وفاة رسول اللّه ﷺ نحو الأسوأ وانقلبوا عمّا كانوا عليه من الخير.

والخلاصة: أن الشيعة تقسم الصحابة إلى قسمين: منهم العدول أهل الإيمان الذي ثبتوا على الإيمان الذي كان مستقراً في قلوبهم، ومنهم من انقلب وتغيّر حاله، لأن الإيمان كان مستودعاً في قلوبهم. وهذه هي عقيدة الشيعة في الصحابة، ولا علاقة لهذا الاعتقاد بأن

---

(١) صحيح البخاري، ج٧، ص٢٠٩. قال ابن حجر العسقلاني في شرح معنى «همل النعم»: «يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه والهمل بفتحتين الإبل بلا راع وقال الخطابي الهمل مالا يرعى ولا يستعمل ويطلق على الضوال والمعنى أنه لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره». فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص٤١٤.

(٢) صحيح البخاري، ج٥، ص١٩٢.

الصحابة غير معصومين وأنهم يمكن أن يقعوا بل وقعوا في الخطأ الخطيئة لما نسب إلى مذهب أهل البيت من سبّ وشتم الصحابة، كيف؟! ومن الصحابة أئمتهم وكبار علماء مذهبهم، فإن علياً والحسن والحسين وجعفر الطيار وحمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وأبو أيوب الأنصاري وزيد وسلمان والمقداد وأبو ذر وعمار بن ياسر و... هم من كبار الصحابة.

ثالثاً: منهج الإمام علي التربية على عدم السب والشتم

وقد حرص أمير المؤمنين عليه السلام على تربية الشيعة على منهج عدم السب والشتم لأنه خُلُق القرآن حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، ونحن مأمورون بالتخلق بأخلاق القرآن الكريم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين، تشتمون وتبرأون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم، فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءهم ودماءنا، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله منهم، ويرعوي [أي يرجع ويكفّ] عن الغي والعدوان منهم من لهج به، لكان أحب إلي وخيراً لكم.

فقال حجر بن عدي وعمرو بن الحمق: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك»[2].

---

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٩٩.

ونقول نحن بلسان حال كل شيعي: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك.

رابعاً: تأسيس معاوية بن أبي سفيان لظاهرة لعن أمير المؤمنين علي عليه السلام

إذا راجعنا تاريخ الإسلام نجد أن أول من أسس ظاهرة لعن الصحابة هم الأمويون على رأسهم معاوية بن أبي سفيان[١]، لأنهم شتموا الإمام علي -وهو أخ رسول اللّه ونفسه وخليفة المسلمين والصحابي الجليل- على المنابر لمدة ثمانين سنة، وقد كان معاوية يأمر صحابة علي عليه السلام كحجر بن عدي وصعصعة بن صوحان وغيرهما بالتبرؤ منه عليه السلام، ويتوّج رفضهم بالشهادة في سبيل اللّه، وبلغ به البغض والعداء إلى درجة أنه لم يحتمل أن يسمع اسم علي[٢]، ونهى عن التسمية باسم علي، وغيّر المسمى باسم علي، وكان البعض من أتباعه لبغضه لعلي لا يذكر اسم الإمام علي، ويقول: أبو زينب، والبعض لكراهته وبغضه وشدة نصبه لعلي عليه السلام كان يلعن أباه لما سماه علياً[٣]، وكان بنو أمية

(١) يراجع: الحموي، ياقوت بن عبد اللّه، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج٣، ص١٩١. الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.، ج٣، ص١٢٧.

(٢) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق عبد الحميد هنداوي، وزارة الأوقاف السعودية، باب أخبار عبد اللّه بن العباس وابنه، ص ٣٣١. وقد رواه ابن أبي الحديد عن أبي العباس المبرد في شرح نهج البلاغة، ج٧، ص١٤٨. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، ج٣، ص٢٧٤. والسيرة الحلبية، ج١، ص١٠٧.

(٣) ابن حجر، لسان الميزان، ج٤، ص٢١٠.

إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه[١]، لذا كان بعض الشيعة يبدلون أسماء أولادهم، وبعضهم يغيره إلى عُلَي، بالتصغير بضم العين، كما سمي عُلي بن رباح بذلك[٢].

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة...»[٣].

فهل يرضى السلفيون بتكفير معاوية بن أبي سفيان بسبب لعنه لأمير المؤمنين عليه بن أبي طالب عليه السلام؟! أو يتبعون سياسة الكيل بمكيالين؟

وشتم بعض الصحابة وسبّهم إن حصل من بعض الشيعة، لا يدلّ

(١) يراجع: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٤٨١. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٠٢. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٤٢٧. وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٨١. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص٧٢.

(٢) يراجع: ابن عساكر، المصدر السابق.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١، ص٤٤.

على أنّ هذا هو منهج مذهب أهل البيت عليهم السلام، لكن بغض النظر عن مشروعية هذا الفعل أو عدمها، هناك نقطة مهمة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن ممارسات السلطات الظالمة الغاصبة المتابعة بحق أهل البيت من سلب الخلافة وقضية فدك والزهراء، وقتل الحسن مسموماً، وقتل الحسين وأهل بيته في كربلاء حيث ذبح كما يذبح الكبش، وسب وشتم أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر، وسجن الأئمة وقتلهم، ومطاردة الشيعة وقتلهم وتهجيرهم وذبحهم وصلبهم وسجنهم وحرمانهم من أبسط الحقوق... كل هذه الأسباب أنتجت مزاج عام عند الشيعة دفع بالمنتمي لهذا المذهب إلى أن يقوم بردة فعل معاكسة يسهل ويهون خطبها أمام تلك الأفعال الشنيعة والأعمال الفظيعة، فإذا كان سب الصحابة وشتمهم كفر؟! أليس من باب أولى أن يكون قتل الصحابة كفراً؟؟ أليس الحسن والحسين عليهما السلام أحفاد الرسول؟ أليس عمّار بن ياسر الذي قتلته الفئة الباغية من معسكر معاوية بن أبي سفيان من صحابة رسول اللّه؟؟

كلام الإمام الباقر عليه السلام حول ظلم أهل البيت

ونختم بكلام للإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام يرسم لنا معالم ما تعرض له الشيعة في حياتهم، حيث قال لبعض أصحابه: «ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا وما لقى شيعتنا ومحبونا من الناس، إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش، حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في

صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثم غدر به، وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاليل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم، وقتلوه ثم لم نزل - أهل البيت - نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله؛ ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد اللّه بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق اللّه تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع»[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة.
- الصحيفة السجادية.

(أ)

١ـ ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت.

٢ـ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

٣ـ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.

٤ـ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموعة الفتاوى، دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م.

٥ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه، تحقيق حسن بن علي السقّاف، دار الإمام الرواس، بيروت. ط٤، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٦ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٧ـ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ط٢.

٨ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ ـ١٩٧١م.

٩ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، دار طريق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٠- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١١- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت.

١٢- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

١٣- ابن خليفة عليوي، هذه هي عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله والجواب الصحيح، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق.

١٤- ابن داود الحلي، الحسن بن علي، رجال ابن داود، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٢م.

١٥- ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (لا، ط)، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م.

١٦- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٧- ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

١٩- ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٠- ابن عساكر، علي بن الحسن، تبين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مطبعة التوفيق، دمشق، ١٣٤٧هـ.

٢١- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٢- ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٣- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية المعروف بتاريخ ابن كثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.

٢٤- ابن منظور، محمد بن مكرَّم، لسان العرب، تصحيح أمين محمد عبد

الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٥ ـ ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٦ ـ ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ضبط مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت.

٢٧ ـ أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر.

٢٨ ـ أبو نعيم الأصبهاني، الضعفاء، تحقيق فاروق حمادة، الدار الثقافية، الدار البيضاء، المغرب.

٢٩ ـ الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٠ ـ الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣١ ـ آقا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٢ ـ آل بو طامي، أحمد بن حجر، العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، ط١، ١٩٩٤م.

٣٣ ـ الآملي، محمد تقي، المكاسب والبيع (تقرير بحث الميزرا النائيني)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم.

٣٤ ـ أمين، أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١١، ١٩٧٩م.

٣٥ ـ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣٦ ـ الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٧٧م.

٣٧ ـ الأنصاري، مرتضى، التقية، تحقيق فارس الحسون، مؤسسة قائم آل محمد، قم، ط١، ١٤١٢هـ.

(ب)

٣٨- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣٩- البرسي، رجب، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، تحقيق علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤٠- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن (الأخلاق والآداب)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤١- بركات، أكرم، التكفير ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير، بيروت، ٢٠١٥م.

٤٢- البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٣- البوطي، محمد سعيد رمضان، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٤٤- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت.

(ت)

٤٥- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٦- التميمي، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم اسد، دار المأمون للتراث، دمشق، (لا.ط).

٤٧- التوحيدي، محمد علي، مصباح الفقاهة في المعاملات، تقريراً لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(ج)

٤٨- جار اللّه، موسى، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، مكتبة الكيلاني، القاهرة، ١٩٨٢م.

٤٩- الجزائري، نعمة اللّه، الأنوار النعمانية، مطبعة شركت جاب، تبريز.

٥٠ـ جولدتسيهر، أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية: محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر، دار الرائد العربي، بيروت، طبعة مصورة عن دار الكتاب المصري، ١٩٤٦م.

(ح)

٥١ـ حافظ، أسامة إبراهيم، وعاصم، عبد الماجد محمد، حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، مكتبة التراث الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م.

٥٢ـ الحر العاملي، محمد بن الحسن، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، تحقيق مشتاق المظفر، مطبعة نكارش، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٣ـ الحر العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، دار الكتب الإسلامية، ط٣، ج٣.

٥٤ـ الحربي، أبي إسحاق إبراهيم بن اسحاق، غريب الحديث، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥٥ـ الحسني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدثين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.

٥٦ـ الحسن، عبد الله، مناظرات في الإمامة، أنوار الهدى، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٧ـ حسن بن زين الدين، التحرير الطاووسي، تحقيق فاضل الجواهري، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ط١، ١٤١١هـ.

٥٨ـ حسين، طه، الفتنة الكبرى علي وبنوه، دار المعارف، مصر.

٥٩ـ الحصكفي، محمد علاء الدين، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦٠ـ الحكيم، محمد تقي، الأصول العامة للفقه المقارن، مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٩م.

٦١ـ الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦٢ـ الحلي، جعفر بن الحسن، المسلك في أصول الدين، تحقيق رضا الأستادي، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط٢، ١٤٢١هـ.

٦٣ـ الحلي، الحسن بن يوسف، أجوبة المسائل المهنائية، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ.

٦٢- الحلي، الحسن بن يوسف، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط١، ١٤١٧هـ.

٦٥- الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦٦- الحنبلي، عبد الحي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(خ)

٦٧- الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط٤، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٦٨- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٩- الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ط٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٧٠- الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء، بيروت، ط٤، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٧١- الخوئي، أبو القاسم، والتبريزي، جواد، صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، جمع موسى مفيد الدين عاصي، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧٢- الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، مكتبة إسماعيليان، قم.

(د)

٧٣- الدمياطي، محمد شطا، إعانة الطالبين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(ذ)

٧٤- الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٧٥- الذهبي، محمد بن أحمد، المغني في الضعفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٧٦ـ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٧٧ـ الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، إشراف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

(ر)

٧٨ـ الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٧٩ـ رضي الدين الأستر آبادي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق وضبط محمد نور حسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

٨٠ـ الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة اللّه، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٩ هـ.

(ز)

٨١ـ الزرندي، محمد بن يوسف، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، ط١، ١٩٥٨م.

٨٢ـ الزرندي، محمد، معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول، تحقيق ماجد بن أحمد العطية.

(س)

٨٣ـ السبحاني، جعفر، تهذيب الأصول، تقريراً لأبحاث السيد روح اللّه الخميني، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، إيران، ط١، ١٤٢٣هـ.

٨٤ـ السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المقدسة، ط٤، ١٤١٦هـ.

٨٥ـ السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية.

٨٦ـ السجستاني، أبي داود، سنن أبي داود، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٨٧ـ السرخسي، شمس الدين، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٨٨ـ السرمدي، أبي المظفر يوسف بن محمد العبادي الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، تقديم وتعليق صلاح الدين مقبول أحمد، مجمع البحوث العلمية الإسلامية، ط١، ١٩٩٢م.

٨٩ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت.

٩٠ـ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

(ش)

٩١ـ شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات، تحقيق حسين الراضي، ط٢، ١٩٨٢م.

٩٢ـ الشربيني، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٨م.

٩٣ـ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩٤ـ الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.

٩٥ـ الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٩٦ـ الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، تقديم صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

٩٧ـ الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

(ص)

٩٨ـ الصدوق، محمد بن علي، الاعتقادات في دين الإمامية، مصنفات الشيخ الصدوق، تحقيق اللجنة العلمية في مكتبة بارسا ـ قم، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٩٩ـ الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، طهران، ط١، ١٤١٧هـ.

١٠٠ـ الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٠١ـ الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

١٠٢ـ الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، تعليق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٠٣ـ الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام، تعليق محمد عبد العزيز الخولي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٤، ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.

(ض)

١٠٤ـ الضحاك الشيباني، عمرو بن أبي عاصم، كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم محمد ناصر الدين الألباني)، المكتب الإسلامي، برقيا، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(ط)

١٠٥ـ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٢هـ.

١٠٦ـ الطبراني، سليمان بن أحم، المعجم الأوسط، دار العلمين، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٠٧ـ الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تعليقات محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

١٠٨ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تصحيح وتعليق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٠٩ـ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، تصحيح وضبط نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١١٠ـ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١١١ـ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة محمود عادل، تحقيق أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١١٢ـ الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي، تصحيح وتعليق ميرداماد الأسترآبادي، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٤هـ.

١١٣ـ الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

١١٤ـ الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.

١١٥ـ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

١١٦ـ الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ١٤١٥هـ.

١١٧ـ الطوسي، محمد بن الحسن، العدة في أصول الفقه، تحقيق محمد رضا الأنصاري، مطبعة ستاره، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

(ع)

١١٨ـ العاملي، زين الدين بن علي، المعروف بالشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تحقيق محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١١٩ـ العاملي، شمس الدين محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول، الدروس الشرعية في فقه الإمامية،، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١.

١٢٠ـ العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٠م.

١٢١ـ العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ، ط٦، ١٩٩٢م.

١٢٢ـ العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران، ط١، ١٣٨٠هـ.

(غ)

١٢٣ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول، تصحيح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

(ف)

١٢٤ـ الفارسي، علي بن بلبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٢٥ـ فلهوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة المعارضة السياسية الدينية، ترجمة تقديم عبد الرحمن بدوي، دار الجليل، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨.

١٢٦ـ الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(ك)

١٢٧ـ الكاشاني، فتح الله بن شكر الله، زبدة التفاسير، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٣هـ.

١٢٨ـ كرد علي، محمد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣م.

١٢٩ـ الكلبايكاني، محمد رضا، إرشاد السائل، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٣٠ـ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٥هـ.ش.

١٣١ـ الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، بيروت، دار الأضواء، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

١٣٢ـ الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، ط١، طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠.

(م)

١٣٣ـ المازندراني، محمد صالح، شرح الكافي الجامع (المعروف بشرح أصول الكافي)، مع تعليق أبو الحسن الشعراني، تصحيح علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣٤ـ المباركفوري، محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م.

١٣٥ـ المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق عبد الحميد هنداوي، وزارة الأوقاف السعودية.

١٣٦ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق ابراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.

١٣٧ـ المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٣٨ـ المرتضى، علي بن الحسين، رسائل الشريف المرتضى، تقديم أحمد الحسيني، إعداد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ.

١٣٩ـ المزي، يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

١٤٠ـ المصري، ابن نجيم، البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، ضبط زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

١٤١ـ المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.

١٤٢ـ مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار التعارف، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.

١٤٣ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٣، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩ م.

١٤٤ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م.

١٤٥ـ المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، تعليق حسن استادولي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

١٤٦ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

١٤٧ـ المفيد، محمد بن محمد، تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، تقديم وتعليق هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضي، قم، ١٣٦٣هـ.

١٤٨ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل السروية، تحقيق صائب عبد الحميد، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

١٤٩ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الفصول المختارة، تحقيق السيد علي مير شريفي، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

١٥٠ـ الميلاني، علي الحسيني، الشيخ نصير الدين الطوسي وسقوط بغداد، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط١، ١٤٢١هـ.

(ن)

١٥١ـ نشرة الأنصار، العدد ٩١، الخميس، ٦ ذو القعدة ١٤١٥ هـ.

١٥٢ـ النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، جمعية المستشرقين الألمانية، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣١م، ص١٥.

١٥٣ـ النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٥٤ـ النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ـ ١٩٨٧م.

١٥٥ـ النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر.

١٥٦ـ النيسابوري، أبو عبد اللّه، المستدرك، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، (لا.ط).

١٥٧ـ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (المعروف بصحيح مسلم)، دار الفكر، بيروت.

(هـ)

١٥٨ـ الهاشمي، محمود، بحوث في علم الأصول، تقريرات أبحاث السيد محمد باقر الصدر، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٥٩ـ الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الأنصاري، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦٠ـ الهندي، علي المتقي بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتصحيح بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٦١ـ الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(و)

١٦٢ـ الوائلي، أحمد، هوية التشيع، دار الصفوة، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(ي)

١٦٣ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب البغدادي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

الروابط الإلكترونية:

1 - http://archive.almanar.com.lb/article.php?id=125596
2 - http://www.leader.ir/langs/ar/index.php?p=bayanat&id=9092
3 - http://albarrak.islamlight.net/index.php?option=com-ftawa&task=view&id=18080
4 - http://albarrak.islamlight.net/index.php?option=com-ftawa&task=view&id=18080
5 - http://www.alukah.net/sharia/39285/0/.
6 - http://ar.islamway.net/article/10677/
7 - http://www.saaid.net/Doat/Zugail/330.htm
8 - http://alburhan.com/main/articles.aspx?article-no=#2419.VKmMBcmbUXg
9 - www.tawhed.ws/dl?i=0504095f
10 - www.abubaseer.bizland.com/articles/read/a52.doc
11 - http://www.binbaz.org.sa/article/100
12 - http://albarrak.islamlight.net/index.php?option=com-ftawa&task=view&id=18080
13 - http://www.ibn-jebreen.com/fatwa/
14 - http://www.qaradawi.net/new/all-fatawa/1388

الفهرس

صدر للمؤلف

- **العبرة في البكاء على سيد الشهداء**، (بحث روائي في المصادر الحديثية الشيعية عن البكاء على الإمام الحسين بن علي: الدلالة- الثواب- العلل-البكاؤون عليه)، دار الولاء، بيروت، ٢٠١٢م.
- **حجية العلم** (قراءة على ضوء النظرية التعليقية وفقاً للمباني الأصولية للعلامة السيد علي حجازي)، دار الولاء، بيروت، ٢٠١٣م.
- **حياتنا الجنسية** (كيف نعيشها؟ على هدى القرآن ومنهج النبي وأهل البيت)، دار الولاء، بيروت، ٢٠١٤م.
- **عقوبة الطفل في التربية الإسلامية**، (دراسة حول مشروعية استخدام أسلوب العقوبة البدنية مع الأطفال في العمليات التربوية وفق النظرة الإسلامية مع عرض أبرز النظريات التربوية المعاصرة)، مركز الدراسات والأبحاث التربوية، دار البلاغة، بيروت، ٢٠١٤م.
- **حجية الظن** (دراسة في المباني الأصولية لتشريع الأمارات على ضوء أبحاث العلامة السيد علي حجازي)، دار الولاء، بيروت، ٢٠١٥م.

- **المنهج الجديد في تربية الطفل**، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية- مركز نون للتأليف والترجمة، بيروت، ٢٠١٦م.
- **الشيعة من منظار سلفي عرض ونقد**، دار الولاء، بيروت، ٢٠١٦م.

شهد العقدان الأخيران تطوّراً صادماً في الأحداث التي عصفت بالعالمين العربي والإسلامي، كالانسحاب الإسرائيلي من لبنان عام 2000، وهجمات 11 سبتمبر 2001 في أميركا، وما تلاها من الحرب على أفغانستان، واحتلال العراق 2003، وعدوان تموز 2006، والثورات العربية 2010، فضلاً عن التسلسل الزمني للأحداث والمعارك في سوريا منذ 2011 حتى اليوم... إلخ، والتي أدّت إلى تغيّر الخارطة السّياسية، بولادة تحالفات وصراعات بين المشاريع المختلفة، من المشروع الأميركي-الإسرائيلي والمشروع الوهابي بقيادة السّعودية، ومشروع الأخوان المسلمين في تركيا ومصر وقطر...

وكان للشّيعة عموماً وإيران وحزب الله خصوصاً، دوراً فاعلاً في الأحداث والمتغيّرات.

وفي هذا السّياق التاريخي، طفت تنظيمات السّلفيّة الوهابية كالقاعدة وداعش وجبهة النصرة...، مشحونة بالكراهة والتكفير للشيعة، وترجمت دموياً بالتفجيرات الانتحارية في باكستان وأفغانستان والعراق والكويت واليمن ولبنان...

ولا ريب في أنّ للأبعاد السّياسية والاقتصادية والتاريخية والقومية والجغرافية وغيرها دوراً حيويّاً في مجريات الأحداث، ويبقى لأيديولوجية السّلفيّة الدور الأبرز في الصراع الدّموي بإباحة الدّم والمال والعرض.

ومن حقّ كلّ شيعي أن يسأل: لماذا يكرهوننا؟ ولماذا يكفروننا؟ وما هي الصّورة المرسومة في أذهان السّلفيين الوهابيين عن الشّيعة؟

وقد جاء هذا الكتاب **"الشّيعة من منظار سَلفي"** ليجيب عن هذه الأسئلة، بعرض وجهات نظر التيار السّلفي من مصادره، ومناقشة ونقد هذه النظرة بأسلوب علمي.

سامر توفيق عجمي



